تاريخ مدينة المرية الأندلسية

في العصر الإسلامي

(منذ انشائها حتى استيلاء المرابطين عليها)

٣٤٤ - ٤٨٤هـ / ٩٥٥ - ١٠٩١م

تأليف
دكتور محمد أحمد أبو الفضل
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة
كلية التربية - جامعة طنطا

تصدير
دكتور السيد عبد العزيز سالم
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الاسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ أسمت محمود غنيم

الاسكندرية

تاريخ مدينة المرية الأندلسية

في العصر الإسلامي [illegible]

(منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها)

٣٤٤ - ٤٨٤هـ / ٩٥٥ - ١٠٩١م

تأليف

دكتور محمد أحمد أبو الفضل

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة

كلية التربية - جامعة طنطا

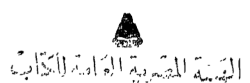
تصدير

دكتور السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨١



الهيئة المصرية العامة للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وما أوتيتم من العلم

إلا قليلاً

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

اهتم فريق من مؤرخي الإسلام بتسجيل محاسن مدنهم التي نشأوا فيها وخواصها، وتخليد مآثر بلادهم وفضائلها، وإبراز مناقب علمائها والمتفقهين من أعلامها، اعتزازا بأوطانهم، وتعبيرا صادقا عن ارتباطهم بأراضيهم، وتعصبا واضحا لاقاليمهم. وقد اصطلح على تسمية هذا اللون من الكتابة التاريخية فى علم التاريخ بالتاريخ المحلي الذى يعرفونه بأنه وليد الشعور بالقومية والتعصب للاقليمية. ومن المعروف أن اقدم أمثلة الكتابة في التاريخ المحلي فى المشرق الإسلامي تتمثل فيما كتبه أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٨ ه) عن تاريخ بغداد، وعمر بن شبه (ت ٢٦٣ ه) عن خطط البصرة. وأن اقدم أمثلته فى الاندلس كتاب فى صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها لاحمد بن عيسى الرازى (ت ٣٢٤ ه).

وقد لاقت الكتابة في التاريخ المحلى اقبالا كبيرا من جانب مؤرخي الاندلس لأن بلاد الاندلس تتميز قبل كل شيء بتنوع واضح فى طبيعتها الجغرافية، سواء من حيث السطح أم المناخ أو البيئة نفسها بحيث وضح الاختلاف في سائر كورها وأقاليمها مما ترتب عليه النزوع إلى الانتزاء، والميل إلى الانسلاخ عن الحكومة المركزية، وهي ظاهرة وضحت عبر حقب التاريخ الإسلامى، وساعد ذلك على قيام الكثير من عصور الدويلات المنقطعة ـ إذا صحت هذه التسمية ـ التي طالما عانت من تهاونها في الانطواء أو عما كان يتم إدماجها فى الحكم المركزي في كل مرة إلا في الفترات التي تظهر فيها شخصية قوية، كالشأن فى شخصية عبد الرحمن بن محمد أو فترة قيام دولة المرابطين أو دولة الموحدين، ولعل ذلك يرجع إلى حد كبير الاختلاف الواضح في

العادات والتقاليد وحتى فى اللسان واللهجات فى مختلف أقاليم أسبانيا فى وقتنا الحاضر ، كالجلالقة ، والبشكنس ، والقطلان ، والبلنسيين ، وأهل الجنوب ، فلكل من هؤلاء لغته أو لهجته الخاصة ، وهذا يوضح ظاهرة الانفصالية التى تسود اليوم فى أقاليم اسبانيا وترتب عنها حتى الان قيام دولة قطالونية ودولة الباسك .

وإذا كان مؤرخوا الاندلس قد صرفوا اهتمامهم إلى التفاخر ببلدهم الأندلس وذكر أخباره ، فى كتاباتهم الاهتمام بتاريخه ووصف جغرافيته وتسجيل مآثره ، بحيث أصبحت عناوين مصنفاتهم تدور حول اسم الاندلس .

كالشأن فى الامثلة الآتية : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى
تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبى
تاريخ علماء الأندلس ، لابن الفرضى
الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس ، لابن بشكوال
الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني
المقتبس من انباء أهل الأندلس لابن حيان
مطمح الانفس ومسرح التأنس فى ملح اهل الأندلس لابن خاقان
جذوة المقتبس فى ذكر رجال الأندلس للحميدى
بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس للضبى
فرحة الأنفس فى تاريخ الاندلس لابن غالب

فان ظاهرة الكتابة فى تاريخ مدن الأندلس لم تكن واضحة بنفس وضوحها بالنسبة لبلد الأندلس ، فقد كان مؤرخوا الأندلس ، رغم اعتزازهم باقليميتهم لا ينزعون كثيرا إلى التفاخر عندهم ، ولذلك لانعرف عن كتاباتهم فى هذا المجال سوى الامثلة الآتية :

صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، لأحمد بن محمد الرازى
تاريخ قضاة قرطبة ، للخشنى
تاريخ بلنسية المعروف بكتاب البيان الواضح فى الملم الفادح لمحمد بن علقمة
تاريخ مالقة لأبى عبدالله بن عسكر وأتمه ابن أخيه أبو بكر بن خمسين
تاريخ علماء البيرة لأبى القاسم محمد بن عبد الواحد الغافق الملاحي
تاريخ شقورة لابن ادريس
الاعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة لأبى العباس أصبغ بن العباس
الاحتفال في أعلام الرجال (تاريخ قرطبة) لأبى بكر الحسن بن محمد ابن مفرج
تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة لأبى جعفر بن مظاهر
تاريخ فقهاء قرطبة لابن حيان
تاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمسين
تاريخ قلعة يحصب المسمى بالطالع السعيد لأبى الحسن بن سعيد
تاريخ بقيرة لأبى عبد الله بن المؤذن
الدرة المكنونة فى أخبار أشبونة لأبى بكر بن محمد بن ادريس العزابى الغالوسى
مزية المرية لأبى جعفر أحمد بن خاتمة الأنصارى
تاريخ المرية وباجة لأبى البركات بن الحاج

غير أن مؤرخى إسبانيا المحدثين على خلاف مؤرخى الأندلس المسلمين أولوا الكتابة فى تاريخ المدن الإسبانية جانبا كبيراً من عنايتهم بدافع الشعور

بالاقليمية فأسرفوا فى ذلك إسرافا تعبر عنه كثرة مصنفاتهم الإقليمية عن مدن إسبانيا فى العصر الاسلامى أو عبر حقب التاريخ بحيث أصبحت مكتبة المدن الاسبانيه تضم مئاتا من الكتب ، وفيما يلى أمثلة لبعضها :

1 — Arellano, Historia de Cordoba

(آريانو ، تاريخ قرطبة)

2 — Francisco Rios, Zaragoza

(فرنشسكو ريوس ، سرقسطة)

3 — Gillen Robles; Malaga Musulmana

(جيين روبليس ، مالقه الاسلامية)

4 — Gaspar Remiro, Historia de Murcia Musulmana

(جاسبار ريميرو ، تاريخ مرسية الاسلامية)

5 — Huici Miranda, Historia Musulmana de Valencia

(أويثى ميراندا ، تاريخ بلنسية الاسلامية)

6 — Chabas, Histoira de la ciudad de Denia

(شاباس ، تاريخ مدينة دانية)

y — Tapia garido, almeria Musulmana

(تابيا جاريدو ، المرية الاسلامية)

كما صدرت لبعض مؤرخى العرب المحدثين دراسات عن مدن أندلسية ، دفعهم إلي الاهتمام بتأليفها ، اعجابهم الشديد بتاريخ هذه المدن فى العصر الاسلامى ، أو حرصهم على ابراز أمجاد إسلامية تكمن فى هذا التاريخ ، ومن أمثلة هذه الكتب :

تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس للدكتور السيد عبد العزيز سالم

قرطبة حاضرة الخلافة الأموية فى الاندلس ، لنفس المؤلف
مملكة سرقسطة فى عصر الطوائف للدكتور عفيف الترك
مملكة غرناطة فى عهد محمد الخامس للدكتور أحمد مختار العبادى

* * *

والكتاب الذى بين يدى القارىء كتاب فى التاريخ المحلى الأندلسى ، وبالذات فى تاريخ مدينة أندلسية هى المرية ، كان لها دور عسكرى واقتصادى هام فى التاريخ الاسلامى ، ولم يكن هذا الكتاب وليد شعور بالتفاخر القومى ولا التعصب للأرض وإنما جاء ثمرة دراسة مستفيضة لفرع فى التاريخ الاسلامى لم يحظ بعد بالاهتمام الذى يستحقه ، وأعنى به تاريخ الأندلس الذى تهز أحداثه النفس ، وتستثير حضارته مشاعر متداخلة من العزة والفخار والحزن والأسى على أمجاد إسلامية بادت ودثرت ، وعن فردوس أصيل فقدناه ، وتراث شامخ نذرف عليه الدموع .

فلقد لفت نظر الدكتور محمد أحمد أبو الفضل ، مؤلف الكتاب ، الدور الهام الذى تمثله المرية الاسلامية منذ نشأتها فى عصر الخلافة حتى دخولها فى فلك دولة المرابطين ، على الصعيدين السياسى والاقتصادى ، وأفاد من البحث القيم الذى صدر فى مجلة الأندلس لعالم الآثار الاسلامية الإسبانى أستاذى دون ليوبولدو توريس بلباس عن المرية الإسلامية ، وهو بحث اهتم فيه بوجه خاص بدراسة الجانبين الطوبوغرافى والأثرى ، كما أفاد من كتابى الموسوم بتاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس الذى أبرزت فيه أهميتها كقاعدة لأساطيل الأندلس فى عصر الخلافة ، وأهميتها الاقتصادية كمحطة رئيسية للتجارة الخارجية مع ثغور العالم الاسلامى والغرب الأوروبى ، وحالفه التوفيق فى التوصل إلى حقائق جديدة بفضل ما كان يعثر عليه من

اشارات طبوغرافية أو تاريخية متناثرة هنا وهناك فى بطون المصادر الجغرافية وكتب التراجم وفى دواوين الشعراء وكتابات الأدباء ، وبفضل غوصه إلى أعماق النصوص التاريخيه ومنهجه القائم على التحليل والاستنباط ، وبفضل هذه الحقائق نجح الدكتور أبو الفضل فى الكشف عن كثير من غوامض تاريخ المرية وفى تسليط الأضواء على دورها الكبير فى التاريخ والحضارة.

أختار الدكتور محمد أبو الفضل لدراسة التاريخ السياسى للمرية فترتين من أزهى عصورها : الاول عصر الخلافة ، والثانى عصر دويلات الطوائف ، وقد لعبت المرية خلالها ، وعلى الأخص زمن الطوائف ، دوراً سياسيا رائدا فى أحداث الأندلس واستطاع ملوكها فى هذا العصر أن يجنبوها رحى الفتنة الطاحنة والأخطار الداخلية والخارجية ، كما حرصوا على أن يسودها الاستقرار والأمان ، وعملوا على رعاية الفنون والاداب ، فتألقت الحياة العلمية والأدبية والفنية فى هذا العصر تألقا تشهد به الأعداد الكبيرة من العلماء الذين أنجبتهم المرية ، والتوسع العمرانى الذى شهدته المرية فى هذا العصر ، والمنشآت الجليلة التى أقيمت بوجه خاص فى عهد بنى صمادح .

ولقد وفق الباحث غاية التوفيق فى تبويب البحث وتقسيم عناصره ، فخصص قسما من الدراسة لتاريخ السياسى منذ قيام المرية فى عهد عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ ه حتى دخولها فى فلك دولة المرابطين فى سنة ٤٨٤ ه ، وخصص القسم الاخر لدراسة بعض مظاهر الحضارة ، واهتم فى هذا القسم الأخير بابراز الجانب العمرانى والإنشائى من جهة ، والجانب الاقتصادى من جهة ثانية ، والجانب العلمى من جهه ثالثة ، والحق لقد بذل جهودا مضنية مستهدفا عرض صورة أقرب ما تكون إلى الوضوح لمدينة المرية الاسلامية حتى بداية عصر المرابطين سواء من حيث سرده للأحداث

التاريخية التى مرت بها المدينة ، أى من حيث تتبعه التطور العمرانى الذى تعرضت له المدينة منذ قيامها ، وأهم الآثار الباقية من العصر موضوع الدراسة ، هذا إلى عرضه الرائع لمقومات الثروة الاقتصادية ، وتاريخه الدقيق للنهضة العلمية .

وبعد فيسرنى أن أقدم إلى القارىء العربى وإلى الباحثين فى الدراسات الأندلسية أولى الثمرات العلمية التى قدمها الدكتور محمد أحمد أبو الفضل فى هذا المجال ، وهو مجال بكر يحتاج إلى جهود ضخمة ومتضافره من المتخصصين ، والكتاب دراسة جادة واضافة لها قيمتها فى تاريخ الاسلام فى الأندلس وتاريخ الحضارة الاسلامية عامة ، وأسأل الله تعالى أن تكون هذه الدراسة فاتحة إنتاج خصب فى تاريخ الأندلس فى العصر الاسلامى ، وأن يتابع الدكتور أبو الفضل بحوثه القيمة فى هذا المجال والله الموفق .

الاسكندرية فى ١٩ / ١٠ / ١٩٨١

دكتور السيد عبد العزيز سالم
أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة
بكلية الآداب جامعة الاسكندرية

مقدمــــــة

أولا : موضوع البحث ومنهــج الدراسة

ثانياً : عرض لأهم مصادر البحث

أولا : موضوع البحث ومنهــج الدراسة

المرية ، مدينة اسلامية البناء محدثه ، أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥م) ، ولم يأل جهداً فى تحسينها والاهتمام بشئونها ، وقدر هذه المدينة الاندلسية أن تلعب دوراً هاما فى تاريــخ الاندلس ، فقد كانت أعظم قواعد الاسطول الاندلسى فى عصر الخلافة الأمويه وعصر الطوائف ، كما أنها كانت المركز الأول للتجارة البحريه مع أقطار البحر المتوسط الغربى والشرقى فى آن واحد كذلك لعبت المريه دوراً سياسياً وحضاريا هاما فى عصر الطوائف .

والواقع أن الذى دفعنى إلى إختيار « تاريخ مدينة المرية الاسلاميه حتى استيلاء المرابطين عليهـا » ، موضوعا للبحث احساسى بخطورة الدور الذى كانت تؤديه هذه القاعدة البحريه الحربية والتجاريه واهميته فى تاريخ الاندلس بوجه عام وتاريخ البحريه الإسلامية بوجه خاص باعتبارها باب الشرق ومنفذ التجاره البحريه مع أقطار العالم الاسلامى الشرقى وأقطار المغرب الإسلامى على السواء ، هذا بالاضافة إلى قلة ما كتب فى هذا الموضوع ، الأمر الذى شجعنى على اختياره والبحث فيه عسانى أتوصل الى حقائق جديدة ، حقيقة ان الكتابات المباشرة فى هذا الموضوع قليلة . إذ أننا نجد أن أول من كتب موضوعا متكاملا عن مدينة المريه هو المستشرق الاسبانى الاستاذ

ليو بولد و توريس بلباس الذى اعد دراسة قيمة مركزة عن المريه فى العصر الإسلامى بعنوان « Almeria Islamica » [١] . ولكن هذه الدراسة رغم جدتها واصالتها مقتضبه وتنقصها المادة التاريخية إذ اورد صاحبها معظم صفحات البحث للدراسة الاثريه . ويليه فى قائمة الباحثين استاذى الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى خصص لتاريخ المريه مصنفا قائما بذاته بعنوان « تاريخ مدينة المريه الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس » ، اشتمل على دراسة تاريخ المريه دراسة كامله ، مع رسم صورة متكامله عن حضارتها فى العصر الاسلامى ، أما غيرها من المحدثين فبحوثهم تتسم بأنها بحوث عامه غير متخصصه ، فكل ما كتبوه عن تاريخها وآثارها لا يعدو ابحاثا قصيرة متفرقة ويتصدر المستشرق الاسبانى دون ليوبولدو توريس بالباس قائمة هؤلاء الباحثين لكثرة دراساته عن المدن الاندلسية ، هذا غير ابحاث عديده متفرقة للمستشرق الهولندى رينهارت دوزى والمستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال وغيرهم .

وبالاضافه إلى قلة الابحاث التى أجريت حولها أجتذبت هذه المدينة اهتمامى بأثارها الحربيه والدينية الكثيرة وماضيها الحافل بالأحداث خاصة فى العصر الاموى وعصر الطوائف وهما العصران اللذان لعب فيها المريه . ورأيت ان أعد رسالتى عن تاريخ المريه وحضارتها لحقبه حددتها من قيام المدينه حتى دخول المرابطين الاندلس مع إبراز أهمية الدور الذى لعبته هذه المدينة فى تاريخ الاندلس .

---

(1) Torres Balbas (Leopoldo) : Almeria Islamica. al-Andalus. Vol XXII 1957 .

ولقد وضعت منذ البداية هدفين أساسيين حاولت من خلال بحثي ان اصل اليها أولها ، إبراز دور المريه واهميته فى عصر الطوائف ، وثانيها ، إجلاء الصورة الحضاريه للمريه سواء على الصعيد الاقتصادى او الفنى او العلمى ، متبعا فى كل ذلك المنهج العلمى فى كتابتى لهذا البحث القائم على المقابلة بين النصوص وتحليلها وأستنباط النتائج والحقائق التى يمكننى ان ابنى عليها دعائم الرسالة ، ولتحقيق هذين الهدفين بذلت قصارى جهدى لاجلاء الصورة مستعينا فى ذلك بعدد كبير من المصادر العربية التى تعرضت من قريب أو من بعيد لموضوع الدراسة ، ومعظمها لا يعدو بحوثا تاريخية تسجل أحداثا وحوليات تتضمن روايات لمؤرخين لم تصل إلينا كتبهم كالشأن فى كتاب « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام الشنترينى ، الذى حوت كتاباته الأدبيه مادة تاريخية هامة للمؤرخ الكبير ابن حيان وكان معاصراً للفترة التى يدور حولها موضوع الرسالة وعلى الاخص كتابه الكبير المفقود « المتين » .

ولقد قسمت البحث إلى بابين رئيسين ، الأول : خصصته للتاريخ السياسى ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول ، افردت أولها ، لتأسيس مدينة المريه واهميه موقعها ، تحدثت فيه عن تأسيس المدينة ، ثم عن جغرافيتها ، وسبب تسميتها بالمريه ، وارتباط تاريخ بناء المريه بمدينة بجانه ، مع عرض سريع لتمصير بجانه وتعميرها وانساع رقعتها بعد تولى البحريين زعامتها ، واهم آثارها المعماريه إلى ان افل نجم بجانه واندهشت المريه . ثم استعرضت السياسة البحريه للدولة واهمية الرباطات على سواحل الأندلس وخاصة رباط المريه ، كذلك تكلمت عن اثر غارات النورمان على سواحل الأندلس ، وبداية تنظيم قوة الأندلس البحرية ابتداء من عهد عبد الرحمن الثالث ، واهمية قاعدة المريه

البحرية ، واثر هذا الأسطول فى الدفاع عن الأندلس ومظاهر اهتمام الحكم المستنصر وهشام المؤيد بتدعيم قاعدة المريه واختتمت هذا الفصل بالحديث عن قاعدة المرية البحريه فى عصر الطوائف .

أما الفصل الثانى : فقد افردته لدراسة المريه فى عهد خيران وزهير العامريين فقد ركزت فيه الحديث عن المريه كقاعده كوره ، وتعرضت لدراسة تقسيماتها الادارية ، ومسئوليات حكامها فى عصر الولاه الموفدين من قرطبه حاضره الخلافه ، ثم أوردت ثبتا بعدد الولاه الذين تولوا حكم المريه وبجانه بعد ابن رماحس حتى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) . ثم تكلمت بايجاز عن بداية انهيار الخلافة الأمويه وسقوط الدولة العامرية ، واشتعال نار الفتنة البربريه وقيام دويلات الطوائف ، ثم عن أنتزاء خـــيران الصقابي بالمريه ، مع التعريف بالصقالبه، وإتخاذ خيران المريه قاعدته الاساسية واستيزاره لأبى جعفر أحمد ابن عباس ثم تحدثت عن سياسة خيران العامرى الخارجية مستهلا ذلك بايضاح دوره فى الأحداث السياسية بقرطبه منذ ان تحالف مع على بن حمود ضد سليمان المستعين . ثم خلاف خيران مع على بن حمود ومقتل الاخير وتوليه ابن القاسم ابن حمود ومحاولته استمالة خيران وزهير العامريين الية حينما بلغه قيام خيران بتنصيب المرتضى خليفة بقرطبه ، وما كان من تخلى خيران عن نصرة المرتضى وخذلانه له حتى لقى الأخير مصرعه . ثم تحدثت عن تدخل خيران ومجاهد العامريين فى الأحداث السياسية بقرطبه مره ثانية ، وانتهيت من دراستى بالتأكيد على ان سياسة المصلحة كانت المحرك الذى يوجه خيران العامرى صاحب المريه فى كل تصرفاته ثم تكلمت عن دوره فى شرق الأندلس ومساهمته فى ارتقاء عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول حكم شاطبه ثم عرمه

على التخلص منه واضطرار عبد العزيز إلى الفرار إلى بلنسيه سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١ م) ، ثم تعرضت للحديث عن العلاقات القائمه بين خيران ومجاهد العامريين وتطرقت إلى نية مجاهد فى مهاجمة املاك خيران بالمريه ، وقيام خيران بتنصيب محمد بن عبد الملك المظفر احد احفاد المنصور بن ابى عامر خليفة للاندلس وتلقيبه إياه بالمعتصم ، كما عرضت للاحوال المتأزمه بين خيران والخليفة المعتصم وفرار الأخير والتجائه إلى مجاهد العامرى إلى ان انتهى المطاف به إلى حصن داره حيث توفى ، ثم تحدثت بعد ذلك عن علاقة خيران مع جيرانه البربر أصحاب غرناطه ثم عن سياسته الداخلية وازدهار المريه واتساع املاكها فى عهده واهتمامه بتحصين قصبتها وزيادته فى جامعها واسوارها وابوابها ، ثم عن دوره فى تشجيع الحركة الأدبيه إلى وفاته . ثم انتقلت إلى الحديث عن زهير العامرى وكيفية توليه حكم المريه ، ونزاعه مع مسلم الفتى القائم على حصن اوريوله ، ثم ناقشت رواية ابن الخطيب عن احتلال زهير لقرطبه فى سنه ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) وإقامته بها خمسة عشر شهراً ، وعن قيام زهير بتجديد بيعه الخليفة هشام المؤيد المشكوك فى موته واقدامه على احضار شبيه بهشام سنة ٤٢٦ هـ وتمويهه به زمناً ، ثم تحدثت عن العلاقات بين زهير وجاره حبوس بن ماكسن وقيام الأخير بقطع علاقته مع زهير بسبب موالاة زهير لمحمد ابن عبدالله البرزالى صاحب قرمونه فى حربه لحبوس صاحب غرناطه، ثم علاقة زهير باديس بن حبوس وخروج الأول بجيشه الى غرناطه والأحداث التى اعقبت ذلك إلى ان انتهى الأمر بمصرع زهير مع الاشارة إلى دور وزيره ابن عباس الفعال فى توجيه الأحداث وتسييرها حتى قيام أهل المريه باسناد ولاية المريه إلى شيخهم ابى بكر الرميمى ، ومكاتبتهم لعبد العزيز بن عبد الرحمن

بلنسية وحضور هذا الأخير إلى المريه وما كان من أمر مجاهد العامرى صاحب دانيه مع عبد العزيز واضطراره إلى مغادرة المريه والذهاب إلى بلنسيه بعد ان ترك على حكمها ابنه عبد الملك واستوزر له ذا الوزارتين ابا الأحوص معن بن صمادح ، ثم استقلال معن بن صمادح بالمريه .

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن المريه فى ظل بنى صمادح حتى استيلاء المرابطين عليها ، مستهلا الكتابه فيه عن اصل بنى صمادح وأوليتهم فى الأندلس وعن أستوزار عبد العزيز بن أبى عامر لمعن بن صمادح ، وانتزاء معن بحكم المريه ، ثم تكلمت عن سياسة معن مع باديس صاحب غرناطه ؛ ودور معن بن صمادح فى أستقرار الأمور بالمريه حتى وفاته سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) ، ثم تحدثت عن ابنه وخليفته ابى يحيى محمد بن معن بن صمادح الملقب بالمعتصم بالله ، الذى نصب واليا على المريه وهو حدث قاصر لم يبلغ الرشد بعد ، والأثار التى ترتبت على ذلك من مطامع لا حدود لها فى السيطرة على البلاد ، وثورات تحتدم فى المدن التابعة للمريه كثورة ابن شبيب على لورقه ، ومساندة المنصور بن عبد العزيز بن ابى عامر له ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الحلف القائم بين مرية المعتصم وغرناطة باديس وما بذله الأخير لحليفه من نصره وعون لمواجهة ثورة ابن شبيب ثم تحدثت عن حملة المعتصم على احد حصون تدمير التابعة للمنصور بن عبد العزيز حليف ابن شبيب ، كما ابرزت الدور الذى قام به ابن نغرالة اليهودى وزير ابن باديس فى توتر العلاقات بين المريه وغرناطه وتذبذب هذه العلاقات وديه وعدائيه فى حياة باديس وبعد وفاته إلى ان لجأ ابن ملحان قائد مدينة بسطه — من أعمال غرناطه — إلى المعتصم وسهل له مهمة الاستيلاء عليها وعلى حصن شابش ، هذا بالإضافه إلى الدور الذى لعبه سماجه

وزير الأمير عبد الله فى تحقير دولة الأخير عند المعتصم وتشجيعه إياه على انتزاع غرناطه وما كان من أمر التحصينات التى اعدها الأمير عبدالله لمواجهة خطر المريه ، ثم المهادنة والسلم بين المعتصم والأمير عبد الله ، ولم يفتنى ان اتطرق إلى السياسة الداخليه للمعتصم فأشرت إلى أعمال المعتصم العمرانية ، وتألق الادب والفنون فى عصره ، كما أشرت إلى مجالسه الادبيه . ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الوضع السياسى للاندلس عشية دخول المرابطين ، واسباب استدعاء المرابطين للجهاد فى الاندلس والحث بايجار إلى موقعه الزلاقه مع إبراز الدور الذى أسهمت به المريه . ثم تحدثت عن الجواز الثانى ليوسف بن تاشفين إلى الاندلس واسهامه فى محاصرة حصن لييط واشتراك المعتصم بنفسه فى هذه الحمله ، ثم عن الجواز الثالث لابن تاشفين وشروعه فى الاطـــاحة بملوك الطوائف إلى ان استولت قواته على المريه فى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) .

أما الباب الثانى من الرسالة ، فقد خصصته لدراسة أهم مظاهر الحضارة فى المريه . ويتضمن ثلاثه فصول ، أولها يدور حول عمران المريه وتطوره مع دراسة لأهم آثارها الباقية وقسمت هذه الآثار إلى : ١ — آثار حربيه ، وتشتمل على دراسه القصبه واسوار المدينة وابوابها . ٢ — آثار مدنية ، وتتعلق بدراسة قصر الامارة والصمادحية وبقايا منزل عربى بالمريه إتخذته انموذجا لنظام الدور الاسلامية فى العصر موضوع الدراسة . ٣ — آثار دينيه ونقتصر على دراسة بقايا المسجد الجـامع ، ثم مقبرتين تقعان خارج أسوار ربضى المريه .

والفصل الثانى من هذا الباب ، يعالج الحياه الاقتصاديه في المريه وهو

فموضوع واسع يتضمن جوانب اقتصاديه متعددة أولها ما يتعلق بحاصلات الاقليم الزراعية وبعض الفنون الصناعية كصناعة النسيج والصناعات القائمة على الرخام ، وأخيراً التجارة وما يتصل بها من دراسة الاسواق الخارجية وطرق التجارة بريا وبحريا .

وخصصت الفصل الثالث والأخير لدراسة الحركة العلميه بالمريه ، فقدمت لهذا الفصل بحديث عام عن الحركة العلميه فى الأندلس فى عصر الخلافة وعصر الطوائف كمدخل لتأريخ الحركة العلمية فى لمدينة المريه ، وفى هذه المقدمة القصيرة تحدثت عن الحياه الأدبية فى المرية وابرز ادبائها وشعرائها سواء من اهلها او من وفدوا عليها ثم تكلمت عن تقدم العلوم اللغويه والدينية فى المريه وبروز عدد من علماء النحو واللغة والتفسير وعلم القراءات من اهل المريه . وانتهيت بدراسة الجانب الجغرافى من هذه الحركة العلمية وضمنته الحديث عن اشهر جغرافيي هذه المدينة واعنى به احمد بن عمر بن انس مع دراسة لمنهجه فى كتابه « ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك » .

واختتمت الرسالة بخاتمه ضمنتها اهم النتائج التى توصلت إليها فى بحثى .

ولا يفوتنى بهذه المناسبة ان اقدم عظيم شكرى وامتنانى وتقديرى لاستاذى الفاضل الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، لما اولانى من رعاية وتشجيع ، وما حبانى به من عطف ، وما قدمه لى من سديد النصح والارشاد كذلك اشكر لسيادته تلك الساعات الطوال التى لم يبخل بها على على الرغم من كثرة مشاغله يعيننى فيها على فهم نص غمض على تحقيقه ، او فى ترجمة

لص اسبانى صعب على فهمه ، كما فتح لى سيادته باب مكتبته العامرة وامدنى بما احتاجه منها ، وبمؤلفاته الخاصة فجزاه الله عن العلم وعنى خير الجزاء .

والله ولى التوفيق

محمد احمد عبده ابو الفضل

الإسكندريه فى ١٦ ذى القعده ١٤٠١ هـ

١٤ سبتمبر ١٩٨١ م

ثانياً : عرض لأهم مصادر البحث

أعتمدت فى بحثى على عدد من المصادر العربيه المتخصصه فى التاريخ والجغرافيه والادب والتراجم ، بعضها معاصر للاحداث كمذكرات الامير عبد الله الزيرى وكتاب المقتبس لابن حيان وكتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار للعذرى ، وبعضها الآخر متأخر عن العصر موضوع الدراسه ولكن مصنفيها ضمنوا هذه التواليف نقولا من مصادر كانت تعاصر الاحداث موضوع الرسالة ، ولكنها فقدت ، ومن هنا يمكننا ان نقدر القيمه العلميه لهذه المصادر . وفيما يلى عرض لاهم مصادر البحث :

أولا : المصادر التاريخية :

١ - ابن حيان القرطبي (ابو مروان بن حيان بن خلف) ، ٣٧٧ - ٤٦٩ ﻫ ، ٩٧٧ - ١٠٧١ م) .

يعد من أعظم مؤرخى الإسلام ، وهو بلا جدال شيخ مؤرخى الاندلس بوجه عام ولهذا العصر بوجه خاص [١] ، انتظم ابو مروان فى سلك وظائف الدولة ، وشغل منصب « صاحب الشرطه » [٢] ثم اسندت إليه مهمة « املاء الذكر فى ديوان السلطان » وهو العمل الذى يصرح ابن حيان بأنه كان يليق بتحرفه [٣] .

---

(١) راجع البحث القيم الذى أعده الدكتور محمود على مكى فى مقدمة المقتبس لابن حيان القسم الخاص بعبد الرحمن الاوسط) من ص ٧ الى ص ١٢٧ ، القاهرة ١٣٩٠ ﻫ ، ١١٧١ م .

(٢) المقرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ﺟ ٢ ، المكتبه التجارية الكبرى ، ١٣٦٧ ﻫ — ١٩٤٩ م ص ١٠٢ .

(٣) ابن بسام (أبو الحسن على) : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ ، م ٢ القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١١٨ .

وقد صنف ابن حيان عدداً كبيراً من الكتب لا يقل عن خمسين[١] ولكن للاسف لم يصل إلينا من هذه المؤلفات كلها إلا أجزاء يسيرة نذكر منها :

المقتبس فى أخبار الاندلس : ويتناول تاريخ الاندلس منذ ان افتتحها طارق بن زياد إلى اواخر القرن الرابع الهجرى ، وقد اقتبس ابن حيان مادته من مصنفات قدامى مؤرخى الاندلس وعلى الاخص عيسى الرازى ، ولذلك أسماه ابن حيان المقتبس ، وللاسف لم يتبق من هذا الكتاب الضخم الذى كان يضم عشرة اجزاء [٢] إلا خمس قطع منفصلة :

القطعة الاولى : وتتناول عصر الحكم الربضى وجزءاً من عصر عبد الرحمن الاوسط وكانت فى حوزة المستشرق الفرنسي ليفى بروفنسال الذى إنتفع منها فى ابحاثه ، ولكنها اختفت بعد وفاته [٣].

القطعة الثانية : تتناول الجزء الاخير من إمارة عبد الرحمن الاوسط ، والشطر الاعظم من إمارة إبنه محمد بن عبد الرحمن ، وقد نشر الدكتور محمود على مكى الجزء الخاص بعبد الرحمن الاوسط ، القاهرة ١٩٧١ .

القطعة الثالثه . وتعلق بعصر الامير عبد الله الامـوى ، نشرها الاب ملتشور انطونيا بالاسكوريال سنة ١٩٣٠ .

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥١ من مقدمة المحقق .

(٢) بالنثيا ، أنخل جونثالث : تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٢٠٨ .

(٣) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى نماذج لأم المصادر العربية والحوليات الاسبانية التى تأثرت بها ، (عالم الفكر) ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، أبريل مايو ، يونيو ١٩٧٧ ، ص ٤٨ .

القطعة الرابعة : تتناول عهد عبد الرحمن الناصر ، وما تزال مخطوطه .

القطعة الخامسه : تتناول خمس سنوات من عصر الحكم المستنصر ، نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت سنة ١٩٦٥ .

هذا وقد اعتمدنا فى دراستنا للفصل الاول من الباب الأول على القطع الثلاثه الاخيره ، فقد أمدتنا القطعه الثالثه بمعلومات وافيه عن مدينه بجانة ودور البحريين فيها وعلاقتهم بسوار بن حمدون امير عرب غرناطه وخليفته ابن جودى ، هذا بالاضافه إلى اخبار الغزوه البحريه التى قام بها شنير قومس أنبورس بقطلونيه على المريه ، اما القطعه الرابعة فتضمنت رواية ابن حيان عن النشاط البحرى الاسلامى فى عصر عبد الرحمن الناصر لا سيما الغزوتان التى قام بها الاسطول الاندلسى من قاعدة المريه البحريه فى عامى ٣٢١ هـ ، ٣٢٣ هـ ، ومن الجدير بالذكر ان ابن حيان انفرد وحده دون غيره من المؤرخين بذكرها ، أما القطعه الخامسه ، فتتضمن اخباراً تشير إلى اهتمام الحكم المستنصر بالمريه قاعدة اسطول الاندلس وقيامه بزيارتها وتعهد تحصيناتها الدفاعيه .

ولهذه القطع اهميه تاريخيه عظمى فقد ساعدت على سد ثغرات عميقه فى تاريخ الاندلس فى عصر الدوله الامويه ثم ان روايات ابن حيان تحظى بثقة المؤرخين لدقتها وصدقها [١] وحيدتها هذا إلى ما إتصف به صاحبها من قدره تحليليه صائبه [٢] ، وما تميز به اسلوبه التاريخى من بساطه وطاقه تعبيريه ، وبالاضافه إلى المقتبس ألف ابن حيان كتابه « المتين » ، وكان يقع فى ستين مجلداً ، والكتاب مفقود ، ولم يتبق منه سوى فقرات رواها بعض من أتى من بعده من الكتاب كأبن بسام وابن الخطيب [٣] ، ومن هذه النقول يتبين

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢١١ .

(٢) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى ، ص ٤٩ .

(٣) بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

لنا اهميه هذا الكتاب المفقود حيث انه يؤرخ لفترة هامة وحاسمة في تاريخ الاندلس منذ اوائل القرن الخامس الهجرى حتى قبيل وفاة المؤلف ، وهى فترة حافلة بالاحداث .

٢ ـ ابن عذارى المراكشى ، (ت : فى اواخر القرن السابع الهجرى)

« البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب »

يعتبر هذا الكتاب اهم مصادر تاريخ المغرب والاندلس فى العصر الاسلامى ، تناول فيه هذا التاريخ منذ الفتح الاسلامى حتى اواخر القرن السادس الهجرى ، وقد اعتمد فيه على مصادر مغربيه واندلسيه ترجع الى القرنين الخامس والسادس الهجرى اشار اليها ابن عذارى فى مؤلفه منها البكرى وابن الرقيق والقضاعى ، وابن شرف وغيرهم [١]

ويقسم ابن عذارى « البيان المغرب » الى ثلاثة اجزاء ، الاول يشتمل على اخبار افريقية منذ الفتح الاول فى خلافة عثمان ، حتى ظهور المرابطين ، والجزء الثانى خصصه لتاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى دخول اللمتونين الاندلس فى سنه ٤٧٨ هـ ، اما الجزء الثالث ، فيتضمن تاريخ دولتى المرابطين والموحدين حتى انقراض دولة الموحدين وقيام الدول الوارثة لهم فى المغرب .

وقد اعتمدت فى بحثى بوجه خاص على القسم الثالث من البيان [٢] ، ويتضمن اخبارا هامه عن الدوله العامريه ، والسنوات الاخيرة من عصر

---

(١) السيد عبد العزيز سالم . المغرب الكبير ، جـ ٢ ، الدار القوميه للطباعة والنشر ١٩٦٦ ص ١٠١ .

(٢) ابن عذارى : كتاب البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، جـ ٣ ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (بدون تاريخ) .

الخلافه واحداث الفتنة البربريه التي عجلت بسقوط الخلافه وقيام دويلات الطوائف ، ورواية ابن عذارى عن الدور الذى لعبة خيران فى احداث الخلافه بقرطبة وكذلك خليفته زهير العامرى من الروايات الهامه التى عولت عليها فى تأريخى لاحداث المريه قبيل انتزاء خيران العامرى بها كذلك اعتمدت عليه فيما اوردة من روايات عن بنى صمادح بالمريه ، وهى روايات ساعدت كثيرا فى اجلاء ماغمض من احداث الفترة التى تلت انهيار الدولة العامريه وبخاصة انتزاء الفتيان العامريين بشرق الاندلس واعانتنا كثيرا فى دراستنا التاريخية للفصلين الثانى والثالث : ولاشك ان اهمية هذه الروايات — رغم ان مؤرخنا من مؤرخى القرن السابع الهجرى — ترجع الى استقائة هذه الاخبار ونقلها عن عدد من المصادر المغربية والاندلسية السابقة عليه .

٣ — ابن بلقين : مذكرات الامير عبد الله اخر ملوك بنى زيرى بغرناطه (٤٦٩ — ٤٨٣ هـ ، ١٠٧٧ — ١٠٩٠م) المسماه بكتاب التبيان .

يرتفع نسب الامير عبد الله بن بلقين اخر ملوك غرناطة فى عصر الطوائف الى اسرة بنى زيرى الصنهاجيه فجده هو باديس بن حبوس بن زيرى بن مناد الصنهاجى . ولد عبد الله فى سنه ٤٤٧ هـ (١٠٥٦م) ، ونصب عقب وفاة ابن بلقين سيف الدولة سنه ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) ، ولياً لعهد جدة الامير باديس بن حبوس ، وفى سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٧ م) اعتلى عرش غرناطة وظل يؤدى هذا الدور الى ان عزله المرابطون عن ملكة ونفوة بمدينة اغمات فى جنوب المغرب الاقصى ، حيث قضى بقيه عمرة [١] ، وفى اغمات دون الامير عبد الله مذكراته الخاصة التى تتضمن اخبارا تاريخية عن عصر ملوك الطوائف

---

(١) مذكرات الامير عبد الله ، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ، ص ٧ ، ٨ من المقدمة .

بوجه عام على درجة كبيرة من الاهمية [١] . وتعتبر هذه المذكرات وثيقه سيكولوجية من الطراز الاول، تساعد على الحكم على حالة الانحلال الاجتماعى والتفكك السياسى فى الاندلس قبيل معركة الزلاقه وفى اعقابها بالاضافة الى انها تسد فراغا كبيرا فى تاريخ الاندلس زمن الطوائف ابتداء من الفترة التى تنتهى فيها مرويات ابن حيان [٢] كذلك تمدنا هذه المذكرات بكثير من المعلومات عن العلاقات السياسية بين امارتى المريه وغرناطه ، علاوه على ماجاء بها من تصوير صادق لحالة دويلات الطوائف قبل وبعد معركة الزلاقة .

٤ ـ ابن الخطيب (لسان الدين) ، ٧١٣ — ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ — ١٣٧٤ م ،

يعتبر ابن الخطيب اخر كاتب عظيم انجبته الاندلس [٣] ، فقد صنف عددا كبيرا من المصنفات ، نذكر منها مااعتمدت عليه فى دراستى :

« كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وماجر ذلك من شجون الكلام » .

وقد اعتمدت فى بحثى بوجه خاص على القسم الثانى الخاص بالاندلس [٤]

---

(١) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى ، ص ٦٠ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٩ من المقدمة .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٥٩ ؛ راجع أيضا حول ترجمة ابن الخطيب المرجع السابق من ص ٢٥٢ الى ص ٢٥٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ ٢ ، من ص ١٠٥ الى ص ١٠٧ ، أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، من ص ٣٦١ الى ص ٣٦٨ ، وله أيضا ، من التراث العربى الاسبانى ، (عالم الفكر) ، من ص ٦٥ الى ص ٦٧ .

(٤) ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الاعلام ، (القسم الثانى) ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المكشوف ، طبعه بيروت ، ١٩٥٦ .

ويتضمن روايات هامه عن الدوله العامرية ، وأحداث الفتنه البربريه التى عجلت بسقوط الخلافة بقرطبه وقيام دويلات الطوائف ، وفيما اوردة من اخبار هامه عن خيران وزهير العامريين وبنى صمادح بالمريه ، ساعدت كثيرا فى دراستنا التاريخيه لكلا الفصلين الثانى والثالث .

ثانيا : كتب الجغرافية :

١ - العذرى (احمد بن عمر بن انس) ٣٩٣ – ٤٧٨ هـ / ١٠٠٢ – ١٠٨٥ م ،

« ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك »

مصدر جغرافى هام لاغناء عنه لاى باحث فى تاريخ الاندلس ،ويتضمن الكتاب مجموعة من الاخبار المتعلقة بمدينة المريه فى عصر الطوائف سدت فراغا كبيرا فى الدراسة التاريخية التى اعددتها . والكتاب بالاضافة الى ذلك يحتوى مادة جغرافية على قدر كبير من الاهمية بالنسبة لطبوغرافية المريه وما يتعلق بثرواتها الزراعيه والصناعيه ، وقد تولى الدكتور عبد العزيز الاهوانى تحقيق هذا الكتاب واصدره فى مدريد عام ١٩٦٥ ، وهذا الجزء المنشور لا يتجاوز عشر حجم الكتاب على حد قول محققه (١).

٢ — الادريسى (ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن ادريس) ، المعروف بالشريف الادريسى ، (٤٩٣ – ٥٦٤ هـ / ١٠٩٩ – ١١٦٩ م)

وهو حفيد ادريس الثانى الحموى امير مالقه ، ويبدو انه درس فى قرطبه ،

(١) العذرى (أحمد بن عمر بن ابن أنس المعروف بأبن الدلائى) : ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص أ من مقدمة المحقق .

وقام بأسفار كثيره فى العالم الاسلامى شرقيه وغربيه .

وكتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (١) يعتبر اعظم عمـــل جغرافى عربى خاصة مايتعلق ببلاد المغرب والأندلس ، والكتاب غنى بالماده الجغرافيه والتاريخيه التى سجلها المصنف كثمرة لمشاهداته اثناء رحلاته ووصفه لمريه يتضمن حقائق هامه تعيننا على تصور ما كان عليه عمرانها فى عصر الخلافه وعصر الطوائف ، وعلى الرغم من ان حديثه عن صناعات المريه وعلى الأخص صناعة النسيـج يتعلق بنشاطها الصناعى فى عصر المرابطين إلا اننا اعتمدنا عليه ايضاً فى تصورنا للاوضاع الاقتصادية فى المريه قبل عصر المرابطين .

٣ - الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ، ت ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م

« كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار » (٢)

على الرغم من ان لحمـيرى من رجال القرن التاسع الهجرى إلا ان كـتابه يعتبر من الركائز الهامه للباحثين فى تاريخ الأندلس وحضارتها فى العصـــر الإسلامى (٣) . فهو إلى جانب كونه معجماً جغرافيا لمدن الأندلس ، يتضمن معلومات تاريخيه نقلها من مصادر قديمه ضاعت .

٤ - معجم البلدان لياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله)، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م

معجم جغرافى للعالم الإسلامى ، يمتاز باتساع مادته وغزارتها ، ويجمع بين

---

(١) الادريسى (الشريف محمد) ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، نشره دى غوية ودوزى ، ليدن ١٨٦٦ .

(٢) الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار ، نشرها ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣١ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١١ .

الماده التاريخيه والأدبيه والجغرافيه ، وتظهر فيه معرفة مؤلفه الواسعة بالعالم الإسلامى من خلال تجاراته واسفاره فى انحائه ، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر بالإضافه إلى اعتماده على النقل من كتب التاريخ والجغرافيه بأمانه ، مسنداً كل ما ينقله من ماده جغرافيه إلى مصادرها الأصليه [١] . وقد اعتمدت عليه اعتماداً خاصاً فى تحقيق بعض المواضع الأندلسيه .

ثالثاً كتب الأدب والشعر :

١ - ابن بسام (ابو الحسن على) ، ت ٥٤٢ هـ ١١٤٧ م .

من أهل الأدب ، صنف موسوعه ادبيه تاريخيه بعنوان « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » ، احتوت تراث القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، وتنحصر اهمية هذه الموسوعه فى تاريخ الأندلس انها تضمنت نصوص طويله من كتاب المتين - وهو كتابه مفقود - لابن حيان ، بالإضافه إلى ما تضمنته هذه الموسوعة من تراجم ادبيه لأهل هذا القرن . والكتاب ينقسم إلى اربعه اقسام على حسب الأقاليم الجغرافيه الأندلسيه ويتضمن كل قسم منها تاريخ هذا الأقليم وتراجم عن ملوكه وامرائه وشعرائه .

والجدير بالذكر انه ، فضلا عما نقله ابن بسام من ماده قيمه للمؤرخ ابن حيان فانه يقدم الينا نبذا تاريخيه بقلمه ، تعطى صورة متكاملة للحياه الأدبيه والاجتماعيه علاوه على مجموعة حافلة من تراجم امرائه واعيانه ووزرائه وكتابه وشعرائه ومختارات عديده من رسائلهم ، ومنثورهم ومنظومهم ، افدت منها كثيراً وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الحركة العلمية فى المريه .

(١) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ص ١٩٦ ؟

٢ - ابن خاقان (ابو نصر الفتح محمد بن عبد الله القيسي)[١] ، ت ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م .

من أهل الأدب ، متمكناً من اللغه والقدره على صياغة الكلام ، تميز اسلوبه بالنثر المسجوع ، من اهم ما ألف كتابين من المختارات الأدبيه والتاريخيه وهما : « مطمح الأنفس ومسرح التأنس » ، « وقلائد العقيان ومحاسن الأعيان » .

يقدم لنا فى كتابه « مطمح الأنفس ومسرح التأنس » تراجم لرجالات الأندلس ، ويكرر فى كتابه « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » بعض أجزائه من المطمح ويقسمه إلى اربعة اقسام : الأول « فى محاسن الرؤساء وابنائهم ودرج انموذجات من مستعذب ابنائهم » ، والثانى ، « فى غرر حلية الوزراء وفقر للكتاب والبلغاء » ، والثالث ، « فى لمع اعيان القضاة ولمع اعلام العلماء السراه » ، والرابع ، « فى بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء » . وتتميز كتابات ابن خاقان بالاسلوب المسجوع المتكلف ، وترجع اهميتها إلى انها تتضمن معلومات تاريخيه هامه هذا إلى قيمتها الأدبيه العظيمه وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسة الأدبية لرجال هذا العصر .

٣ - المقرى (أبا العباس احمد بن محمد بن احمد بن ابى العيش) ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م .

« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب »[٢] .

---

(١) ينحدر أصله من قرية « صخرة الولد » على مقربة من قلعة يحصب ، من أعمال غرناطه (راجع ، بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٦) .

(٢) المقري (أبو العباس أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس =

يعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية فى تاريخ الأندلس والمغرب ، وتنحصر أهميته لما تضمنه من روايات هامه لمؤلفات سابقه ضاع معظمها وعلى سبيل المثال ، كتاب « مزية المريه ، على غيرها من البلاد الأندلسيه » لأبى جعفر بن خاتمه ضم تاريخاً حافلا وقد صرح المقرى بأنه تركه ضمن كتبه بالمغرب [١]. وهذه الروايات أوردها المقرى فى موسوعته فى غير نظام ، ولكن فى دقة وضبط حسن [٢].

وقد إستفدت كثيراً من هذا الكتاب فيما أورده من روايات عن نشاط حركه بناء المدن الإسلاميه وكذلك عن اهتمام الخليفة الناصر وحبه للبناء والتشييد ، علاوه على ما تضمنه من أخبار عن الأعوام التى سبقت انهيار الخلافه الأموية ، يضاف إلى ذلك ما أورده من أخبار عن الصقالبه وأماكن إستجلابهم ، هذا إلى معلومات عن حالة الأندلس قبيل دخول المرابطين، اعانتنى كثيراً فى دراستى للقسم التاريخى من الرساله وإلى جانب هذا كله يضم تراجم عديدة لبعض شعراء وشاعرات المريه وأدبائها ساعدتنى بقدر كبير فى دراستى للحركة العلمية فى المريه .

رابعاً : كتب التراجم :

كما اعتمدت على كتب التراجم الأندلسية ومن بينها :

تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى [٣] ، كتاب الصله

= الطيب ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، عشرة اجزاء ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٤٩ .

(١) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٥٢ .

(٣) ابن الفرضى (أبو الوليد ، عبد الله بن محمد) . تاريخ علماء الاندلس ، =

لابن بشكوال (١) ، كتاب التكملة لكتاب الصله لابن الابار (٢) ، وكتاب المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى لابن الابار (٣) ، وكتاب الحله السيراء لابن الابار (٤) ، افدت منها كثيراً إذ تلقى ضوءاً كافياً على حياة شخصيات علميه جليله لعبت دوراً كبيراً فى تنشيط الحركة الفكرية فى الأندلس بوجه عام والمريه على وجه الخصوص .

خامساً : كتب الرحلات :

ابن سعيد المغربى (أبو الحسن علي بن موسى) ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م .

« المغرب فى حلي المغرب » (٥) .

وهذا المؤلف ضاع معظمه ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطه تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة فى الأندلس من العصر الأموى حتى نهاية عصر الموحدين أعانتنى فى دراستى لبعض الشخصيات الهامة فى المريه ومنها على سبيل المثال شخصية الوزير الأديب أحمد بن عباس وغيره .

= نشر كوديره الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٦ .

(١) ابن بشكوال (أبوالقاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس جزئين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٩ .

(٢) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاعى) التكملة لكتاب الصلة ، جزئين مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ .

(٣) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاعى) : المعجم من أصحاب القاضى الامام أبى عبدالله الصدفى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

(٤) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاعى) الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس الطبعة الأولى ، جزئين ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

(٥) ابن سعيد المغربى (على بن موسى) : المغرب فى حلى المغرب ، جزءان ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ .



الباب الأول

التاريخ السياسى



الفصل الأول

تأسيس مدينة المريه واهمية موقعها

شهدت الاندلس في العصر الاموي نشاطا واضحا سجلة امراء هذه الدولة وخلفاؤها الذين كانوا يحرصون على احاطة دولتهم بكل مظاهر الترف والفخامة احياء لحضارتهم في المشرق ، ولهذا السبب انطلق أمويو الأندلس بكل طاقاتهم الى تشجيع البنيان وتعمير المدن [1] .

وأول من نشط في هذا المجال من الامراء الامويين بالاندلس الامير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ – ١٧٢ هـ ٧٥٦ – ٧٨٨ م) ، مؤسس الدولة وذلك عندما اقدم على انشاء مدينة الرصافة التي اعتبرت ربضا شمالياً لقرطبه احياء لذكرى رصافه هشام بأرض الشام [2] ، ويليه في هذا المضمار الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م) الذي ينسب إليه بنيان مدينة مرسية [3] . وفي عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط (٢٣٨-

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٢ ص ٥٤ .

(٢) المقرى (أحمد بن محمد) . نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، جـ ٢ ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ١٢ ، وأنظر أيضا ، السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جـ ١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٤٩ ، أحمد مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والاندلس مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص ١١٣ .

(٣) ابن سعيد (على بن موسى المغربي) : المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف جـ ١ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ ، ص ٤٨ ، الحميرى (أبو عبد الله محمد بن =

٢٧٢ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٥م) ، أسست مدينة بجانه [١] و بطليوس [٢] .

أما مدينة المريه موضوع هذا البحث فقد كان انشاؤها من أجل مآثر الخليفه عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، فقد أمر ببنائها فى عام ٣٤٤ هـ (٩٥٥م) [٣] ، لتكون مرقبا للساحل الجنوبى الشرقى للانـدلس وقاعـدة بحرية رئيسية للاسطول الاموى ، وكان الناصر اكثر خلفاء بنى اميه ولعاً بالبناء والتشييد [٤] ، اذ كان يربط بين البنيان والعظمة والسطوه والسلطان [٥] ولهذا فان مدينة المرية تدخل فى نطـاق المدن المحدثة [٦] . وسوف نهتم فى هذا الفصل بدراسة الخصائص الجغرافية لمدينة المرية ثم تأسيس مدينة بجانة

= عبد الله) : كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار تحقيق ليفى بروفنسال ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ١٨١ .

(١) ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(٢) ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبى) ، تاريخ أفتتاح الاندلس تحقيق خوليان ريبيرا ، مدريد ١٩٢٦ ، ص ١٠ .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٣ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، وينسبون الى الخليفة عبد الرحمن الناصر هذه الابيات :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان

ان البناء اذا تعاظم قدره ... أضحى يدل على عظيم الشان

(المقرى ، نفس المصدر والجزء ، ص ٦٢) .

(٦) ابن حوقل (أبو القاسم) ، كتاب صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٤٤ .

واثرة فى قيام المريه ، ونختم الفصل بدراسة عن المريه كقاعدة بحرية لاسطول الاندلس فى البحر المتوسط.

اولا : الخصائص الجغرافية لمدينة المريه

الموقع :

تقع المريه – كما يحدد الجغرافيون القدماء بين – مدينتى مالقه ومرسيه ، على ساحل بحر الزقاق [١] ، وكانت تشغل نفس الموقع الذى تقوم عليه مدينة المريه الحالية وفى البقعة المعروفة باسمها من السهل الرسوبى الممتد مابين البحر وسلاسل الجبال الملاصقة لسلسلة جبال جادور [٢] « Sierra de Gador » ويحدها من الشرق فحص مثلث الشكل واراض منبسطة فى امتداد متصل يبلغ ثمانية اميال تقريبا شرقى المرية بين سلسلة جبال رأس القبطة فى الجنوب الشرقى من المريه وجبل الحمة فى الشمال الشرقى منها [٣] .

وهكذا تحوط المريه مرتفعات وجبال من كل جهة باستثناء الجهة الجنوبية والبحر الشرقى ، ويسجل الشريف الادريسى هذه الحقيقة فى قوله :

---

(١) ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر) : تقويم البلدان ، تحقيق دى سلان De slane ، باريس ، ١٨٤٠ ، ص ١٧٦ وما يليها .

(٢) Enciclopedia de la cultura Espanola, tomo I, Madrid, 1963, P. 248.

(٣) Torres Balbas (Leopoldo : Almeria Islamica, El Andalus, Vol XXII, 1957, pp. 411 – 412.,

وانظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الاندلس ، الطبعة الاولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٣ ، ١٤ .

« وموضع المريه من كل جهه استدارت به صخور مكدسة ، واحجار صلبة مضرسة ، لا تراب عليها ، كأنما غربلت ارضها من التراب ، وقصد موضعها بالحجر » [١] ، والى الشمال الغربى من المرية وعلى بعد نحو ثلثمائة وخمسين مترا من الساحل تتدرج الارض فى الارتفاع طولا بحذاء الساحل ، وعلى هذا النشز المرتفع تقوم قصبة المريه فى الوقت الحاضر : على ارتفاع يصل الى ستمائة وخمسين مترا فوق مستوى سطح البحر ، وتكتنف هذا النشز أجراف شديدة الانحدار[٢] ، وينحدر من جانبيه المتطرفين الشرقى والغربى واديان صغيران يسميان رامبلاس« Ramblas » ، والتسمية مشتقة - كما هو واضح - من كلمة « رملة » والسبب فى تلك التسمية يرجع ان مجرى كل من هذين الواديين أراض رملية رخوة ، ويفصل هذا المرتفع عن الجبل الشمالى الذى يماثله فى الارتفاع والامتداد أخدود عميق فسيح كان يعرف بأسم خندق « باب موسى » وكان خندقاً معموراً فى القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجرى ، ويصف الإدريسى هذا الموضع بقوله : «والمريه فى ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة الحصانة والجبل الثانى منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم » [٣] .

وكان لموقع المريه الرائع فى جنوب شرقى الاندلس وعلى خليج واسع

---

(١) الادريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) : صفة المغرب وارض السودان ومصر ،والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، تحقيق دى غويه ودوزى ، ليدن ، ١٨٦٤ ، ص ١٩٨ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٣) الادريسى : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، وراجع أيضاً ، الحميرى ، الروض المعطار ص ١٨٤ .

عميق يحميها من الرياح أعظم الاثر فيما حظيت به من شهرة تجارية تجاوزت الافاق بحيث اصبحت بحق باب الشرق ومفتاح الرزق [١] .

المناخ :

ويسود المريه مناخ معتدل يسوده الجفاف ، فهى تتمتع دائما بحرارة معتدله وسماء صحو أغلب أيام السنة ، والامطار تكاد تكون شحيحة فى فصل الشتاء [٢] ، ومع هذا فلا تصلح المريه لأن تكون مشتى من المشاتى الجيدة نظراً لتعرضها للرياح الشرقية الجافة المحملة بغبار ابيض ذى طبيعه ملحية بسبب الصخور الملحية المحيطة بها [٣] ، وندرة تعرضها للرياح الغربية الملطفة .

وقد ساعد على جفاف المريه ان شعاب الجبال التى شقتها السيول فى اتجاه البحر عميقة ، ولهذا قلما تحتفظ بمياه الامطار لجريانها السريع نحو البحر [٤] .

ثانياً : تأسيس مدينة بجانه واثره فى قيام المريه

تقوم المريه الاسلامية فى موضع كانت تشغله بؤرة عمرانية قديمة ، اسسها الفينيقيون عرفت باسم باستولس Bastulos ، خضعت بعد ذلك لحكم القرطاجنيين والرومان ؛ ونظراً لموقعها الجغرافى الممتاز اطلق عليها الرومان

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١٧٧ .

(٢) يصف ابن الخطيب (لسان الدين) : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس (مجموعة رسائله) تحقيق أحمد مختار العبادى ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٨٢ ، ندرة هذه الامطار بقوله : (وسماؤها (أى المرية) بخيله ، وبروقها لا تصدق منها مخيلة) .

(٣) Enciclopedia de la cultura, Tomo I. p 28

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٤ .

اسم بورتس ماجنس أو الميناء الكبير « Portus Magnus » ، كما سميت باسم برخيتانس Virgitanus ، ولعل ذلك لقربها من برجه Virgi « Berja »[١]، ولما كان موقع مدينة المريه القديم ارضا صخريه جرداء ذات طبيعة جافة لا تساعد على قيام تجمعات سكانية ؛ فقد اقتضى الأمر إنشاء مدينة في السهل المتوسط الواقع شماليها ويشقه نهر اندرش ، وعلى هذا النحو أسس الرومان مدينه بجانة الرومانية - في الطريق الممتد ما بين قسطلونه « Cazlona » ، ومالقه Malaga ، وعرف المركز العمراني الروماني باسم اورسي «Urci» وهو اسم ذكره بطليموس (٢) .

ثم اتخذ الموقع في عصر الامارة الأمويه وعلى الاخص في عصر الأمير عبد الرحمن الاوسط محرسا بحريا استناداً إلي قول الحميرى : « فاتخذها العرب مرآى ؛ وابتنيت بها محارس » (٣) . فكانت مرأى ، مرقبا بحريا لمدينه

---

(١) Enciclopedia, Op. cit , P 24٦.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٩ .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٣ ، وذكر ياقوت الحموى : « والمرية بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء منقطتين من تحتها ، يجوز أن يكون من مرى الدم يمرى اذا جرى والمرأة مرئية ، ويجوز أن يكون من الشيء المرى فحذفوا الهمزة (راجع : ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله) : معجم البلدان ، المجلد الخامس دار صادر بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١١٩) ، ويعتقد الاستاذ محمد الفاسي أن اسم المرية معناه المرآة الصغيرة ، (الاعلام الجغرافية الاندلسية ، مجلة البينة ، العدد ٣ يوليو ١٩٦٢ ، ص ٣٢) ، بينما يرى المستشرق دوزي ان اسم المرية لم يكن علما فى الأصل بل صفة لبرج يكون مشرفاً على البحر وتراه السفن من بعيد ، وعلى هذا أفترض ان اسم المرية من فعل رأى فيقولون للشيء هو مرء وهي مرية » =

بجانه التى لا تبعد عنها من جهة الشمال بأكثر من خمسة اميال وسدس الميل ، وعلى طريق العقبة ستة اميال [١] . ولذلك سميت بمرية بجانه ــ مثلما أطلق الاسم على « مرية بلش » وهي بلدة بالأندلس من اعمال ريه على ضفة النهر ، كانت مرسى يركب منه فى البحر إلى بلاد البربر فىالعدوه منالبرالأعظم [٢] ، ثم تحولت مريه بجانه إلى المريه بعد ان امر الخليفة عبد الرحمن الناصر ببنائها ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) [٣] .

ويتضح مما سبق ان تاريخ بناء المريه ارتبط ارتباطا وثيقا بمدينة بجانه ، لأنها كانت فى الأصل فرضتها ومريتها ومحرسها .

وبجانة مدينة محدثة ايضا ، اختطت فى عصر الدولة الاموية على أصول قديمة لقرية فى نفس مكانها كانت تعرف باسم Fundus Baianus [٤] ، امر

Dozy «R» : Supplement aux dictionnaires arabes, t. I paris = 1927, p 498b.

ويرجح الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى أن هذه الصفة أطلقت أيضا على مدينة الاسكندرية التى عبر عنها المثل الشعبى بعبارة « اسكندرية مرية » ، (ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، دار الكاتب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ، ص ١٧٢ ، ه ٢) .

(١) العذرى (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى) : نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٨٦ .

(٢) ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ١٢٠ .

(٣) أنظر ما فات من قبل ، ص ٢٦

(٤) Torres Balbas, Almeria Islamica. P. 416.,

وراجع أيضاً ، سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ١٦.

بتأسيسها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط [١] ، وعهد ببنائهـا لابن اسود [٢] . وكـان الهدف من انشاء مدينة بجانه ، حماية الساحل الجنوبى الشرقى من الاندلس بتوطين بعض الاسرات العربية فيها، فأنزل امراء الامويين جماعـه من العرب هم بنو سراج القضاعيون ، « وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل ، فكان ما ضمنوا من مرسى كذا إلى مرسى كـذا يسمى ارش اليمن ، اى عطيتهم بـ نحلتهم » [٣] ، وقد كـانت بجانه اشرف قرى ارش اليمن ودار سكنى ملكهم (فى موضع مدينة بجانه اليوم) ، مما جعل المستشرق الاسبانى توريس بالباس يؤكـد ان ارش كلمة معربة من ارسى Urci وهى المركز العمرانى القديم لمدينه بجانة [٤] ، بينما يرى الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ان لفظ Urci موضع قديم فى اقاليم ارش اليمن [٥] .

وكيفما كـان الامر ، فان مدينة بجانة حين انشائها كـانت تتكون من حارات متفرقة ، فهى تقع على الضفة اليسرى من نهر اندرش المعروف بوادى بجانه ، وكـان يتفرع من هذا النهر جدولان يشقان الارباض الشمالية ويتجاوزانها إلى الارباض القبلية [٦] .

ومن الجـدير بالذكر ان بنى سـراج القضاعيين كانوا يقومون بحراسة

---

(١) انظر ما فات هنا من قبل ، صـ ٢٥

(٢) ابن سعيد : المغرب ، حـ ٢ ، صـ ١٩٠

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، صـ ٣٧ .

(٤) Torres Balbas: op. cit., P. 418.

(٥) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الاموية «٧١١ ـ ٧٥٦ م » ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٩ ، صـ ٥٤١

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، صـ ٣٨ .

مايليهم من البحر ، ويحفظون الساحل ، وشيدوا لهذا الغرض برجا للمراقبة والحراسة بالقرب من مصب وادى بجانة ، فوق الجبل الذى تقوم عليه قصبة المريه فى الوقت الحاضر ، باعتبار ان هذا الجبل المرتفع من اصلح المواقع لهـذا الغرض ، وسموا موضع الحرس باسم « مرية بجانة » ، وتخذها العرب رباطا . وابتنيت فيها حارس ، كان الناس يتناوبونها ويرابطون فيها ولا عمارة فيها يؤمئذ ولا سكنى » [١] ، وذلك عندما قام النورمانديون بالأغارة على السواحل الاندلسيه والمغربية فى عام ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) .

وفى عام ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) نزل بمريه بجانة وكانت تحت سيطرة بنى سراج القضاعيين - جماعة من البحريين الاندلسيين على رأسهم الكركرنى وأبو عايشة والصقر وصهيب ، كانوا بادىء ذى بدء يعبرون بسفنهم ما بين الساحل الجنوبى الشرقى للاندلس وساحل مدينة تنس الماينة بإفريقية ، وهم الذين اسسوا هذه المدينة الافريقية فى عام ٢٦٢ هـ (٨٧٥ م) ، وسكنها فريقان من أهل الاندلس من اهل البيره وتدمير ، ثم انتقل بربر ذلك الاقاليم إلى سكناها ورغبوا فى الانتقال إلى قلعة تنس واستأذنوا البحريين فى ان يتخذوها سوقا ودار سكنى نظير قديم المعونة وحسن المجاورة والعشرة فأجابهم البحريون إلى ذلك ، وانتقلوا إلى القلعة ، ويذكر البكرى بانه « لما دخل عليهم الربيع اعتلوا واستوبوا الموضع ، فركب البحريون من اهل الاندلس مراكبهم ، واظهروا لمن بقى منهم انهم يمتارون ، فحينئذ نزلوا مرية بجانه ، وتغلبوا عليها [٢] .

---

(١) العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .

(٢) البكرى « أبو عبيد الله بن عبد العزيز » : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر دى سلان ، الطبعة الثانية ، باريس ، ١٩١١ ، ص ٦١ .

وهذا الحديث ينقلنا إلى التعرض لبدء ظهور البحريين فى الاندلس . فقد كان معظم هؤلاء البحريين الاندلسيين من أصول اسبانية واقلهم عرباً وبربراً [١] ، توفرت لديهم خبرات بحرية لا حد لها توارثوها جيلا بعد جيل ولحمة أثر لحمة ، وعمد هؤلاء البحريون إلى تأسيس قواعد لهم على طول الساحل الشمالى الشرقى ما بين طرطوشه وبلنسيه شمالا والساحل الجنوبى الشرقى عند الموضع الذى قامت عليه مرية بجانة بعد ذلك جنوباً ، وتزعمهم امير سرقسطه [٢] ، ومضوا يشتغلون لحسابهم الخاص .

وكان هؤلاء البحريون ينزلون مرسى أشكوبرس Escombreras الواقع فى خليج قرطاجنة الخلفاء ، وقبل ان يستقر بهم المقام فى مرية بجنة [٣] . وعلى الرغم من قيام هؤلاء البحريين احيانا بنقل بعض السلع التى ينتجها الاندلس إلى المغرب ووسق سفنهم من سلع المغرب ، فان عملهم الاعظم الذى انصرفوا له كان يستهدف الجهاد البحرى ، فكانوا يغزون السواحل

---

(١) Levi-provencçl (E) : Histoire de L'Espagne Musulmane, T 1, Paris, Leiden, 1950, P. 249.

وأنظر أيضاً سالم « بالاشتراك مع أحمد مختار العبادى » فى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٢ .

(٢) لويس « ارشيبالد » : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبه النهضة العربية القاهرة ، ١٩٦٠ ص ٢٢٩ ، وأنظر أيضاً السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الطبعة الثانيه ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٥ .

(٣) البكرى المصدر السابق ، ص ٨١ .

الكارولنجية بوجه خاص مستغلين فى ذلك تفكك قوى الكارولنجيين البحرية فى أواخر أيام لويس التقى ، واضمحلال نفوذهم على شمال إيطاليا منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجرى (منتصف القرن التاسع الميلادى) [١] .

ويرجع بداية اشتغال البحريين الاندلسيين بغزو السواحل الكارولنجية ونهبها أو ما يسمية الغربيون تعصبا ضد العرب بالقرصنة [٢] . على سواحل ايطاليا وفرنسا الجنوبية وجزر البحر المتوسط مثل صقلية واقريطش الى ايام الحكم الربضى . ولكن ينبغى ان نشير هنا الى ان اعمال هؤلاء الغزاة لم تكن تتم بموافقة رسميه من حكومة قرطبه [٣] وقد بدأت غاراتهم فى عام

---

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٢٩ .

(٢) « قراصنة العرب » ، عبارة خاطئة ينبغى أن تصحح وقد وقع فيها معظم المؤرخين الأوربيين عن قصد ، واصرارهم عليها لا يخلو من روح التعصب ، مع ان المعروف ان العرب لم يكونوا فى يوم من الأيام قراصنة وانما كانوا مجاهدين فى البحر ، وانما الذى حدث هو ان القرصان انتشروا فى حوض البحر المتوسط الشرقى والغربى عقب اضمحلال الدول الاسلامية وعجزها عن السيطرة على البحار منذ بداية القرن الخامس « الحادى عشر الميلادى » ، وكانت جماعات القرصان تتكون من جنسيات مختلفة ، فكانت فيهم اعداد عظيمة من اهل ايطاليا والبلقان وجنوبى فرنسا والمغرب وربما كان المغاربة أقل عدداً من غيرهم ، ولكن البابوية عممت القرصنة على البحريين المسلمين عربا أو مغاربة لكى تلهب مشاعر السخط عليهم ، (بينز « نورمان ») الامبراطورية البيزنطية تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٢٦٨ ، هـ ١ .

(٣) Lévi-povencal : Histoire, T. 1, P. 244.

وأنظر أيضاً ، سالم فى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس . ص ١٠١ — ١٠٢

١٨١ هـ (٧٩٨ م) على جزر البليار التى يبدو انهـا تخلت انذاك عن تحالفها القديم مع بيزنطة ، والتمست حماية الكارولنجيين . وفى المـدة من ١٨٩ هـ — ٢٠٠ هـ (٨٠٦ — ٨١٥م) ، قاموا بهجمات بحريه منظمه على قورشقه والسواحل الكرولنجيه مابين مصبى نهر التيبر ونهر الرون ، وفى عام ١٩٨ هـ (٨١٣م) شنت قوة بحريه اندلسيه هجوما عنيفا على نيقـة (نيس) وشفيتافـكيا « Civita Vecchia » وقورشقه ، الا انها تعرضت اثناء قـولها من الغـزو بالقرب من ميورقة لهجوم مفاجىء شنة عليها اسطول فرنجى كان يطاردها بقيادة كونت امبورياس وتمكن الفرنجة من استعادة خمسمائه اسير قورشقى ، كان قد اسرهم المسلمون فى غزوات سابقة [١] . وفى عام ٢٠٠هـ (٨١٥م) تعرضت جزر البليار الواقعه تحت حماية الفرنجةوتتذاك لغارة بحريةاسلامية [٢] وواصل المسلمون توجيه ضرباتهم لهذه الجزر الى انقبلت فى النهاية ان تدخل فى فلك الدولة الامويه فى سنه ٢٣٤ هـ (٨٤٨م) ، وتعهدت بعدم التعـرض لسفن المسلمين وقد ترتب على ضعف سلطان الكارولنجيين على طول الساحل الفرنسى الجنوبى ان تجرأ مغامرو المسلمين على اتخاذ قاعدة لهم شبـه دائمـه هناك تتمثل فى جزيرة كامرج « Camargue » عند مصب نهر الرون وقـد نجحوا فى التوغل من هذه القـاعدة الى الداخل حتى بلغوا آرل عام ٢٤٦هـ (٨٦٠م) ، وبدا استمرت اقامتهم بصفه شبه دائمه بعيدا عن الساحـل عنـد

---

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، صـ ١٦٢ وما يليها ، وأنظر أيضاً ، الأمير شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العـرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، مصر ١٣٥٢هـ ، صـ ١٤٠ ، و « شفيتافكيا » Civita Vecchia اصطلاح لاتينى يعنى المدينة العتيقة .

(٢) ارشيبالدلويس : المرجع السابق ، صـ ١٦٢ .

خرائب مدينة « ماجلون » ، كما تمكنوا فى عام ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) من تأسيس قواعد اكثر ثباتا فى فراكسنيت « Faxinetum » على ساحل بروفانس [١].

وينبغى ان نشير هنا الى أن أعظم مغامرات جماعات البحريين الاندلسيين طرافة فى النصف الشرقى من حوض البحر المتوسط تمت فى عام ١٩٩هـ (٨١٤م) بقيادة أبى حفص عمر بن شعيب البلوطى عندما تمكنوا على اثر إحدى غزواتهم فى بحر ايجه من احتلال مدينة الاسكندرية والسيطرة عليها قرابة اثنى عشرة سنه [٢]، ثم أرغمهم عبد الله ابن طاهر بن الحسين على الخروج منها [٣]، فأبحروا شمالا نحو جزيرة اقريطش وتمكنوا من الاستيلاء عليها فى عام ٢١٢هـ (٨٢٧م) [٤].

كذلك لعب البحريون الاندلسيون بقيادة اصبغ بن وكيل الهوارى المعروف بفرغلوش دوراً هاما فى تمكين الاغالبه من افتتاح جزيرة صقلية

---

(١) ارشيبالد لويس ، القوى البحرية ، ص ٢٣٠

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، ص ١٣٨ ومما بعدها .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٤٢ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٤٤ ، اقريطش : جزيرة تتميز بموقع استراتيجى ممتاز فى وسط البحر المتوسط الشرقى ، وكانت من أخصب جزر البيزنطيين ، راجع « ابراهيم أحمد العدوى : اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى ، « المجلة التاريخية المصرية » ، اكتوبر ١٩٥٠ ، المجلد الثالث ، العدد الثانى ، ص ٥٥ » .

وذلك فى عام ٢١٤هـ (٨٢٩م) (١)

ونستطيع ان نخرج من كل ماسبق بحقيقة تاريخية لها دلالتها وهى ان جماعات البحريين كانت تشكل قوة بحرية تجاريه وحربية وانها كانت قوة لها مهارتها فى فنون البحر وفنون القتال البحرى واعظم شاهد على ذلك تلك الغزوات المتواصلة التى كانت توجهها على سواحل جنوب فرنسا وشمال ايطاليا ودورهم فى الاستيلاء على الاسكندرية واقريطش واشتراكهم مع قوات الاغالبه فى فتح جزيرة صقلية ، ولم تكن هذه الاعمال تتم بموافقة رسمية من حكومة قرطبة ، وان كانت لم تلق اعتراضا من هذه السلطات الاميرية .

ومن الجدير بالذكر ان جماعه البحريين الاندلسيين وفقت فى تأسيس قاعدة بجانة دون ان تتلقى اى عون من السلطة المركزية التى نفذت ظلها انذاك على معظم اقاليم الاندلس ، ولم تكن هذه القاعدة تعدو بادىء ذى بدء موضعا محدودا يقع بالقرب من وادى اندرش Rio Andarax عرف بمرية بجانه ، ويبدو ان المدينه الرومانية القديمة Urci اجتذبت انظار البحريين الاندلسيين بموقعها الممتاز الذى يبعد بعض الشىء عن الساحل ، فانتقلوا اليها بعد ان اتفقو على ذلك مع عرب ارش اليمن،وتباحثوا معهم فى اقامة مايشبه الجمهوريه البحرية تضم أرش اليمن ومراسيه ومحارسة ، لمواجهة أى اعتداء بحرى يقوم به اى عدو من اعداء الدولة الاندلسيه (٢) . ولم يلبث البحريون ان

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ ، ص ٣٨٩ ، وراجع أيضاً ، أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، ١٦٨ ، ص ٢٥٧ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٢٢ — ٢٣ .

تغلبوا على ما كان فيها من العرب وصار الامر لهم فى بجانه ، ثم حوطـوا حاراتها المفترقة بسور[1] . ويظهر ان هذا السور اقيم بعد سنه ٢٧٧هـ (٨٩٠م) وهى السنة التى قدمت فيها قوات سعيد بن جودى ، سيد عرب البيرة ، لمهاجمة البحريين فيها ، استنادا الى قول ابن حيان انهـا كانت « مـدربه لم يضرب بعد عليها سور » [2] ، اى انها كانت تتألف من دروب وحارات غير مسوره .

وقد اهتم البحريون بتمصير بجانة وتعميرها ، واتخذوا من قرطبة حاضرة الاندلس إنموذجا احتذوه فى بجانه ، ويفسر الحميرى ذلك بقوله : « وامتثلوا فى ذلك بنيه قرطبة وترتيبها ،وجعلوا على احد ابوابها صورة تشاكل الصورة التى على باب القنطرة » [3] وكان يعلو باب القنطرة فى قرطبة تمثال للعذراء، الذى يقول فيه ابن عذارى : « وهى العذراء صاحبة قرطبه التى وضع أقادم حكمائهم صورتها فوق باب مدينتها القبلى وهو باب القنطرة »[4] ، ويستنتج الاستاذ ليفى بروفنسال من ذلك ان بجانة كانت تضم جماعة من البحـريين النصـارى وانهم اقاموا كنيسة لهم (٥) . ويعلق الاستاذ الدكتور السيد عبد

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ، صـ ٣٨ ، وأنظر أيضـاً ، سالم : المرجـع السابق ، صـ ٣٢ .

(٢) ابن حيان « أبو مروان » : المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، القسم الذى نشره الأب ملشور أنطونيا ، باريس ، ١٩٣٧ ، صـ ٨٩ .

(٣) الحميرى الروض المعطار ، صـ ٣٨ .

(٤) ابن عذارى « أبوعبد الله محمد » : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، جـ ٣ ، دار الثقافة ببيروت ، لبنان « بدون تاريخ » ، صـ ١٤ .

(٥) Lévl-provencal (E,: Histoire de L'Dspagne Musulmane, T.I, P. 352.

العزيز سالم على ذلك بقوله : « بان استنتاج الاستاذ ليفي بروفنسال لايخلو من مبالغة فليس من الضروري ان يكون ذلك دليلا على ان المريه المحدثة كانت تضم جماعة من البحريين النصارى ، وانهم اقاموا كنيسه لهم، فقد يكون هذا التمثال المنصوب على باب بجانة مجرد تقليد للتمثال المنصوب على باب القنطرة بمدينة قرطبه امعانا فى تقليد هذه الحاضرة ، يؤكد ذلك قول الحميرى، « وامتثلوا فى ذلك بنيه قرطبة وترتيبها » (١) ، مما يعد اصدق دليل على اعتبار ان قرطبة كانت تمثل فى ذلك الوقت قمة الرقى والازدهار فى الفن والعمارة ، ومن ثم كان اتجاه البحريين الى الاخذ بتقليدها واتباع نمط عمارتها بنصب تمثال على باب بجانة تقليدا للتمثال الذى كان قائما على باب القنطرة بقرطبة ، وفى عصر الناصر اقيمت مدينة الزهراء التى كان يقوم على أحد ابوابها تمثال للزهراء يمثل امرأة لعلها فينوس الرومانيه (٢).

وقد تولى رئاسة البحريين ببجانة فى عهد الامير عبد الله ، زعيم منهم يدعى عبد الرازق بن عيسى ، ثم لم يلبث هذه القاعدة ان اتسعت وكثرت مرافقها وحصونها بعد ان اتجهت اليها عناية الدولة وذلك فى بداية عهد الامير المنذر بن محمد ٢٧٣هـ (٨٨٦م) ، الذى منح اهل بجانة من البحريين والعرب الحق فى توسيع رقعة بلدهم بضم القرى والحصون المجاورة مثل : حصن برشانة المنيع فى الشمال وحصن ناشر فى الشرق وحصون الحمه والخابية وبنى طارق فى الغرب (٣) ، وبذلك اصبحت هذه الحصون تسيطر على الطريق البرى

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٢٠ وما يليها .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، نشر الأب ملشور انطونيا ، ص ٥٣ .

الوحيد الموصل ما بين بجانة ووادى آش من جهة الغرب ومرسية من جهة الشمال الشرقى [١].

ومنذ ان الت الرئاسة فى بجانة الى البحريين ، ازدهرت هذه المدينة ازدهارا كبيرا بفضل اسطولها الراسى بخليج مريتها ، « فأمتها الناس من كل جهة وانجفلوا اليها من كل ناحيه ، نارين من الفتن التى كانت اذ ذاك شاملة ، فكانت أمنا لمن قصدها ، وحرما لمن لجأ اليها ، وكانت الميره تجاب اليها من العدوه ، وضروب المرافق والتجارات ، وكان ذلك ايضا من الاسباب الداعية الى قصدها واستيطانها وصار حولها ارباض كثيرة » [٢].

واتخذ للمدينه جامع ، بناه عمر بن اسود الغسانى ، ويذكر العذرى (ق٥هـ) ان « فيه قبوا عاليا فيه احد عشر حنبة مصنوعة على اربعة اعمدة منقش اعاليه كله بنقوش عجيبه وصنائع غريبه ، وبشرقى القبه ثلاث بلاطات وبغربية اربع بلاطات اوسع من الشرقية والمحراب والمنبر داخل القبة، وفى صحن الجامع بئر عذب » [٣]. فى حين يقول فيه الحميرى (ق٨هـ) : « فيه قبوه على قبه فيها احدى عشر حنيه منضر به على اربعة عشر عمودا [٤]. ولعل هذا الاختلاف وقع مع مرور الزمن

وزخرت مدينة بجانة بالمنشآت وعمرت بالاسواق والمرافق وفى ذلك يقول الحميرى : « بأنه كان بمدينة بجانة احدى عشر حماما ، وطرز حرير ومتاجر رابحة وكان يذهب الوادى الاتى من شرقيها كثيرا من ارباضها

(١) Lévi-pronencal : Hfstoire, T I, P. 354.

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٨ .

(٣) العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٧ .

(٤) الحميرى الروض المعطار ، ص ٣٨ .

واسوقها عند حمله » (١)

ولكن بجانه لم تنعم كثيرا باستقرارها وهدوءها اذ مالبث ان تعرضت لهجمات سوار بن حمدون المحاربي امير العرب بغرناطة من كورة البيرة ، الذى طمع فى اخراج البحريين من موطنهم بجانه لحقده عليهم بسبب التفاف الناس حولهم،وانتصاراً لقومه الغسانيين منهم ، ويعبر ابن حيان عن ذلك بقولة: .. واجتماع الناس اليهم ، واستخفافهم بمن جاورهم من العرب الغسانيين واستطالتهم عليهم ، وخوفهم منهم على انفسهم لقلة عددهم » (٢) . لذلك استعد سوار فى عام ٢٧٦هـ (٨٨٩م) لغزوهم فى عرب البيرة ، وعندما علم رئيسهم عبد الرازق بن عيسى بخبر تأهب سوار لغزوه ، خاف على مدينته من عرب البيرة ورهب ماعرف من شدة باس سوار ، فعمد الى مهادنته ومسالمتة ، فبعث بجامعة من وجوه البحريين المقيمين ببجانه الى العرب الغسانيين لتصفية الخلاف والأعتذار عما بدر من تصرفات غير لائقه من سفهاء قومه ، وطلب منهم الاجتماع بسوار لاستلطافه وابداء رغبتهم اليه « . . . فى الانصراف عنهم وموافقتة على اجمال عشيرتهم» (٣) ، وقد اسفرت هذه المساعى عن استجابة عرب بجانه الغسانيين الى رجاء عبد الرازق بن عيسى ،فارسلوا وفدا منهم على رأسة سعيد ابن أسود وخشخاش ابنه، ومحمد بن عمر بن أسود ابن اخيه ، وابوة الادهم بن مخلد الغسانى الى سوار ونجح هذا الوفد فى اقناعة بالانصراف عن غزو بجانة والعودة الى غرناطة (٤) .

(١) العذرى المصدر السابق ، ص ٣٨ ، وقد ذكر العذرى أيضاً أنه كان فى مدينة بجانة أحد عشر حماماً . « ترصيع الأخبار ، ص ٨٧ » .

٢) ابن حيان : المقتبس تحقيق الأب ملشور ، ص ٨٨ .

٣) ابن حيان : نفس المصدر والصفحة .

٤) نفس المصدر والصفحة .

ولكن البحريين فى بجانه لم يلبثوا ان عاودوا التحرش بالغسانيين بعد أن بلغهم نبأ مصرع سوار فى عام ٢٧٧هـ (٨٩٠م) ، فكاتب الغسانيـون ابن جودى خليفه سوار بغرناطة يستنهضونه لغزو البحريين ، ولم يكتفوا بذلك بل قصدة وفد منهم ليحرضوه على غزو بجانه ، « نخف معهم ، وجـاء الى بجانه وهى مدرية لم يضرب بعد عليها سور ، فحار بهم فيها اياما قارشوة فيها ، فلم يظفر بهم بطائل »[١] . وبينما كانت الحرب قائمة بين عرب غرناطه والبحريين فى بجانة ، انتهـز شنير Sunier II قومس امبـــورياس Comte d, Ampurias بقطلونية هذه الفرصة ، وقدم فى خمسة عشر مركباً ارفأت بساحل المريه فرضة بجانة ، واحرق عدداً كبيراً من السفن الاسلاميه الراسية فى خليج المرية ، وعزم على التقدم الى بجانة لنهب المدينة ، ولكنه وجـد مقاومة عنيفة اذ تسلل البحريون اثناء الليل من بجانه وقصدوا المرية ، واشتبكوا مع القطلانيين فى معركة قتل فيها احد كبار البحريين وهو خلف بن زهرى بالحوض ، وانتهت هذه المعركة بجنوح القطلانيين الى الصلح مع البحريين وتم ذلك علي يدى عبد الرحمن بن مطرف الحاج ، وانصـرف شنـير عنهم بسفنه ، وعاد البحريون الى بجانه ، فظن جودى ان مددا جاءهم ، فرحل عنهم مسرعا[٢] .

---

١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الأب ماشور ، ص ٨٦ .

٢) نفـس المصـــدر والصفحـــة ، « أمـــورياس » «Ampurias» اسم مدينة فينيقية قديمة ، ثم يونانيه عمرها أهل صور وصيدا فى أرض قطلونية ، تقع على الساحل الشمالى الشرقى لاسبانيا شمالى برشلونه ، وكانت خارجه عن الدولة الاسلامية فى اسبانيا وداخلة فى كونتية برشلونة ، راجع «الامير شكيب أرسلان: —

وبنجاح البحريين في مواجهة هذه الغارة البحرية الخطيرة ، اكتسبوا هيبة جيرانهم لهم واسبغت عليهم انتصاراتهم صفات من البطولة والقوة ابعدت عنهم طمع جيرانهم .

وظلت بجانة محتفظة بعظمتها طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، ولكنها اخذت تفقد اهميتها امام فرضتها المريه التى اخذت مكانتها تزداد شيئا فشيئا الى أن أصدر الخليفة عبد الرحمن الناصر أمره بتأسيسها فى عام ٣٤٤هـ (٩٥٥م) ولم تلبث المريه بعد انشائها ان اصبحت من اهم مراسى الاندلس واكثرها عمرانا ، واصبحت هى وبجانة على حد قول ياقوت الحموى « بابى الشرق » [١] فمن المرية كان « يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار ، وفيها مرفأ للسفن والمراكب » [٢] . ولم تلبث مكانة بجانة ان انحسرت منذ بداية القرن الخامس الهجرى بعد ان « كانت كرسى المملكة الى ان ضعفت ؛ (٣) وعظمت المريه فصارت بجانة تابعه .

ولم تقو بجانه ان تواجه الفتن الضاريه التى طحنت الاندلس وانتهت بسقوط الخلافة الاموية ، وعلى حد قول العذرى : خربت مدينة بجانة ، وذهب باقى عمارتها فى سنة تسع وخمسين واربعمائة [٤] .

= تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٢٤ ، هـ ١ ، حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨٩ ، أحمد مختار العبادى دراسات ، ص ٢٥٢ ، هـ ٣ » .

١ : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

٣ . ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩ .

٤) العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٧ .

وباضمحلال مدينة بجانه ؛ عظمت المرية وازدهرت وانتقلت اليها قاعدة الاقاليم .

ثالثا : المرية اهم قاعدة بحرية لاسطول الاندلس فى البحر المتوسط

مما لاشك فيه ان طبيعة الوضع الجغرافى للاندلس كشبه جزيرة ، يحيط بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية والمحيط الأطلسى من الجهات الجنوبيه الغربية والغربية الشمالية الغربيه (١) ، ساعدت على توجه أهلها بأبصارهم نحو البحر ، كما أن سواحلها المتعرجه وكثرة خلجانها وأجوائها ساعدت على تعدد مراسيها التى تصلح لارساء السفن وإيوائها بعيداً عن تيارات البحر وأنوائه (٢) . ومن هذه المراسى : بنشكله ، وبلنسيه ، وشاطبه ، ولقنت وقرطاجنة الخلفاء مرسى مرسيه (٣) ، ومرسى محمله من عمل

---

١) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٣ .

٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ٧٢ ، الجون « بفتح اليم » ، وهو الخليج الناتج عن امتداد مياه البحر فى الأرض ، راجع : Dozy · Supplement, I, 236 a

٣) ابن سعيد : المغرب ، ج٢ ، ص ٢٧١ ، قرطاجنه الخلفاء ، توجد ثلاث مدن بهذا الاسم احداها الواقعه بأفريقية قرب تونس الحالية ، بينما تقسم الثانية والثالثة بالأندلس ، وهما قرطاجنه الجزيرة عند جبل طارق ، وهى مدينة قديمه مهجوره ، وقرطاجنة الخلفاء فى اقليم مرسيه وهى ميناء صالح للرسو ، راجع « الحميرى : الروض المعطار ص ١٥١ ـ ١٥٢ ، كايليا سارنالى تشركوا . شاهد العامرى . قائد الأسطول المرى فى غرب البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى ، القاهرة ، ١١١١ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ » .

بجانه ، ومرسى المريه ، ومرسى بزليانه من عمل كورة ريه (١) ، ومرسى جبل طارق ومرسى الجزيرة الخضراء ، ومرسى النبيزه ومرسى عذره ، ومرسى بليسانه ، ومرسى الفروج ، ومرسى شلوبينيه ومرسى المنكب ، ومرسى مرية باش (٢).

وقد فرضت هذه الطبيعة الجغرافية عليها انتهاج سياسة بحريه حربية معينة لحماية سواحلها وثغورها من طمع الطامعين ودرءا لغزوات المغامرين من الشعوب الشمالية ، ومن ثم كان يتحتم على اهل الاندلس ان تكون لديهم قوة بحرية ممتازة قادرة على الذود عنها وحمايتها ، إلا ان الدولة الاموية منذ قيامها لم تظهر اهتماماً بتكوين قوة بحرية تعتمد عليها فى اوقات الخطر لعاملين : أولهما ، انصراف امراء قرطبه إلى تمكين نفوذهم ودعم السلطة المركزية تجاه الحركات الانتزائية داخلياً ، وفى نفس الوقت اعتماد سياسة دفاعية أو هجومية - حسب مقتضيات الحال - ازاء الممالك المسيحية فى شمال اسبانيا ، واما العامل الثانى فهو اطمئنان الدولة الاموية فى الاندلس إلى جانب البيزنطيين لاشتراكهم مع الامويين فى الاندلس فى معاداة العباسيين ، وقد ظلت العلاقات الودية قائمة بين قرطبه وبيزنطه طوال العصر الاموى ، وفى نفس الوقت ساءت

---

١) ابن حيان « أبو مروان » : المقتبس ، القسم الثانى « من عصر المستنصر » ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥ ، ص ٣٩ وما يليها ، « وبزليانه » Ventas de Bezmiliana قرية على ساحل البحر المتوسط أى على الساحل الأندلسى الشرقى ، بينها وبين مالقة Malaga ثمانية أميال « الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٤ ، ابن حيان ، المصدر السابق ص ٤١ ، هـ ١ » .

٢) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٩٨ ؛ ١٩٩ .

العلاقات بين الامويين فى الاندلس والكارولنجيين (١) لفترة طويلة بسبب سيطرة الاندلس فى عصر الامارة على القطاع الجنوبى من ولاية سبتمانيا ، وحدوث تقارب بين الكارولنجيين والعباسيين ، ولهذا السبب اطمأن امراء قرطبه إلى جانب البيزنطيين ولم يحسوا بحاجتهم إلى تكوين قوة بحرية تحمى سواحلهم ، الا ان هذا التقصير فى الامور البحرية كان وقفاً على السلطة الاموية الحاكمة .

وإذا كانت الدولة الاموية قد انصرفت عن الاهتمام بالقوة البحرية اكتفاء بالنشاط البحرى الذى يمارسه غزاة البحر الاندلسيين ، فان ذلك لم يستمر طويلا ، فسرعان ما عدلت لدولة عن موقفها السلبي من التنظيم البحرى بعد الغزوة النورماندية على سواحل الاندلس فى عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) ، فصرف الاسراء منذ هذا التاريخ جهداً كبيراً من جهودهم لانشاء السفن الحربيه ، وذلك عندما اصدر عبد الرحمن الاوسط امره فى عام ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) ، بانشاء دار صناعة اشبيلية (٢) ، كما اهتم هذا الامير منذ ذلك التاريخ بنظام الرباطات والطلائع والمحارس الساحلية على طول سواحل الاندلس لحمايتها من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الاعداء (٣) .

والاربطة ابنية ذات خاصيتين إحداها حربية والاخرى دينية ، ففيها كان يتجمع اهل الرباط لتحقيق امرين الأول ، إعداد انفسهم للجهاد فى سبيل الله عن طريق التعبد وذكر الله بصوت عال ، والثانى حراسة الرباط والتأهب

---

١) لويس « ارشيبالد » : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٢٢٨ وما يليها .

٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٧ وأنظر أيضاً ، سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٣٥ .

٣) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٦٦ .

حربياً لمقاتلة أعداء الاسلام ، وكان الدعاء والتكبير سمة اساسيه من سمات المرابطه ، وفى ذلك يقوم الصوفي الغرناطى ابن ابى زمنين : « ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير فى العساكر والثغور والمرابطات ، دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات ، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً » [1] .

وكان القائمون على الحراسة ليلا يعرفون باسم السمار [2] ، وجرت العادة ان يقوم السمار بعملهم فى مراقب عالية ملحقة بالرباط يطلق عليها اسم منائر [3] ، او فى اماكن مرتفعة قريبة منه لكشف سفن العدو من مسافة بعيدة ، وكانت هذه المراقب او الربط او المناور تعرف ايضا باسم الطلائع أو الطوالع [4] ، فكان على اولئك السمار او المرابطين إذا ما كشفوا عدوا مقبلا فى البحر من بعيد اشعلوا النار على قمم المنائر او الطلائع ان كان الوقت

---

١) ابن ابى زمنين : كتاب قدوة الغازى ، مخطوطة عن أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٠٠ .

٢) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ص ٤٢١ ، راجع أيضا القلقشندى « أحمد ابن على » : صبح الاعشى فى صناعة الانشا جـ ٥ ، القاهرة ١٨ ١٣ هـ ص ٢١٧

٣) منائر جمع منار وهو برج اسطوانى الشكل أو مربع ينتهى من أعلى بقبة تعلو غرفة مفتحة بداخلها موقد توقد فيه النار للانذار أو باقتراب العدو ، من أمثلة هذه المنائر منار خلف العتى بمدينة سوسه و افريقية « راجع سالم ، المغرب الكبير جـ٢ ص ١٥٣ وما يليها » .

٤) Dozy (R.) : Supplement aux Dictionnaire Arabes T. II. p. 55. Atalaya الطلائع أو الطوالع جمع طالعة أو طايعه

ليلا [1] ، او اثاروا فيها الدخان ان كان الوقت نهاراً ، وقد يستخدم اهل الرباط الطبل والنفير لتحذير اهالى المدن المجاورة من غارة العدو ، وكثيراً ما استعمل المرابطون اشارات ناريه أو دخانية بطرق او حركات معينة للاخبار عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته او غير ذلك ، وبهذه الطريقة كان من الممكن ارسال تحذير او نذير [2] .

ولقد اقتبس الاسبان نظام المرابطه عن جيرانهم المسلمين منذ وقت مبكر ، فدخل لفظ رباط العربى فى اللغة الاسبانية ومنه اشتقت كلمة Rebats أى الرباط arrebator أى يرابط ويقاتل ، Tocar el rebato وتعنى الانذار بغارة معادية ، كذلك استخدموا نفس الوسائل والادوات باسمائها العربيه مثل الطلائع Atalaya والمنارة Almenara والنفير Anafil ، إلا انهم زادوا عليها استعمال النواقيس التى تقابل الطبول عند المسلمين [3] .

ومن اهم الربط الساحليه الاندلسيه رباط المريه الذى كان النواةالعمرانيه لمدينه المريه ، وكان الناس يرابطون فيه لحمايه مدينه بجانه من غارات النورمانديين ، وذلك استناداً إلى قول الحميرى : « وكان المجوس لما قدموا المريه ، وتطوفوا بساحل الاندلس والعدوة ، فاتخذها العرب مرأى ، وابتنيت بها محارس ، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها [4] » ، وفى هذا المعنى

---

١) الادريسى : صفة المغرب ص ١٩٨ ، ويصف الادريسى قمة البرج فيقول : « وعليه برج مبنى بالحجارة مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور العدو و البحر » ، (نفس المصدر والصفحة) .

٢) أحمد مختار العبادى ، دراسات ، ص ٣٠١ .

٣) Asin (Olaver) : Origen arabe del rebato, Madrid,1928, p. 27.

راجع أيضاً ، أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٢٠١ .

٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ١٨٣ .

ذكر العذرى : « وابتنيت فيها محارس وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ولا عمارة فيها يومئذ ولا سكنى [١] » .

وفى شرق المريه وجد رباط ساحلى آخر عرف برابطة القابطه او القبطه ولعلها قابطه بنى الاسود التى أشار إليها البكرى كموضع بجوار مريه بجانه [٢] ويرى الاستاذ ليفى بروفنسال انهـا تقابل اليوم الموضع المعروف باسم Cabo de Gata [٣] كذلك يشير ابن الابار إلى رباطات اخرى أقيمت بجوار المريه دفن فيها عدة من الفقهاء والزهاد والمجاهدين مثل رباط عمروس ورباط الخشنى وغيرها ، كل هذا يدل على ان المريه شأنها فى ذلك شأن مدن المغرب الهامه ، كانت محاطه بسلسلة من الرباطات الساحليه لحمايتها من أى عدوان باعتبارها قاعدة الاسطول الاندلسى [٤] .

أما إهتمام الدولة الاموية فى الاندلس بالبحرية الحربية فيبدأ منذ عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) عندما تنبه الامير عبد الرحمن الاوسط إلى اهمية وجود بحريه اندلسية وذلك فى اعقاب الغارة النورمانديه الاولى فى عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) على سواحل الاندلس الغربية [٥] والجنوبية حيث نزلوا بثغر

---

١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٦.

٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيه والمغرب ص ٨٩ .

٣) Levi-provençal : Histoire, T. II, P. 170.

٤) أحمد مختار العبادى ، دراسات ص ٢٩٧ وما يليها .

٥) شن هذه الغارة المجـــوس الاردمانيون ، ويطلق عليهم النورمان ويعرفون باللغة الاسبانية Normandos او Wikings ، يقابل ذلك بالانجليزية Norsemen او Vikings ولعل التسمية الاولى اكثر استعمالا فى الاسبانيه والثانية شائعة فى الانجليزية ، فكلا التسميتين تعنى سكان الشمال والمقصود بهم —

الأشبونة [1] ، في اربع وخمسين مركباً عززتها بعد ذلك ست وعشرون مركباً أخرى فبلغت جملة مراكبهم ثمانين ، كـأنما ملأت البحر طيراً

= سكان الدول الاسكندناوية الذين اشتهروا بنشاطهم الحربي البحري ، وتعني كلمة Vikings في الاصل اللغوي سكان الخلجان وهي مشتقة من الكلمة النرويجية Vik التي تعني ساكن الخليج ثم اطلقت كلمة Vikings على سكان شبه الجزيرة الاسكندناوية واقترنت غزوات النورمان بأعمال القتل والحرق والنهب ، اذ كانوا يندفعون الى البحر ، حيث اتخذوا الى امهم مصدرا جديدا للرعب ، فكانوا ينقضون فجأة كما ينقض النسر ، فيقبضون على فريستهم ، ثم يعودون أدراجهم الى حيث يطويهم عالم المجهول ، ولقد اصبح الغموض الذي يكتنفهم مضاعفا كما كان الرعب الذي ينشرونه مضاعفا كذلك ، ويعود هذا الشعب في اصله الى الجرمان او التيتونيين وينقسم الى ثلاث مجموعات : (١) السويديون (٢) النرويجيون (٣) الدانيون « الدانمركيون » وكان للظروف الجغرافية وغيرها اثر في الوجهة التي قصدها كل منهم في نشاطه الحربي او التجاري ، والمجموعة الثالثة (النورمان ، الدانيون) هم الذين هاجموا سواحل شبه الجزيرة الايبيرية « اسبانيا والبرتغال » وافريقية احيانا ، وهم الذين تحدث عنهم ابن حيان واطلق عليهم المؤرخون المسلمون في الغرب الاسلامي اسم المجوس او الاردمانيون او كابا ، واما تسميتهم بالمجوس التي تطلق اصلا على الزرادشتيين عبدة النار فلان النورمان حين غزوا الاندلس كانوا يكثرون من اشعال النار فظن المسلمون هناك انهم يعبدون النار راجع : سعيد عبد الفتاح عاشور ، اوربا في العصور الوسطى ، جـ ١ القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢١٠ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، تعليق ص ٢٤٩ وما يليها ، سكوت (مالك كالوم) : الفيكنج ورحلاتهم البحرية (تاريخ العالم ، المجلد الرابع ، فصل ٩١ ، مكتبة النهضة العربية) .

١) الاشبونه او اشبونه ويكتب اسمها بالاسبانية Lisbonne وبالبرتغالية Lisbona =

جوناً (١) ، واحتلوا بسيط هذه المدينة ، فنازلهم أهلها وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى تمكنوا من صدهم وفي هذه الاثناء انذر وهب الله بن حزم والى المدينا الامير عبد الرحمن الاوسط بقدومهم ليتخذ أهبته ولما أدرك النورمانديون صعوبة تقدمهم قفلوا راجعين إلى سفنهم ، ومن ثم اتجهوا جنوباً ، فحلوا بكورة اشبيلية ونزلوا عند مصب نهر الوادى الكبير واتجه فريق منهم جنوبا بحذاء الساحل الاسبانى حيث نزل على ساحل كورة شذونه واحتل ثغر قادس بينما صعد الفريق الاول بسفنه نهر الوادى الكبير ، فاحتل مدينة اشبيلية عدة ايام عاث خلالها قتلا ونهبا وتخريبا سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) (٢) . ولم يكن الامير عبد الرحمن ساكنا وقتئذ فقام من فوره لمقارمة الخطر النورماندى ، فعبأ جيشه وقدم عليه خير قواده واحتل هذا الجيش بالشرف Aljarafe من

— تقع على ساحل المحيط الاطلسى عند مصب نهر التاجو ، ومنها كان خروج الفتية المغربين فى المحيط ، وتزولهم فى جزر الخالدات التى تعرف الان كناريس Canarias راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ١٦ والترجمة الفرنسية ص ٣٢ ليفى بروفنسال ، مادة اشبونة في العصر الاسلامى فى دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الفرنسية جـ ٣ ص ٢٩ ، حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس : ص ٢٧٥ وما يليها ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ص ١٢٨ هـ ٣)

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ص ٨٧ ، الجون : ضرب من القطاسود البطون والاجنحة ، راجع العبادي : دراسات ، ص ٢٦١ هـ ٣ .

٢) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٦ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٧ ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ص ٢٢٥ وما يليها ، أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٢٦٣ .

اشبيليه وفى نفس الوقت كتب الامير إلى عمال الكور فى استنفار الناس ، كذلك استنفر أهل الثغر ، فأقبلوا من كل صوب إلى قرطبه ، وبفضل هذه الجهود الكبيرة التى بذلها الامير استطاع جيش قرطبه ان يوقع بالنورمانديين الهزيمة فى قرية طلياطه Tejada يوم الثلاثاء ٢٥ من صفر ٢٣٠ هـ (١١ نوفمبر ٨٤٤ م) وقتل منهم عدد كبير ، واحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا [١] ويرى الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادى ان انسحاب النورمانديين من اشبيلية لم يتم إلا بعد وصول وحدات الاسطول الاندلسى إلى مكان المعركة استناداً إلى قول العذرى : « ثم هبطت للامام عبد الرحمن الاوسط خمسة عشر مركبا بالمقاتله والعـدة ، فنزلوا اشبيليه فلما احس المجوس بها لحقوا بلبله [٢] » ، وأياما كان الامر ، فقد رحل النورمانديون بعد هزيمتهم إلى لبله ثم توجهوا من هناك إلى الاشبونه ، وانقطع خبرهم بعد ذلك .

نبهت هذه الغارة النورمانديه المفاجئة الامير عبد الرحمن الاوسط إلى ضرورة مواجهة أمثالها مستقبلا ، فاهتم بتحصين الثغور الغربية والجنوبية الغربية ، كما امر ببناء « سور مدينة اشبيلية من اجل طروق المجوس لها من ناحية البحر الرومى ، وذلك فى عام ٢٣٠ هـ » [٣] ، باشارة وزيره عبد الملك ابن حبيب ، كما اهتم بانشاء محارس ومراقب على طول الساحل الغربى المطل

---

١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٨٨ ، سالم : المرجع السابق ص ٢٣٦ .

٢) أحمد مختار العبادى : دراسات ، ص ٢٦٣ .

٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، تعليق ص ٢٤٤ ، وانظر ايضا ابن سعيد ، المغرب : جـ ١ ص ٤٩ ، الحميرى : الروض المعطار ص ٢١ .

على المحيط وشحنها بالمرابطة [١]. واهم من ذلك كله فيما يتعلق بموضوعنا أنه أصدر أمره بانشاء دار صناعة باشبيلية وإنشاء المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس فألحقهم ووسع عليهم ناستعد بالآلات والنفط [٢].

وكان من نتائج هذه السياسة البحرية ان اصبح للدولة الأمويه اسطول قوى لعب دوراً هاماً فى الاحداث التالية ، فقد استخدمه الامراء للدفاع عن سواحل الاندلس أو للقيام بحملات تأديبية على بعض الجزر كما حدث فى الحملة البحرية التى وجهها الامير عبد الرحمن الاوسط لجزيرة ميورقة فى ثلثمائه مركب لنقض اهل هذه الجزيرة العهد وإضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين . وأدت إلى اخضاع اهلها وقيامهم بالكتابه إلى الامير بطلب الصفح [٣] .

ثم تكرر طروق النورمان سواحل اسبانيا الاسلاميه ، فأغاروا مرة أخرى فى عام ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) على الساحل الاندلسى الغربى فى اثنى وستين مركبا ، ولكنهم وجدوا هذا الساحل محروسا بمراكب المسلمين ، التى استطاعت ان تستولي على مركبين من مراكب النورمان وغنمت ما فيها من الذهب والفضة والسبي والعدة بالقرب من سواحل كوره باجه اما بقية مراكب المجوس فقد اتجهت جنوبا حتى وصلت إلى مصب نهر الوادى الكبير حينئذ بادر الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط بتوجيه جيشه إلى المغرب ، مستنفرا الناس لملاقاة العدو ، فوصلوا من كل صوب ، ثم تقدمت مراكب النورمان حتى حلت بالجزيرة الخضراء ، وتغلبوا عليها واحرقوا مسجدها الجامع

---

١) السيد عبد العزيز سالم : ق ، البحرية في المغرب والاندلس ص ١٦٠ .

٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧ .

٣) ابن عذارى : البيان المغرب : جـ ٢ ، ص ٨٩ .

ثم اقلعت مراكبهم تجـاه العدوة المغربية واحتلت بناكور وعاثت خلالهـا قتلا ونهباً ، ثم قفلت راجعة مرة ثانية إلى الساحل الشرقي للأندلس حتى وصلت ساحل كورة تدمير ، وتمكنوا من دخول حصن أوريوله ، ثم اقلعوا شمالا تجاه الشاطىء الافرنجى ، واستولوا على مدينه فيه ، ومكثوا بها حتى انقضى الشتاء ثم اقلعوا جنوبا تجاه الشاطىء الاندلسى ؛ وفى هذه الاثناء استعد لهم الامير محمد بالمراكب المعدة بجميـع اصناف العدة البحريه وقوارير النفط والرماه واستطاعت القوة البحرية الاسلامية ان تصيب مركبين لهـما بساحل شذونة واستولوا على ما فيها من أموال كثيرة وامتعة واسعه ، كما احرقوا لها مركبين آخرين وفرت باقى مراكبهم [1] .

وقد حاول الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط تدعيم الاسطول الاندلسى بمزيد من القطع البحرية لاستخدامه فى الاغارة على جليقية ، ولكن بناء هذا الاسطول تم سريعاً دون عناية باتقان صناعته ، علاوة على عدم مهارة ملاحية بحيث تعرض لتشتت قطعة بمجرد بلوغها مياه المحيط ، ويفصل لنا ابن عذارى الخبر بقوله : « أمر الأمير محمد بانشاء المراكب بقرطبه ليتوجه بها إلى البحر المحيط عبد الحميد الرعيطى المعروف بابن مغيث ، وكان قد رفع إليه رافع ان

---

١) نص من المقتبس لابن حيان خاص بعصر عبد الرحمن الاوسط ، عن أحمد مختار العبادى ، دراسات : ص ٢٦٥ وما يليها ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٩٦ وما يليها ، ناكور : تكتب كذلك نكور وهى مدينة مندرسة فى شمال شرق المملكة المغربية ، اسست سنة ١٢٣ هـ ، وكان من اعمالها ثغر المزمه الذى حرفه الاسبان الى ألوثيماس ، التى عربها المسلمون الى الحسيمه الحالية التى تسمى ايضا سان خو خو وهى خاضعة للنفوذ الاسبانى ، راجع ، العبادى : دراسات ص ٢٦٦ ، هـ ٢ .

جليقيه من ناحية البحر المحيط لا سور لها وأن أهلها لا يمتنعون من جيشه ان غشيتهم من تلك الناحية ، فلما كملت المراكب بالانشاء ، قدم عبد الحميد بن مغيث ، فلما دخل البحر ، تقطعت المراكب كلها وتفرقت ، ولم يجتمع بعضها إلى بعض ، ونجا ابن المغيث [١] » .

وقد ازداد إهتمام حكام الاندلس بالبحريه فى عهد عبد الرحمن بن محمد لاضطراره إلى مواجهه الفاطميين فى افريقيه ، ويمكننا القول بأنه لم يحدث ان وجدت للاندلس قوة بحريه منظمه بالمعنى الصحيح إلا على عهد الخليفه عبد الرحمن الناصر أى ابان النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

فقد بدأ عبد الرحمن بن محمد بتنظيم البحريه فى الاندلس واستكمالها فأكثر من بناء السفن الحربية ، ومهد لهذا بانشاء عدد كبير من دور الصناعة فى مدن الاندلس مثل المريه ، وطرطوشه [٢] ، والجزيرة الخضراء [٣] ،

---

١) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ ٢ ص ١٠٣ وما يليها .

٢) طرطوشه : Tortosa من الاسم القديم Dertosa تقع فى شمال شرق اسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الابرو ، جنوبى مدينة طركونة Tarragona واشتهرت طرطوشه فى العصر الاسلامى بدار صناعة المراكب التى بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وبتوافر مواد بناء هذه السفن من خشب الصنوبر المتوفر بجبالها ، راجع (الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٩٠ الحميرى : الروض المعطار ص ١٢٤ وما يليها ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ص ١٠٠ ، هـ ١) .

٣) الجزيرة الخضراء : وتسمى اليوم Algeciras وهى ميناء فى أقصى جنوب اسبانيا بجوار جبل طارق ، وتسمى أيضا فى المراجع العربية بجزيرة ام حكيم وهى =

ومالقـــه ، ولقـــنت (١) ، وشاـــب (٢) ، والقصـــر (٣) ،

= جاريه لطارق بن زياد كان قد حملها معه عند غزوه لاسبانيا ، ثم تركها في هذه البلدة فنسبت اليها ، وبها دار صناعه بناها عبد الرحمن بن محمد واتقن بناءها وعلى اسوارها ، راجع (الادريسى : المصدر السابق ، صـ ١٧٦ ، الحميرى : المصدر السابق ، صـ ٧٣ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ، صـ ٤٥ ، هـ ٢) .

١) مالقه Malaga مدينة على ساحل البحر المتوسط تقع جنوبى شرق اسبانيا اسسها الفينيقيون واعطوها اسم مالكو Malako ومعناه المالح نسبه الى مستودعات الاسماك المالحة التى كانت تجفف وتحفظ بها ، ولها قصبة منيعة فى فى شرقيهاوهى غاية فى الحصانة والمنعة ، ولها ربضان كبيران ، بها الفنادق والحمامات واشتهرت كذلك بما كانت تحويه من شجر التين المنسوب اليها والذى كان يحمل الى مصر والشام والعراق ، راجع (الادريسى : المصدر السابق صـ ٢٠٤ ، الحميرى : المصدر السابق ، صـ ١٧٧ وما يليها ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام « القسم الخامس بالمغرب » صـ ٢٤٠ ، هـ ٣) ، أما لقنت Alicante فهى مدينة صغيرة من بلاد الاندلس بينها وبين دانيه على الساحل سبعون ميلا وتنشأ بها المراكب السفرية والحراريق ، راجع (الحميرى : المصدر السابق صـ ١٧٠ ، الادريسى ، المصدر السابق ، صـ ١٩٣) .

٢) شاب Silves من مدن غرب الاندلس وتقع على نهر بطليوس وهى من كورة شذونه ولها مرسى فى الوادى وبها الانشاء ، راجع (الادريسى : المصدر السابق صـ ١٩٣ ، الحميرى : المصدر السابق ، صـ ١٠٦ وما يليها) .

٣) القصر : مدينة بالاندلس بينها وبين شاب اربعه مراحل ، على ضفة النهر المسمى شطور وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيرا .. وبها الانشاء الكثير ، راجع (الادريسى : صفة المغرب ، صـ ١٨١ ، الحميرى : المصدر السابق صـ ١٦١) .

ودانيه (١) ، وشنتمرية (٢) ، وشلطيش (٣) .

وفى ايامه وضحت القوى البحريه وازداد عدد قطعها بحيث تجاوز المائتى سفينه اذ يشير ابن خلدون فى مقدمته الى ذلك فيقول : وانتهى أسطول الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر الى مائتى مركب أو نحوها (٤) » . واعتقد أن المقصود بهذا العدد السفن الغزويه المخصصه للقتال فى البحر كالحراريق

---

١) دانيه Denia على ساحل البحر المتوسط جنوبى بلنسيه من شرق الاندلس واسم المدينه العربى والاسبانى مشتق من اسمها الرومانى القديم Danium ويشرف على دانيه جبل مرتفع هو جبل « قاعوت » ويسمى اليوم مونجو Mongo والمدينة محاطة بغابات كثيفة من شجر الصنوبر الذى تصنع منه السفن فى دار صناعة دانيه ، وكانت دانيه قاعدة بحرية هامة منذ عهد الامويين واشتهر امرها عندما انتزى بها مجاهد العامرى (راجع الادريسى : المصدر السابق ص ١٩٢ الحميرى : المصدر السابق ص ١٠٢ ، ابن الكرديوس : الاكتفاء ص ٩٦ ، هـ٢، أحمد مختار العبادى ، دراسات ص ٢٩٨ ، ص ٣١٠) .

٢) شنتمريه : مدينة فى الاندلس من مدن اكشونبه على البحر الاعظم وبها دار صناعة الاساطيل ، راجع (الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ وما يليها) .

٣) شلطيش : وهى جزيرة بالقرب من مدينة لبله ، بها دار صناعة الحديد الذى يعجز عن صنعه اهل البلاد لجفائه ، وهى صنعة المراسى التى ترسو بها السفن .. وهى كثيرة السفن وبها دار صناعة لانشائها راجع « الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٠ وما يليها » .

٤) ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » مقدمة العلامه ابن خلدون ، المطبعة التجارية ، مصر ، ص ٢٥٣ وراجع ايضاً : محمد جمال الدين سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٧ ، ص ١٩ .

والأغربه المقاتله والا فان الرقم يقل عما كان عليه زمن الامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (١) .

ومن المعروف ان أغلب القواعد البحرية فى الاندلس تركزت على امتداد الساحل الشمالي الشرقى ما بين طرطوشة Tortosa وبلنسيه Valencia وربما كان مرجع ذاك العداء الشديد بين سكان شرق الاندلس وبين الفرنجة الكارولنجيين والقسم الجنوبى من الساحل الاندلسى ويشمل المريه ومالقه والجزيرة الخضراء واشبيليه .

وكانت مدينه المريه القاعدة الرئيسيه للبحرية الاندلسيه ، ويليها طركونه Tarragona (٢) ثم طرطوشه (٣) ولقنت (٤) Alicante فشريش (٥) Jerez وشلب (٦) Silves فالجزيرة الخضراء (٧) Algeciras بالاضافه الى جزيرة يابسه (٨) Ibiza أصغر جزر البليار .

وكان أسطول الاندلس يتألف من قطع مختلفة لكل منها عمل معين فى

---

١) أنشأ الامير محمد فى البحر سبعمائة غراب ، راجع (« ابن الكردبوس : كتاب الاكتفا ص ٥٧ ، ابن ابى دينار « محمد بن ابى القاسم الرعيق القيروانى » المؤنس فى أخبار أفريقيه وتونس ، ١٢٨٦ هـ ، ص ٩٧).

٢) الحميرى الروض المعطار ، ص ١٢٥ وما يليها .

٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٠ .

٤) نفس المصدر ، ص ١٧٠ .

٥) نفس المصدر ، ص ١٠٢ .

٦) نفس المصدر ، ص ١٠٦ وما يليها .

٧) نفس المصدر ، ص ٧٣ وما يليها .

٨) نفس المصدر ، ص ١٩٨ .

القتال ومن امثله هذه السفن الحربيه : الحراريق التى كانت تصنع فى دارصناعه المريه ومالقه (١) ، ولقنت (٢) ، والاغربة (٣)، والبطس (٤)، والحمالات (٥)

---

١) العمري « ابن فضل الله » : مسالك الابصار في ممالك الامصار ، الجزء الخاص بوصف افريقية والاندلس ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ص ٤٤ وما يليها ، وانظر أيضا : ابراهيم احمد العدوى : الاساطيل العربية فى البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٦٣ ص ١٦٧ ، أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٣٩٣ وما يليها ، والحراريق نوع من السفن الحربية التى ترمى بالنيران كالنار الاغريقية ، راجع « ما تقدم من مصادر ومراجع ونفس ارقام الصفحات المدون امامها » .

٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٧٠ .

٣) الاغربة : جمع غراب ، واشتهرت هذه السفن بالبأس الشديد وانزال الرعب فى قلوب الاعداء ، وهى سفن حربية لاتختلف عن الشوانى ، راجع : « العدوى المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، درويش النخلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، مطابع الاهرام ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠٢ » .

٤) البطس ، جمع بطسه ، وهى من السفن الحربية العظيمة الحجم تشتمل على عدة طبقات يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتها ، وتسيرها قلوع كثيرة ، وكانت تستخدم فى شحن الغلال والاقوات والميرة والاموال والنفقات علاوة على آلات الحرب والقتال الى جانب القيام بعمليات القتال فى البحر ، راجع « العدوى المرجع السابق ص ١٦٨ ، النخيلى : المرجع السابق ، ص ١٤ وما يليها » .

٥) الحمالات : جمع حماله من مراكب النقل ، وكانت تستخدم لحمل الغلال وهى من ملحقات الاسطول الحربى ، مخصصة لنقل مؤونة الجيش ، وازوادة والصناع والخدم الملحقين بالجيش والاسطول ، راجع فى هذا ، « Dozy(R.): Supplement —

والشلندى (١) والشوانى (٢) والطرايد (٣) والعشارى (٤) والقراقير (٥) والمسطحات (٦) .

---

aux dictionnaires arabes ; I, p. 327 ؛
النخيلى : المرجع السابق ، ص ٤٠ وما يليها » .

١) الشلندى : والجمع شلنديات ، وهى مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتستخدم كذلك في نقل البضائع ، راجع
(Dozy : Op. cit , I. p. 459)

٢) الشوانى : جمع شينى او شينيه ، وهى السفينة الحربية الكبيرة وكانت مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وتجدف بمائة وثلاثة وار مين مجدافا ، راجع ،
Dozy : Op. cit. I. p. 717 ,
العدوى : المرجع السابق ، ص ١٦٧ ؛ النخيلى : المرجع السابق ص ٤٢ .

٣) الطرايد : جمع طريدة او طراد ، وهى سفن صغيرة سريعة ، عرفها دوزى بأنها من المراكب الحربية اكثر شبها بالبرميل الهائل منها بالسفينة ، راجع
Dozy : Op cit. . I . p. 31

٤) العشارى : والجمع عشاريات وهى نوع من السفن الصغيرة الخفيفة الملحقة بالاسطول الحربى لتكون قوارب نجاة ، انظر النخيلى ، المرجع السابق ص ١١٥ .

٥) القراقير : جمع قرقور وهى من السفن الضخمة التى تحمل المؤن للاسطول ،
Dozy : Op. cit. . II. p. 335

٦) المسطحات : جمع مسطح ، وهى من السفن الحربية الكبيرة ، وهى من اكبر سفن الاسطول الاسلامى ، انظر : النخيلى : المرجع السابق ، ص ١٤١ وما يليها ؛

ولقد أشرنا فيما سبق الى عاملين ساعدا على دعم البحريه الاندلسية ، الاول ، غزوة النورمان الأولى التى نبهت أولى الأ ر فى الاندلس الى ضرورة اصطناع سياسة بحريه رسمية ، والثانى، قيام الدولة الفاطميه فى المغرب وتطلعها لغزو الاندلس منذ ايام عبد الرحمن بن محمد . ولا نشك فى ان عبد الرحمن الناصر كان على يقين من استفحال الخطر الفاطمى على الاندلس منذ ان ساندوا حركة الثائر عمر بن حفصون وزودوه بالسلاح والميره (١) ، ومنذ ان توسعوا غربا على حساب الرستميين فى الجزائر والادارسه فى المغرب الأقصى ، وكانت قوة البحريه الفاطمية تفوق القوة الاندلسية ، اذ ان الفاطميين بالاضافه الى ماورثوة من سفن الاغالبه وقواعدهم البحرية فى تونس وصقليه وقوصره (٢) ، اتخذوا المهديه - عاصمتهم الجديدة - قاعدة بحريه وداراً لصناعه السفن (٣) ، مكنتهم من إعداد إسطول يعد اعظم اساطيل بحر المغرب .

الى جانب هذا الخطر الفاطمى ، كان خطر الغارات النورمانديه لايزال جاثما بعد ان بلغت سفن النورمان سواحل المغرب والاندلس . وهذا يفسر إهتمامة بدعم القوة البحريه للاندلس فى مواجهه الانواء المقبلة من المغرب كما يفسر حرصه على إنشاء قواعد بحريه متعددة ودور صناعة فى مختلف

---

١) ابن عذاري : البيان المغرب ج٢ ص ١٦٥ ، وانظر ايضا : ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٣٦ .

٢) العدوى : الاساطيل العربية ، ص ١٢٨ وقوصرة هى المعروفة الان بجزيرة « بنتلاريا » جنوب جزيرة مالطة .

٣) احمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس « صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد » ، المجلد الخامس ، ١٩٥٧ ، ص ٢٠٠ .

ثغور الاندلس (١) . وعلى تحصين الثغور الاندلسيه المواجهة للمغـرب ، واحتلال الثغور المغربيه المطله على المضيق كسبته وطنجه ومليلة تأميـنا لسلامة بلادة (٢) .

وقد نجح الاسطول الاندلس فى عصر الخلافه فى إحباط محاولات المهدى الفاطمى لتدعيم حركة إبن حفصون وامكنه ان يقطع الميرة والمؤونه الفاطميه التى شحنت فى سفن الفاطمين الى الانـدلس لمساندة الثوار فى عام ٣٠١ هـ (٩١٣م) (٣) . ثم تمكن الاسطول الأموى من الاستيلاء على مدينة مليلة Melilla فى سنة ٣١٤ هـ (٩٢٧ م)(٤) ، ومن انتزاع مدينة سبته فى عام ٣١٩ هـ (٩٣١ م) (٥) ، ولم تمضـى فـترة حتى تمـكن

١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٣٦ .

٢) أحمد مختار العبادى : دراسات ، صـ ٧٢ وما يليها .

٣) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ صـ ١٦٥ ، ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ ، صـ ٣٣ ، سالم « بالاشتراك مع أحمد مختار العبـادى » فى : تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ، جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، صـ ٦٤ .

٤) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، صـ ٨٨ ، راجع أيضاً : سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، صـ ٢٨٥ ، وله أيضـاً : المغرب الـكبير ، جـ ٢ صـ ٦١١ ، أحمد مختار العبادى : دراسات ، صـ ٧٢ .

٥) ابن حيان : المقتبس قطعة خاصة بعبد الرحمن الناصر مخطـوطه ، ورقة ١١٥ ، البكرى المصدر السابق ، صـ ١٠٣ وما يليها ، ابن عذارى : البيان المغـرب ، جـ ٢ ، صـ ٢٠٤ ، وراجع أيضاً :

= Lévi-provençal : Histoire, T. II, p. 96.

الناصر من احتلال ثغـــر طنجه المجاور لهـــا (١) .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تجاوز الأسطول الاندلسى أعماله المنفرده إلى اشتباكات بحرية مع الاسطول الفاطمى وتوجيه الغـارات على سواحـل افريقيه (٢) ، وبواسطة هـذا الاسطول الاندلسى امـكن نقل قوات الجيش الاموى عبر مضيق جبل طارق تدعيا للقوة الاندلسيه بساحل العدوة وبعض مناطق مغربيه امتد اليها النفوذ الاموى فى فاس والمنطقه المجاورة لهـا ، ففى عام ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) غزا محمد بن رماحس على الاسطول إلى بنى محمد بالعـدوة ، وكان عدد سفـن الاسطول خمس عشرة مركبـاً حربية وشينيين وفتاشاً (٣) ، وفى العـام التـالى غزا محمـد بن رماحس قائداً على الاسطول الاندلسى إلى افريقيه من المريه (٤) . كما أثبت الاسطول الاموى فى عصر

= السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١١١ ، أحمد مختار العبادى المرجع السابق ، ص ٧٣ .

١) لم يرد فى المصـادر التاريخية تاريخ استيلاء الناصر على ثغر طنجـه ، ويرى الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى أنه كان من الطبيعى بعد ان احتل الناصر سبته أن يحتل ثغر طنجه المجاور لها ، استناداً الى اشارة ابن عذارى للتحصينات التى أقامها اهل الأندلس فى هـذه المدينة ، راجع « أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٧٤ » .

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٢١ وما يليها ، راجع أيضاً العدوى الاساطيل العربية ، ص ١٢٩ .

٣) العذرى : ترصيع الاخبار ص ٨٢ ، فتاش : نوع من المراكب الحربية التى عرفت بالاندلس أنظر « النخيلى : السفن الاسلامية ، ص ١١٥ » .

٤) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

الخلافة ايضاً قوته ، كفاءته ، ففي عام ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) ، أنشأ عبد الرحمن الناصر مركباً كبيراً لم يعمل مثله وسير فيه امتعته إلى بلاد الشرق فلقى فى البحر فيه رسول من صقليه إلى المعز فقطع عليه اهل المركب الأندلسى ، واخذوا ما فيه واخذوا الكتب التى إلى المعز ، بلغ ذلك المعز فعمر اسطولا واستعمل عليه الحسن بن على صاحب صقليه وسيره إلى الأندلس فوصلوا إلى المريه ، فدخلوا المرسى وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب واخذوا ذلك المركب وكان قد عاد من الأسكندرية وفيه امتعه لعبد الرحمن وجوار ومغنيات وصعد من فى الأسطول إلى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدية [١]. وكان رد الفعل الأموى على ذلك ان امر عبد الرحمن الناصر « باطلاق اللعن على ملوك الشيعه بجميع منابر الأندلس وانفاذ كتبه بذلك إلى العمال بسائر الأقطار [٢] . كما جهز اسطولا امويا مكوناً من ستين سفينه بقيادة امير البحر غالب بن عبد الرحمن وهاجم فى عام ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) ارض سواحل افريقيه من عمل الفاطميين ، وكان مرسى الخرز وساحل سوسه هدفاً

---

١) ابن الاثير « ابو الحسن على بن أحمد بن ابى الكرم » الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، القاهرة ١٣٠٣ هـ صـ ١٨٥ ، ميخائيل امارى المكتبة العربية الصقليه مكتبة المثنى ببغداد ، ليبسك ١٨٥٧ ، ص ٢٦٢

Dozy (R) : Histoire des Musulmans d'Espagne, T, II, Leyde. 1932. pp. 164-165.

السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، جـ٢ ص ٦١٢ ، ٦١٣ .

٢) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ، ص ٢٢٠ ،

Levi-Provençal : Histoire. T. II. p. 108.

لهـــذه الغـارة الانتقـــامية (١) .

وهكذا تأكدت للبحرية الأندلسيه السيطرة على مياه البحر المتوسط مسجلة بذلك تفوقها على القوى البحرية للفاطميين . ولم يقتصر نشاط الأسطول الأندلسى على التصدى للفاطميين من قاعدته المريه ، فلقد قام بغزوات بحريه إلى بلاد الفرنجه ، ففى المحرم ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى قائده احمد بن عيسى بن احمد بن عبده باصلاح الاسطول بدار الصناعة بالمريه وتهذيبه والزيادة فيه وتجهيزه وذلك إستعداداً لغزو بلاد الفرنجه ، واعد لهذا الغرض اسطولا يتألف من عشرة مراكب وخمسة شوانى مجهزة بالعدد والعدة ، وابحـر إلى بلد الفرنجه ، إلا أن هذا الأسطول لم يلبث ان اصابه عطب بسبب سوء الأحوال البحريه فلم يتم الغزو ، ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله : « ... فاصابه من فيض غشت (اغسطس) مخرجه من جزيرة ميورقه هول ارتج به الجـو فعطب من مراكبه شنى واحد وقارب وانخـرم سائر المركب .. فلم يتم لها غزو (٢) » . وفى عام ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) ، غزا اسطول الاندلس بلاد الفرنجه بقيادة عبد الملك بن سعيد بن ابى حمامه ؛ وكان يتكون من اربعين مركباً وعشرين حراقه مجهزة بالنفط والآلات البحرية ، وعشرين مركباً مشحونة بالمقاتلة ، وبلغ عدد الجند المقاتلة الف مقاتل ومن البحريين الفين ، ثم غادر الاسطول ميناء المريه فى رجب من هذه السنة ، ماراً بجزيرة

---

١) ابن عذارى المصدر السابق ، جـ٢ ، صـ ٢٢١ ، راجع ايضا : سالم : المغرب الكبير جـ٢ ، صـ ٦١٣ .

٢) ابن حيان « ابو مروان » : المقتبس (قطعة من عهـد عبد الرحمن الناصر ، مخطوط ميكروفيلم رقم ٢٠٨ ، موجود بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة عن مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط ، رقم ٨٧ ، ورقة ١٢٨ .

ميورقه إلى ان وصل «بالش»[١] من بلاد الفرنجه وفيها دارت معركة عظيمه بين العرب والفرنجه، انتهت بانهزام الفرنجه، وتقدم الاسطول العربي بعد ذلك إلى ميناء اينش[٢] - وهو مرفأ ودار صناعة - فهدمه المسلمون واحرقوا المراكب الراسيه به والأرباض الممتدة حوله؛ وبلغ عدد قتلي الفرنج في هذه المعركة ما يزيد علي اربعمائة قتيل، ثم واصل الاسطول بعد ذلك سيره إلى برشلونه وهناك اعترضه على مقربه منها القائد الفرنجى بليط في جيش كبير التحم مع العرب، وكان النصر في النهايه حليفاً للمسلمين وقتل بليط واغلب جنده، ثم قفل الأسطول الأموي راجعاً بعد غزواته الناجحه إلى مدينه

---

١) بالش : وردت هكذا في المقتبس لابن حيان، وقد اطلق هذا الاسم على اكثر من موضع بالاندلس، مع تغيير في رسم الكلمة في كل مرة، فرسمها ابن الابار بلس من عمل لورقة «التكملة لكتاب الصله، الجزء الاول، ص ٣٢١»، اما الادريسى فاورد حصن بالش من اقليم بجانة (صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس) ص ١٧٥، ص ١٩٤) وورد في ابن الخطيب بليش في غرب مالقة، وقد اطلق عليها بليش مالقة Malaga Vélez لجوارها من مدينة مالقة، اما بلس لورقة وتسمى حاليا Vélez Rubio o vélez Blanco «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٧٨، ص ٧٩ وراجع هامش٦ من المصدر نفسه»، في حين ان بالش التى يذكرها ابن حيان فموضع آخر لعله يقع جنوب برشلونه، استنادا الى ان الاسطول الاموى أبحر من ميورقة الى بالش من ارض الفرنجة — كما ورد في المتن — وارجح انها بلدة ساحلية في اقليم قطالونيه .

٢) لم نجد فيما بين ايدينا من مصادر جغرافية أو تاريخية ما يدل على موقع هذه المدينة .

طرطوشه سالماً غانماً .[١]

ويفهم من كلام العذرى ، انه فى عام ٣٠٨ هـ (٩٣٩ م) خرج محمد بن رماحس قائد اسطول المريه زمن الناصر ، فى حربيين برجالها من اهـل مريه بجانه إلى طرطوشه ، وركب من هنالك فى عشرة مراكب حربية واربعـة شوانى وفتاش بالاضافة إلى حربيتى المريه ، وابحر إلى انبوريش [٢] فبلـغ رأس الصليب [٣] على طو .. جون انبوريش ، وبعد ان انهى مهمته عاد إلى طرطوشه ماراً ببرشلونه [٤] .

وفى عام ٣٣١ هـ (٩٤٠ م) غزا محمد بن رماحس قائد اسطول المريه فى عصر الناصر إلى افرنجه مع غالب بن عبد الرحمن وسهل بن اسيد فى ثلاثين مركب حربية وستة شوانى فخرج من مرية بجانه فى ١٣ من شوال من العام نفسه ولكن سفنه تعرضت لعاصفه عاتيه فرقتهـا ، فتلوم بمرسى القبطه ،

---

١) ابن حيان : المقتبس « قطعة من عهد عبد الرحمن الناصر ، مخطـوط ، ورقات ١١٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ » .

٢) انبوريش ولعل المقصود بها امبورياس Ampurais الواقعة شمال برشلونه على الساحل الشمالى الشرقى لاسبانيا . انظر عن هـذه المدينة ما جاء هنا فى البحث ص ٦٥ ، ١٠٥ .

٣) كذا بالاصل ولم اعرف مايقابلها فيما بين ايدينا من مصادر جغرافية او تاريخية .

٤) العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨١ ، حربية والجمع « حربيات » وحرابى ، عرف بها المقريزى اذ يقول : « فالحربية هى التى تنشأ لغـزو المقاتلة » (المقريزى تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، جـ٢ ، طبعة بولاق ، القاهـرة ، ١٢٧٠هـ ، ص ١٩٠ ، وانظر ايضا العبادى السفن الاسلامية ، ص ٣٧ .

أما القائدان غالب وسهل فقد لجأ الى سهل بسيط ففيا به ثم عادا إلى المريه [١] .

ونستدل مما سبق ان ذكرناه ان المريه حظيت في عصر الخلافه بشهرة عاليه باعتبارها القاعدة الرئيسيه لاساطيل الأندلس ، وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الاسطول الاموى فى الأندلس [٢] ، الدى كان يتألف من مائة سفينة ، وكانت دار الصناعة بالمريه تتابع انتاجها الوفير للسفن الحربية والمعدات الحربيه ، وفى ذلك يقول ابن غالب الاندلسى « وبالمريه دار الصنعه وسورها على ضفة البحر ، وقد استقرت فيها العدة والآلات للسفن وما يقوم به الاسطول » [٣].

وكانت المريه حتى أوائل القرن الرابع الهجرى لا تعدو رباطاً للجهاد يتجمعه المجاهدون ويرابطون فيه [٤] ، ثم ظهرت اهمية ميناء المريه كقاعدة بحريه للاسطول الاندلسى منذ عام ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) عندما عين الخليفة الناصر أول وال من قبله علي بجانه ، فاتخذ هذا الوالى من ميناء المريه منطلقاً لعملياته البحريه [٥] . واكدت هذه العمليات البحريه حقيقة هامه وهى ان قاعدة الاسطول الحقيقية هى المريه وليست بجانة التى تقع فى الداخل ،

---

١) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المريه ، ص ٢٧ .

٣) ابن غالب « الحافظ محمد بن ايوب » : قطعه من فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، « مجلة معهد المخطوطات العربية — جامعة الدول العربية » المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥م ، ص ٢٨٣ .

٤) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٣ .

٥) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨١ .

ومما لاشك فيه ان عمليات الاسطول تتطلب سرعه فى الحركة والتزود بالمعدات والمؤن وهو أمر يتمثل فى المريه يضاف إلى كل ذلك ما تتميز به المريه من خليج شديد الاتساع والعمق ، يتسع لعدد كبير من السفن ، كما يتميز هذا الخليج بهدوء مياهه وقلة امواجه [١] ، وإلى جانب هذا تتميز المريه بحصانة الموقع ومناعة الدفاع فحولها تتوزع حصون وقلاع تزيد من قدراتها الدفاعيه مثل حصن برجه وحصن شنش ، والحصانه والمنعة من الشروط التى يجب توافرها فى المدن الساحلية ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : « ومما يراعى فى البلاد الساحليه التى علي البحر ان تكون فى جبل او ان تكون بين امة من الامم موفورة العدد تكون صريخاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب فى ذلك ان المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل العصبيات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت فى غرة للبيات وسهل طروقها فى الاساطيل البحرية على عدوها [٢] » . كذلك يشترط ابن خلدون فى المدن الساحليه والموانى ان تكون قريبة من نهر أو يكون بازائها عيون عذبة ، « فان وجود الماء قريباً من البلد يسهل علي الساكن حاجة الماء وهى ضروريه فيكون لهم فى وجوده مرفقه عظيمه عامة » [٣] .

لذلك كله اهتم الخليفة الناصر بمرية بجانة وأمر فى عام ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) بتمصير مدينة المريه وبنيانها وأدار حولها سوراً [٤] يحميه الحراس

---

١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٤٢ .

٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٩ .

٣) نفس المصدر ، ص ٣٤٨ .

٤) الحميرى الروض المعطار ، ص ١٨٣ .

والسمار [١] وأصبح كل وال تسند إلية ولايتها وولاية بجانه إلحاقاً [٢] .

وأخذت المريه من ذلك التاريخ تنمو ويتسع عمرانها على حساب جارتها بجانه ، فانقلب الوضع وصارت المريه أشهر المراسى وقاعدة القيادة العليا للاسطول [٣] ، منها يخرج لغزو الافرنج [٤] . بينما خربت بجانه وتحولت إلى قريه صغيرة [٥] . وفى عام ٤٠٢ هـ (١٠١١ م) انتقل اهل بجانه إلى المريه فكان ذلك إيذاناً بنهايتها [٦] .

وحرص الحكم المستنصر منذ توليه الخلافة على تدعيم قاعـدة المريه ، ففى عام ٣٥٣ هـ (٩٠٤ م) ، انتقل إليها بنفسه لتوقعه غزواً فاطمياً محتملا ، ولمعاينة ما استكمله بهـــا من أعمال التحصينات ومطالعة حال رابطة القبطه والوقوف على خال الرعايا بتلك الجهة [٧] . إذا كانت قاعدة المريه تضم معظم قطع الاسطول الخلافى لقربها من سواحل افريقيه ، فى حين كانت اشبيليه

---

١) ابن فضل الله العمري . جزء من كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار ، بعنوان وصف افريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، صـ ٤٥ .

٢) ذكر العذرى فى ترصيع الاخبار ، صـ ٨٢ ، عددا ممن تولوا امارة البحر وولاية المريه وبجانة ٤٠٠هـ ، وانظر ايضا ، العبادي : دراسات ، صـ ٢٩٠ .

٣) ابن حيان . المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، صـ ٢٨ ، وانظر ايضا ، العبادي المرجع السابق ، صـ ٢٩٧ .

٤) العمري : المصدر السابق ، صـ ٤٥ .

٥) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، صـ ٢٨ .

٦) العذرى : ترصيع الاخبار ، صـ ٨٢ .

٧) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجي ، صـ ٨١ .

مقراً للأسطول المرابط على سواحل المحيط لمواجهة خطــــر الغزو النورماندى [١] .

ولقد تعرضت الأندلس على عهد الحكم المستنصر لثلاثة غارات نورمانديه من جهة الغرب وفى مياه المحيط الاطلسى . ففى أول رجب ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) كانت غارة النورمانديين التى هاجموا فيها قصر أبى دانس فى ثمـانية وعشرين مركباً ، مما اوقع الاضطراب فى اهل ذلك الساحل الغربى للاندلس ، خاصة بعد وصول النورمان إلى بسيط اشبونه ، التى دارت بهـا معركة حاميـة بين النورمان والمسلمين اسفرت عن مقتـل عدد كبـير من الجـانبين ، وهزيمـة النورمان هزيمة ساحقة ، ثم تمكن اسطول اشبيليه من اللحـاق بالاسطـول النورماندى عند مصب وادى شاب ، وتحطيم معظمه واسترداد ما كان فيـه من اسرى المسلمين [٢] . ولم يستطع النورماندبون ان يعاردوا غاراتهم التاليه على الاندلس إلا بعد ذلك بخمس سنوات .

اما الغارتان النورمانديتان اللتان اعقبتا تلك الغزوة ، فقد تمتا فى سنتى ٣٦٠ هـ ، ٣٦١ هـ (٩٧٠ م إ ٩٧١ م) ، ويغلب على الظن ان النورمان لم يتمكنوا خلالها من النزول بالسواحل الاندلسيه بفضل شدة بأس الاسطول الاندلسى ويقظته بحيث امكنه فى سهولة ويسر من التصدى اسفنهم وابادة معظمها .

ولا شك ان هذه الغارات النورماندية دفعت الحـكم المستنصر إلى زيادة عدد قطع الاسطول الاندلسى ، فارتفع عدده من ثلاثمائة [٣] إلى ستمائة جفن

---

١) ابن عذارى . البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ .

٢) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٣٩ .

٣) ابن الخطيب (لسان الدين) : اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من =

ما بين غزوى وغيره (١) .

وفى عهد هشام المؤيد الذى خلف اباه المستنصر على دست الخلافه بقرطبه فى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) ، واصل حاجبه محمد بن عبد الله بن ابى عامر الملقب بالمنصور (٢) الاهتمام بالإسطول الاندلسى ، واستعان بهذا الأسطول فى نقل قواته ومعداته إلى العدوة المغربية للاحتفاظ بسلطان الامويين هناك . كما استخدم بعض وحدات الاسطول فى حملاته على ساحل قطلونية عام ٣٧٤ هـ (٩٨٥ م) ، وفى نقل المشاه من جنوده فى المحيط الاطلسى فى حملته على جليقيه او غاليسية Galicia غربا ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) وهى الحملة التى دمرت مدينة شنت ياقب Santiago de Compostella القاعدة الدينيه لاسبانيا المسيحية (٣) . وفى سنه ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) أنشأ المنصور اسطولا كبيراً فى الموضع المعروف بقصر ابى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجالة البحرين وصفوف المترجلين ، وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاسلحه (٤) . كما وصف احد الشعراء المعاصرين الاسطول الذى انشأه المنصور بن ابى

= ملوك الاسلام « الجزء الخاص بالاندلس » تحقيق ليفى بروفنسال ، الطبعه الثانية بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٦ : ص ٤٣ .

١) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص ١١٢ ، والجفنه أشبه شىء بالقصعة وبذلك تتحدد ابعادها ، اذ هى سفينة دائرية من سفن الغزو والحرب ، والجفن الغزوى كثيرا ما يستعمل فى الاندلس ، « النخيلى السفن الاسلامية ، ص ٣٣ وما يليها»

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ .

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٩٥ وما يليها ، وراجع ايضا أحمد مختار العبادى ، دراسات ، ص ٢٨٨ وما يليها .

٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٦٧ .

عامر [١] ، ويعلق المقرى على هذا الوصف بقوله : « وقد اطنب الناس فى وصف السفن واطابوا ، وقرطسوا القريض واصابوا » [٢] .

وعندما اخذت الخلافة الامويه فى الاندلس تتدهور بعد سقوط الدولة العامرية وما تبع ذلك من احداث انتهت بسقوط الخلافة الاموية ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م) ، اختفت البحرية الاموية تماما فى لاندلس واخذ نجم القوى البحرية الاندلسية يأفل وسرعان ما دخلت الاندلس بعد ذلك فى فترة سياسيه مضطربه ادت إلى انهيار وزوال وحدتها السياسيه والحربيه معاً [٣] وتوزع رؤساء الطوائف المتنزين فى مختلف ثغور الاندلس الأسطول الأموى فيما بينهم [٤] ، ولكن المريه ظلت تحتل المركز الأول بين القواعد البحرية فى

---

١) يصف ابن دراج القسطلى الاسطول الذى أنشأه المنصور بن ابى عامر فيقول :

تحمل منه البحر بحرا من القنا	يروع بها امواجه ويهول
بسكل مهالات الشراع كأنها	وقد حملت اسد الحقائق غيل
اذا سابقه شأو الرياح تخيلت	خيولا مدى فرسانهن خيول

(القسطلى « ابو عامر أحمد بن محمد بن دراج » ديوان ابن دراج القسطلى تحقيق محمود على مكى ، الطبعة الأولى ، منشورات المكتب الاسلامى بدمشق ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ، ص ٥ ، وقد أورد المقرى هذه الابيات ، المقري : « نفح الطيب ، حـ ٥ ، ص ٢٢٧ » .

٢) المقرى : نفس المصدر ، حـ٥ ، ص ٢٢٧ .

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، حـ ٣ ، ص ٤٣ وما يليها ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام « القسم الخاص بالأندلس » ، ص ٨٦ وما يليها .

٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٤٨ ، وانظ أيضا :

Henri pérés : La poesie andalouse en arabe [illegible]l ssique au XIe siécle. Paris. 1937. p. 2 4.

الأندلس زمن ملوك الطوائف ، فحينا استقل بحكم المريه معن بن صمادح التجيبي الملقب بالمعتصم ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) ، كان كل غايته العنايه باسطوله ، ويروى ابن خاقان فى القلائد : « ان المعتصم اشتغل بترميم اساطيله (١) ، كما انه - اى المعتصم - « لم يزد على مراعاة امر جواريه وفلكه » (٢) . ولهذا كان اسطول المعتصم موضع حديث الشعراء الذى عاينوه ، وقد وصف الشاعر ابن الحداد اسطول المعتصم بن صمادح وتضمن شعره اشارات إلى الات النفط التى كان يتزود بها (٣) غير ان هذا الأسطول لم يلبث ان احرقت معظم قطعه على يدى معز الدولة بن المعتصم ، الذى ايقن بتغلب المرابطين على ملكه ، فقد امر معز الدولة رجاله بنقب السور خارج باب موسى إلى دار الصنعه ، وركب بمن اختص به فى قطعة ، وحمل المال والمتاع فى ثنتيين ، احرق باقى الاجفان خشية الاتباع فأمن عاديتها (٤) ، وأوى إلى دولة بنى حماد وملكها إذ ذاك

---

١) ابن خاقان « المنتج » : قلائد العقيان ، طبعة مصر ، ١٣٢٠هـ ، ص ٤٨ .

٢) نفس المصدر والصفحة

٣) يقول ابن الحداد :

هام صرف الردى بهام الاعادى ان سمت نحوهم لها اجياد
وتراءت بشرعها العيون دأبها مثل خائفيه سهاد
ذات هدب من المجاديف حاك هدب باك لدمعة اسعاد
حمم فوتها من البيض نار كل من ارسلت عليه رماد
ومن الحظ فى يدى كل در الف حظها على البحر صاد

« فى المقرى : نفح الطيب ، حـ ٥ ، ص ١٩٨ » .

٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، « القسم الخاص بالأندلس » ، ص ١٩٢ .

المنصور بن الناصر ، فقربه واحسن إليه » (١) واقطعه تدلس بالجزائر (٢) .

---

١) ابن الكردبوس « ابو مروان عبد الملك » : كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، القسم الخاص بالأندلس ، معهد الدراسات الأسلامية بمدريد ، ١٩٧١ ، ص ١٠٥ ، وقد خلف المنصور بن الناصر ابن علناس بن حماد والده الناصر عام ٤٨١ هـ ، وكان المنصور مولعا بالبناء والتشييد فأسس جامع بجاية ، وجدد قصورها وشيد العديد من القصور منها قصر المنار وقصر الكواكب وقصر السلام ، « راجع السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ص ٦٨٤ » .

٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام « القسم الخاص بالمغرب » ، ص ٩٧ ، وراجع أيضا : السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٦٨٤ ، و « تدلس » Dellys بفتح التاء والدال المهملة وتشديد اللام ، مدينة بالجزائر على ساحل البحر المتوسط ، « ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٩٧ ، هـ ١ » .

الفصل الثاني

المريه فى عهد خيران وزهير العامريين

أولا : النظام الادارى فى المريه منذ انشائها حتى قيام دويلات الطوائف

حظيت المريه منذ ان اسسها عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) باهتمام خاص منه ومن خلفائه لعظم اهميتها وخطورة مكانتها كقاعدة رئيسية لاسطول الاندلس . وقد نمت المريه فى عصر الخلافة واصبحت قاعدة كوره (١) تابعة لقرطبه . وبينما نجد فى الاندلس كوره تنسب إلى حواضرها مثل كورة اشبليه (٢) ، وجيان ومالقه وريه ، نجد بعض الكور لا تنسب إلى حواضرها او قصباتها مثل كورة البيرة وقصبتها مدينة قسطله (٣) .

---

١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٢ — ١٨٤ ، قسمت الأندلس اداريا الى كور « جمع كورة » على نحو ما كان متبعا فى مصر والشام فى صدر الاسلام ، وكورة لفظة يونانية الأصل من (Curia) وكانت تقابل كلمة pagarchie فى النظام البيزنطى ، راجع : Lévi-provencal : Histoire. t. III p. 48
ويعرف ياقوت الكوره بانها : « كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع أسمها ذلك اسم الكورة » ، (معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٣٦) ، وظهر اصطلاح كورة فى الأندلس لأول مرة فى عهد الوالى ابى الخطار الحسام بن ضرار الكلبى وذلك عندما أراد أن يجد حلا للجند الشاميين الذين دخلوا الأندلس سنة ١٢٣ هـ مع بلج بن بشر القشيرى ، «راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ص ٣٠ ، ٣٤ » .

٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٩٢ وما بعدها .

٣) ابن غالب : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

ويعرف ياقوت الاقاليم ، ويعتبره خاصا بأهل الاندلس فيعبر عن ذلك بقوله : « والاصطلاح الثانى لاهل الاندلس خاصة فانهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة اقليما ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصهم وهذا قريب عما قدمنا حكايته عن حمزة الأصفهانى فاذا قال الاندلسى انا من اقليم كذا فانما يعنى بلدة أورستاقا بعينه » (١) .

وللعذرى نص - غير كامل - يشير إلى ان الكور كانت تنقسم إلى اقاليم يتبع كل اقليم عدد من القرى (٢) .

ونخلص مما سبق ان المريه كانت قاعدة كوره وانها كانت تنقسم بدورها إلى أقاليم ، يتضمن كل منها عدداً من القرى . وكان يطلق على كل ما يدخل فى نطاق الكورة أو الاقليم اسم عمل (وجمعه اعمال) (٣) ، أو حوز (٤) (وجمعها أحواز) ، او نظر (٥) أو ولايه (٦) .

وأياما كان الأمر ، فالمعروف ان كور الاندلس كانت تسند إلى

---

١) ياقوت : معجم البلدان ، ١ ص ١٥ ، الحميرى : الروض المعطار ، الترجمة الفرنسية ص ٢٥٧ .

٢) العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ١٠ ، ص ٢٠ ، ص ٢٢ ، ص ٩ .

٣) ياقوت : المصدر السابق ، ١ ص ٢٥٩ ، ٢ ، ص ٢٧٦ ، ص ٣٧٦ ، الحميرى المصدر السابق ، ص ٩٥ وما بعدها .

٤) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٢ وما بعدها ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

٦) ياقوت : المصدر السابق ، ٦ ، ص ٣٤ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

عمال (١) يعينهم الخليفة بنفسه (٢) ، يقومون عنه فى جميع المناسبات بادارة كل ما يتعلق بالكورة أو المدينة من شئون عسكرية ومالية وغيرها ، في حين كان يتولى إدارة المدن الواقعة فى مناطق الثغور قواد عسكريون (٣) .

وكان ولاة الكور وقواد المدن يقيمون فى مركز الكورة أو المدينه ويعرف بالقاعدة (٤) ، أو الحاضرة (٥) ، أو القصبه (٦)، كانت تتمثل فيها نماذج مصغرة من مختلف مكاتب الادارةالموجودة في العاصمه قرطبه ، فكان يوجد قسم خاص لمكاتبات العمال والقادة الرسمية لإبلاغ الخليفه بكل ما يتعلق بشئون مدنهم وكورهم (٧) ، وكان من مهام عمال الكور الاشراف على إعداد الجند وحشدهم من القرى والنواحي عندما يتطلب الأمر القيام بغزو (٨)

---

١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ١٧٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٠١ ، ص ١٦٤ ، ص ٢٠٢ .

٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٧٥ وما بعدها ، ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ١٩٠ ، ص ٢٨٣ ، الحميرى المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ص ١٤٩ ، ص ١٥٠

٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ٢١١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ ، ص ٢٨٧ .

٤) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢ ، ص ٢٨ ، ص ١٠٦ ، ١٨٨ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ .

٥) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٤ .

٦) ياقوت : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٦ ، ص ٣١٩ .

٧) ابن حيان : المصدر السابق ، صفحات ٧٥ ، ٨٩ ، ٢٢٧ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ ، ٢٣٧ .

٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ ، ابن الخطيب : اعمال=

والنظر فى جبايه الأموال المفروضه على الأهالى وارسالها إلى قرطبه (١) بعد ان يستقطع الامين (٢) ، وهو القائم بهذه الأعمال ، منها رواتب الموظفين ونفقات الجند .

وكان تنصيب العمال وعزلهم يتهم بأمر الخليفة شخصياً (٣) ، وكانت مجرد شكوى واحده من أهالى الكوره ضد الوالى تكفى لان يتهمه الخليفة باساءة استعمال السلطة (٤) ، وكان ذلك الاتهام كفيلا بعزله وإنزال العقاب الذى يوقعه الخليفه عليه . فقد حدث ان عزل المنصور القائد عبد الرحمن بن مطرف عن سرقسطه بسبب شكوى أهل الثغور منه ، فصدر الامر بالقبض عليه ومحاسبته ثم قتله (٥) .

وإذا بحثنا فى وضع المريه باعتبارها قاعدة لإحدى كور الانـــدلس فى بداية الفترة موضوع البحث ، نجـد ان رئاسة المرية وبجانه منذ عهد الخليفه عبد الرحمن الناصر قد اسندت إلى قائد البحر محمد بن رماحس (٦) ، الذى كان

= الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص٢٣ .

١) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ص ٢٤١ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .

٢) ابن الفرضى « ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى » : تاريخ علماء الاندلس ، نشر كوديره ، الدار المصرية للتأليف والترجمه ، مصر ١٩٦٦ ص ٢١٧ « ترجمة ٨١٠ » .

٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٩٠ ، ص ٢٨٣ .

٤) نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

٥) نفس المصدر : ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

٦) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨١ ، وانظر أيضا ، أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٨٩ .

مسئولا فى ذلك الوقت عن التجنيد فى مدينتى بجانه والبيره (١) . وكان ابن رماحس عندما يعهد إليه الخليفة بالغزو يستخلف على المريه وبجـانه مـكانه ابنه عبد الرحمن بن محمد بن رماحس وقاسم بن عبد الرحمن بن مطرف (٢) ، واستمر محمد بن رماحس فى ولايته عليها إلى أن دس له المنصور بن ابى عامر سماً قضى عليه فى سنة ٣٦٩ هـ (٩٨٠ م) (٣) .

ويورد العذرى ثبتاً فريداً فى نوعه بعدد الولاة الذين اسندت إليهم ولاية المرية وبجانه بعد ابن رماحس حتى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) يقول فيه : « ثم ولى ابن مسلمه ثم ولى القاسم بن القاسم بن عبدالرحمن سنة ستة وثمانين وثلثمائة، ثم ولى ابن حدير، ثم ولى ابن فرجون المعروف بالربولوا (٤) ، وكان صاحب الشرطة القائد على بجانه والمريه فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة محمد بن عبد الله بن حمدين ثم ولي ابن صاعد ، ثم ولى عبد الرحمن بن رويش بجانه والمريه واعمالهـا سنة اربعمائه ووليها معه افلح العبد وشاركه فى الولاية ، ووقع بينهما خلاف إلى ان تقاتلا ، وافلح هذا فى قصبة المريه وعبد الرحمن فى مدينتها ، ثم خرج عبد

(١ Lévi—provençal : Histoire, t. III, p. 109.

٢) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣ Lévi—provençal; Op. cit., p. 109

أحمد مختار العبادى المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

٤) والربولوا : بضم كل من الراء المهملة والباء الموحدة من اسفـل ثم واو ولام بعدها واو والف ، كذا تشكيل الكلمة فى العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ٨٢ ، وأقرب التفسيرات لهذه اللفظه انها مشتقه عن الاسبانية Royo, Rojo, Rubio, Robbio أى الأحمـر ، وابن الروبو أو الروبول أى ابن الأحمـر ، == (Simonet « Francisco »; Glosario de voces Ibéricas y

الرحمن هذ من المريه هارباً واستجاب البربر ونزل فى جامع بجانه ، ودخل عايه

Làtines usadas entre los mozarabes, Madrid, 1888, p.498); =

أو من Robo بمعنى سرقة أومن روبربو المشتقة من Riobarbo وربما تعنى نهـــر الفالوجا او الدانوب حيث تنبت بعـــض الأعشاب البرية باسم barbar (Simonet : Op. cit., p. 486;

أو من Rodavallo ، وتعنى نوعا من السمك ويعطى اللفظ معنى الشيء الذى يدور مثل العجلة ، (Simonet : Op. cit., p. 492) أو من Rebollo وهو نوع من الاشجار العالية ، أو Repollo بمعنى الكرنب (راجع القواميس الاسبانية) ، أو عن Rebelion بمعـــنى ثورة أو عصيان ، ومن بين هذه التفسيرات نميز ثلاث :

أولها ، أن يكون المقصود بربولوا الاحمـر أو الاشقر ، والثانى ، أن تكون الـكلمة مشتقة من Robo بمعنى سلب أو نهب اذ أن طبيعة عمل ابن فرجون تعبر عن هذا المعنى ، ومع هذا فقد يكون المراد من كلمة روبولوا القرصان فأطلق من ثم عليه هذا اللقب ، ومما يقرب ترجيحنا لذلك احتمال أن يكون أصله من جماعات البحريين الذين استوطنو بجانه ووصلوا الاغارة على سواحل فرنسا الجنوبية وشمال وجنوبى ايطاليا خلال القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، ومن ثم اطلق عليهم المستشرقون لقب القراصنه ، اما التفسير الاخير وهو ارجاع الاشتقاق الى لفظة Riobarbo ، نسبة الى نهر الفولجا أو الدانوب حيث تنبت بعض الاعشاب البرية باسم barbar ، وفى هـــذه الحالة يحتمل أن يكون من الصقالبه واطلق عليه هذا اللقب ، ومع ذلك فنحن نميل الى ترجيح التفسير الاول وفى هذه الحالة يصبح المعنى ابن الاحمر او الاشقر . وانتهز هذه الفرصة لأوجه جليل شكرى الى أستاذى الدكتور أحمد مختار العبادى على تفضله بتوجيهى الى وجود معجم سيمونت الذى استعنت به فى تحقيق هذه اللفظة .

فى مقصورتها وفى جامعها وقتل هنالك ، واستجلب رأسه وجثته إلى المريه » [١].

ثانياً : انتزاء خيران العامرى بالمريه

وهكذا تولى أمر المريه منذ انشائها ولاة من الحكومة المركزيه بقرطبه إلى ان سقطت الدولة العامريه بمصرع شنجول [٢] بن المنصور بن ابى عامر ، وعلى اثر ذلك [٣] وما ترتب عليه من انهيار الخلافة الاموية و تفكك الوحدة

---

١) العذرى : ترصيع الاخبار . ص ١٢ ، والجدير بالذكر أن هذا النص لم يرد فى أي من المصادر المعاصرة أو المتأخرة زمنيا عن الفترة موضوع البحث مما يدل على أهميته خاصة وأن العذري من ثقاة مؤرخي الأندلس .

٢) شنجول أي (Sanchuelo) وهو تصغير شانجو من أسماء خؤولته حكام نفارا ، وكان أبوه المنصور بن ابي عامر قد تزوج ابنة شانجه بن غرسيه بن فرذلند ملك نافارا ، والتي اعتنقت الاسلام وتسمت باسم عبدة ، فيذكر ابن الخطيب : « انها كانت من خيرات نسائه دينا متينا وحسنا أصيلا » وانجب منها المنصور عبد الرحمن الذى اطلقت أمه عليه شنجول ذكرى لأبيها ، «ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣٨ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (القسم الخاص بالاندلس) ص ٦٦ ، ابن الكرديوس (أبو مروان عبد الملك التوزرى) : تاريخ الاندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مدريد ١٩٧١ ، ص ٦٦ ، هـ ٥ » .

٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٧ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١١٢ .

السياسية فى الاندلس اشتعلت نار الفتنة البربريه ، فقد عمل البربر على التدخل تعيين الخلفاء وعزلهم والتعصب لخليفة ضد آخر ، فادى ذلك إلى نشوب الفتن وانتشار الفوضى وترتب على ذلك احتدام الصراع بين الحموديين والمروانيين للظفر بالخلافة مما شجع بعض رؤساء الاندلس وقادتها على اعلان انفصالهم عن السلطة المركزية التى فقدت هيبتها وتراخت قبضتها على الاقاليم منذ بـــداية الفتنة .

قانتزى الرؤساء والقواد والولاة على اختلاف اجناسهم فى سائر انحـاء الاندلس واقتسموا خططها ، واستبد كل منهم بما تغلب عليه من النواحى ، وانتحل لنفسه لقبا ملوكيا ، ويعبر ابن بسام عن ذلك بقوله : « فأضحت اقطـار الجزيرة يومئذ كبنى الاعيان واهلها كما قال اخو بنى عدوان » ([1]) . فامتلك البربر جنوبى الاندلس بأكمله ، بينما اختص الصقالبه العامريون بشرق الاندلس ، اما البلديون من اهل الاندلس سواء اكانوا عربا ام بربرا أم من أصول اسبانيه تعربت بمرور الوقت فقد اسسوا أربـع دويلات هي : مملكه

---

١) عذير الحى من عدوا ن كانوا حية الارض
بغى بعض على بعـــض فلم يرعوا على بعض

« راجع ابن بسام (ابو الحسن على) : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، تحقيق لطفى عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ، ص ٤ ، اخو بنى عدوان : هو ذي الاصبع العدوانى وأسمه حرثان بن عمرو بن عدوان بن عمرو بن هيلان وكان جاهليا ، وعزيز الحى من تولهم اعذر من نفسه اذا أمكن منها بات يكثر عيبه وفساده ، ومنه الحديث لمن يهـلك الناس حق يعذروا من أنفسهم ، وفى بعض النسخ نذيرى ، (حاشية نفس المصدر رقمي ٢ ، ٣) .

سرقسطه ، ومملكه طليطله ، ومملكه بطليموس ، ومملكه اشبيليه (١) ، وفى خضم هذا الصراع انتزى خيران العامرى بالمريه . وكان خيران فتى صقلبيا من بين جماعة الفتيان العامريه (٢) الذين زخرت بهم قرطبه بعد استيلاء سليمان المستعين عليها . والصقالبه اسم اطلقه العرب على الرقيق المجلوبين لهم من

---

١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٨٥ .

٢) الصقالبة ، جمع صقلبى ، بالاسبانية Esclavos وبالانجليزية Slave (راجع شروح عبد الرحمن الحجى على هذا اللفظ فى ابن حيان : المقتبس ، ص ٤٨ ، هـ ١) وبالفرنسية Esclave ومعناها عبد أورقيق ، وهى التسمية التى أطلقها الجغرافيون العرب فى العصور الوسطى على الشعوب السلافية التى كانت تسكن البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقا الى البحر الادرياتى غربا وهى البلاد التى كان يطلق عليهما فى العصور الوسطى بافاريا العظمى ، راجع فى هذا :

(متز : الحضارة الاسلامية ، ص ٢٦٨ ، أحمد مختارالعبادي : الصقالبة فى أسبانيا لمحه عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٥٣ ص٨ قيام دولة المماليك الاولى فى مصروالشام ، ص١٧)، وكانت هذه القبائل السلافية قد نزلت فى أول الأمرشمال البحرالاسود ونهرالطونة ثم أخذت تنزح غربا وجنوبا نحو أواسط أوربا ، وأضطروا لهذا السبب الى محاربة الشعوب التى اعترضت طريقهم كالسكسون والهون وغيرهم مما أدى الي تكاثر الأسرى بين الجانبين وكان من عادات تلك الشعوب بيع اسراهم بيع الرقيق (راجع جورجى زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة وتعليق حسين مؤنس ج٤ ، دار الهلال القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٢) ، اذا كانت الجيوش الجرمانية فى غزوها بلاد السلاف تكثر من سبى ذراريهم ، ثم تقبل على بيعهم فى طريق عودتهم لعرب أسبانيا ، راجع فى هذا : (Lévi-provençal : L'Espagne = Musulmane aux xéme siecle, Paris, p. 54) ;

السلاف ثم شاع هذا الاسم واصبح يطلق على جميع الارقاء المجلوبين من البلدان الاوربيه ، ويذكر الرحالة ابن حوقل الذى زار الاندلس فى القرن الرابع الهجرى (أواسط القرن العاشر الميلادى) ان الصقالبه كانوا من سبى افرنجه وانكبرده Lombardia فى شمال ايطاليا ، وقلوريه Calabria في جنوبها أو جايقيه فى شمال اسبانيا (١) ، والظاهر ان هذا التفسير يعزى إلى الغارات التى كان يشنها طوائف البحريين من المغاربه والاندلسيين على الشواطىء الاوربيه المطله على البحر المتوسط (٢) . وكان هؤلاء الصقالبه المجلوبون للاندلس ينخرطون فى سلك الجنديه أو يتخذون لخدمه الحريم فى القصور بعد ان يمروا بدور الخصاء ، ومن المعروف ان تجارة الرقيق كانت رائجه فى العصور الوسطى ، وقد اختص بها التجار اليهود فى فرنسا ، ويؤكد المستشرق الهولندى دوزى انه كانت لهم مراكز للخصاء اهمها فى فردان Verdune (٣) . وكان هناك مركز آخر للتجار اليهود - لإخصاء الصقالبه المجلوبين - خلف مدينه بجانه ، فيذكر المقدسى « وأما الصقالبه فانهم يحملون

= وكان طريقهم الرئيسى يبتدىء من شرق المانيا مارا بإيطاليا ثم فرنسا ومنها الى الأندلس عن طريق نهر الرون وتطالونيا حتى ثغر بجانه على الساحل الجنوبى الشرقى لاسبانيا بجوار المريه ، راجع (أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى اسبانيا ، ص ٨) .

١) صورة الارض ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

٢) ليفى بروفنسال ، مادة (صقالبه) فى دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الفرنسية ص ٧٩ ، ٨٠ .

٣) Dozy (R) : Histoire des Musulmans D'Espagne. t. II, Leyde, 1932, p 154.

إلى مدينه خلف بجانه أهلها يهود فيخصونهم » (١) .

ولم تقتصر عمليه الخصاء على اليهود وحدهم بل شارك المسلمون انفسهم فى هذه الحرفه ، لا سيما فى مناطق الثغور المتصلة بفرنسا ، و يعبر المقرى عن ذلك بقوله : « . . . وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخصون ويستحلون المثله » (٢) ، ويذكر ابن حوقل ان « جميع من علي وجه الارض من الصقالبه الخصيان فمن جلب الأندلس (٣) » . وكان هؤلاء الصقالبه يباعون فى الاندلس احداثا صغار السن ، فيتعهدهم امراء الاندلس بالرعايه ويتولون تنشئتهم تنشئة خاصة ، فيعلمونهم اللغة العربية وفنون الفروسية وآداب المجتمع الاندلسى (٤) ، ويدربونهم علي شئون القصر .

وإذا كان عبد الرحمن الداخل هو أول من استخدم الصقالبة كجند مرتزقة فى الاندلس ، وان كان قلما رغب فيهم ، فان حفيده الحكم الربضى يعتبر اول من استكثر منهم ، إذ انه بالغ فى اصطناعهم واجتلاب منهم اعداد كبيرة اعتمد عليهم فى كل امر من اموره ، ولقد بلغ عددهم فى عهده خمسة آلاف مملوك ، وكانوا يسمون بالخرس لعجمة السنتهم كما عرفوا بالمماليك (٥) ، وبينما يطلق ابن حيان عليهم اسم « المجابيب الصقالبة » (٦) فان ابن عذارى

---

١) المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم تحقيق دي غويه De Goeye ، ليدن ١٠٦ ، ص ٢٤٢ .

٢) نفح الطيب ، جـ١ ، ص ١٤٠ .

٣) كتاب صورة الارض ، ص ١٠٦ .

٤) لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٥٨ ، ص٣٦

٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٢٠ .

٦) ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث مخطوط ، ورقة ٤ .

يسميهم العلوج (١) . ويواصل الأمويون سياسة اجتلاب الصقالبة إلى الاندلس واستخدامهم فى الجيش ، حتى لقد بلغ عددهم عند وفاة عبد الرحمن الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين صقلبيا ، وبلغ عدد النساء بالقصر ستة آلاف وثلاثمائة (٢) ويبدو ان عبد الرحمن الثالث كان يستهدف من الاستكثار منهم اضعاف قوة القبائل العربية (٣) . ويدل عدد الصقالبة ذكورا كانوا

---

١) البيان المغرب ، حـ ٣ ، صـ ١٦٢ .

٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، حـ٢ ، صـ ٢٢٣ ، وتتفق رواية ابن الخطيب مع ابن عذارى فى عدد الصقالبه ولكنها تختلف فى عدد النساء بالقصر ، اذ يذكر ابن الخطيب أن « عدد النساء بالقصر ستة آلاف وسبعمائه وخمسين » ، (ابن الخطيب أعمال الأعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، صـ ٤٠ ، ٤١) .

٣) ليفى بروفنسال : مادة «صقالبة» ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الفرنسية صـ ٧١ ، ٨٠ ، اذ لم يتردد الخليفة الناصر فى أن يعهد الى نجده الصقلى بقيادة الحملة الموجهة ضد راميروا الثانى Ramiro II ملك ليون وحلفائه أصحاب مملكة نافارا Navarra على الرغم مما أبدته حاشيته من استياء ، وهى الحملة التى كانت نتيجتها هزيمة المسلمين فى وقعة سنت مانكس Simancas والخندق Alhandega عام ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) ، والتى يقال أن فشلها يرجع الى تغير نفوس العرب لتقديم الصقالبة عليهم ، اذ أقسموا على أن يتركوا الصقالبه وحدهم عند بدء المعركة مما أدى الى الهزيمة وقتل نجده الصقلبى قائد الحملة ، وفرار عبد الرحمن الناصر بأقل من خمسين فارس بعد نجاته بأعجوبة ، (راجع : مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، مكتبة المثنى ببغداد ، طبعة مجريط ١٨٦٧ ، صـ ١٥٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، صـ ٣٦ ، ٣٧ ، المقري : نفح الطيب جـ ١ ، صـ ٢٣١ ، ٢٣٢ ، أحمد مختار العبادى : الصقالبه فى أسبانيا ، صـ ١٢ ، ١٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس ، صـ ٢٨٩).

أم اناثاً على ظهور طبقة جديدة فى المجتمع الاندلسى ، اخذت تنموا تدريجياً حتى اصبحت تمثل احدى القوى الرئيسية ، التى لعبت دوراً هاماً فى التاريخ الاندلسى ، فقد حازوا ثقة الخلفاء فتقلدوا المناصب الرفيعة فى الدولة كصاحب البرد وصاحب السكة وصاحب الطراز ، واسندت إليهم مهام عليا بالقصر كما تولى بعضهم مناصب القيادة العسكرية (١) .

وفى عهد الخليفة المستنصر ، تمتع الصقالبة بنفوذ واسع وأصبحوا يتحكمون فى كل مداخل القصر ومخارجه كما استأثروا بحراسة الخليفة ، ولمع منهم اثنان استبدا بالسلطه داخل القصر احدهما فائق صاحب البرد والطراز ، والآخر جؤذر صاحب الصاغه والبيازره(٢) ولقد لعب هذان الأخيران دوراً هاما فى عهد ابنه هشام ايضاً (٣) .

وقد استكثر المنصور بن ابى عامر من العبيد والمماليك والعلوج ليقهر بهم من يطاوله ويؤكد ذلك ما أورده صاحب نفح الطيب بقوله : « وقدم رجال البرابرة وزناته ، واخر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم ، فتم له ما أراد

(١ Bertrand. (Louis) . The History of Spain, Part, I,London 1934, d. 58.

٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الخاص بالاندلس ، ص ٦٥ .

٣) يعبر ابن الخطيب عن ذلك بقول « كان هؤلاء الفتيان الصقالبة يستأثرون بما خلف حجاب القصر ، ينيفون على الالف وفيهم الاكابر الملقبون بالخلفاء تعظيما لهم وتنويها بعلو شأنهم ، وكان عددهم حوالى العشرين فتى ، يعيشون هيئة الملوك العظماء وعلى رأسهم فائق وجؤذر » (أعمال الاعلام ، القسم الخاص بالاندلس ص ٦٠) .

من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر ... وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبه ، وقهر من تطاول إليها من العلية (١) .

ولم يكن الصقالبة الذين نسب معظمهم إلى المنصور بن أبى عامر أقل جشعاً فى السلطان من اجناد البربر ، فقد استغلوا ضعف المؤيد وعزلته عن الحياة السياسية التى فرضها عليه العامرية واخذوا ينافسون البربر فى الظفر بالسلطان ، فأشتركوا فى جميع المؤامرات التى كانت تحاك فى قرطبه وسائر بلاد الاندلس ، وتبادلوا مع خصومهم النصر والهزيمة ولكنهم أبلوا فى حروبهم معهم كل ضروب البسالة والاقدام تحت لواء خيران العامرى رئيس طائفة الصقالبة فى قرطبه (٢) .

ولما توزعت الطوائف فيما بينها بلاد الاندلس استأثرت طائفه الصقالبة بشرق الاندلس فأنتزوا فيها وكونوا الممالك . فكانت بلنسية من نصيب مارك والمظفر الصقلبيين وآلت طرطوشة إلى لبيب الصقلبي ، ودانيه إلى ابى الجبش مجاهد العامرى والمريه إلى خيران ثم زهير .

أولوية خيران :

ويهمنا من كل ذلك خيران العامرى الذى ظفر بالمرية وكان خيران هذا من جلة فتيان المنصور بن ابى عامر ، حظى فى عهد هشام المؤيد بمكانة رفيعه أهلته لرئاسة الصقالبة ، والمشاركة فى جماعة الفحول النائبين عن الدولة (٣) . فلما نشبت الفتنة كان فى جملة المؤيدين لمحمد بن هشام المهدى حتى بدا لهم من

---

١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ .

٢) أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى أسبانيا ، ص ١٧ .

٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام (القسم الخاص بالاندلس) ، ص ٢١٠ .

أمره ، فنقموا عليه صنعه بهشام المؤيد من اقدامه على اضطهاده وحبسه بالقصر وما فعله بآبن ابى عامر عبد الرحمن شنجول ، وتجرئه بعد ذلك على أخذ البيعة لنفسه ، كل ذلك حرك نقمتهم على المهدى فثاروا عليه ثم قتلوه ، وكان من أبرز مدبرى هذه المؤامرة الحاجب واضح الفتى وزميلاه عنبر وخيران اللذان قدما من شاطبه بين لفيف من الصقالبه للمشاركة فى احداث قرطبه ، فبعد نجاح مؤامراتهم بقتل المهدى أطلقوا سراح الخليفة هشام المؤيد واعادوه إلى دست الخلافة وأسندوا حجابته إلى واضح الفتى ، إلا ان البربر تمسكوا بزعيمهم سليمان بن حكم الملقب بالمستعين فواصلوا حصار قرطبه إلى ان تغلبوا عليها [١] ، واقتحموها فكان خيران احد من تخطته المتالف ففر منها بينما اشبع البربر انتقامهم من اهل قرطبه فتعرضوا لسيوف البربر [٢] .

وكان قد انضم إلى خيران جميع فتيان محمد بن ابى عامر فحولهم وخصيانهم [٣] فرحلوا عن قرطبه مؤثرين النجاة بارواحهم إلى شرق الاندلس [٤]، ورأى خيران ان يفيد منهم فينفذ بهم اهدافه ، فقاومهم بادىء ذى بدء إلى أوريوله وكانت مثلا « فى الحصانه والمنعه » [٥] ، وكان

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ١١٥ وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة فى الاندلس ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

٢) الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٢ ، ابن عذارى المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨١ .

٣) ابن عذارى المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١٦٦ .

٤) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ١١٥ .

٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١١ ، أوريوله : مدينه قديمة ، كانت أيام المغرب تابعه لكورة تدمير ، اسمها اللاتينى Aurariola وتفسيرها الذهبية =

البربر يسيطرون عليها منذ بداية الفتنة فأخرجهم منها (١) واستولى عليها واتخذوها نقطة انطلاق لتوسعه في شرق الأندلس ولم يلبثان ضم إليه مرسيه حاضرة كورة تدمير إلى حوزته واخضعها لسلطانه في سنه ٤٠٣ هـ (٢٣ يوليو ١٠١٢ - ١٢ يوليو ١٠١٣) (٢)، واخرج البربر منها. وتوج خيران حركته تلك بالسيطرة على كل اقاليم كوره تدمير (٣) وظلت هذه الكورة

— وهي على بعد ١٢ ميلا من مرسيه، وبينها وبين قرطاجنه ٤٥ ميلا، ولها قصبه منيعة، « راجع، الادريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، ص ١٩٣، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٤، محمد الفاسي: الاعلام الجغرافية الاندلسية، « مجلة البينة »، السنة الاولى، العدد الثالث، ١٩٦٢، الرباط، ص ٢١).

١) العذري: ترصيع الاخبار، ص ١٦.

٢) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ٢١١،

Lopéz (Emilio Molina): La cora de Tudmir segun Al'Udri (S. XI); en (Cuaderno) de Historia del Islam), Sevilla, 1972, p. 87.

٣) العذرى: ترصيع الاخبار، ص ١٦، وقد عدد العذرى، المصدر السابق، ص ١٠، أقاليم كورة تدمير فقال: « أقليم لورقة، أقليم مرسيه، أقاليم العسكر، أقليم شنتجياله، أقليم الش، أقليم ايه السهل، أقليم جبل وتصره القلعة، أقليم طيباليه، أقليم توتيه، أقليم ابن الجابيع، أقليم بقصره أخرى، أقليم موره، أقليم باش وفيه حصن قريلش، وفيه حصن رتيه وفيه حصن ابليار، وقاعدة بالش بذلش، وأقليم بيرة، ويذكر الحميرى أن تدمير تضم سبع مدن هي: « اوريوله، ولقنه، ولقنت، ومولة، وبلانه، ولورقه، اله »، الروض المعطار، ص ٦٢.

خاضعه له حتى وفاته (١) .

السياسه الخارجيه لخيران العامرى :

وما ان تغلب على هذه الكورة حتى اتجه إلى المريه معقل الاندلس ، وكان أفلح الصقلبي آنذاك متغلباً عليها ، ويصفه ابن الخطيب بانه « رجل جلف شديد العتو والجهالة ، مفرط النخوة ، لا يحسن التفرد والاستقلال بنفسه ، قد ذهب به العجب كل مذهب ، ورأى لنفسه الفضل على سائر جنسه بالشيخوخه وقديم الملكه » (٢) ، فهاجمه خيران بجيشه فى أول المحرم سنه ٤٠٥ هـ (يوليو ١٠١٤ م) وضيق عليه ، وتمكن من التغلب على أفلح وولديه وقتلهم وألقى بجثثهم فى البحر ليلا ، ثم دخل مدينه المريه واستولى على قصبتها ، وانتهب كل ما وجدوه فيها من أموال وعدة ، وأمن أهلها (٣) .

ومن ذلك الحين أصبحت المريه حاضرة مملكته وقاعدة دولته فجاب إليها امواله وعدته (٤) ، واستوزر ابا جعفر احمد بن عباس بن ابى زكريا ليعينه فى تدبير شئون المملكه وكان ابو جعفر هذا من كبار كتاب الاندلس ذاعت شهرته فى الافاق وعظمت منزلته فى مراتب الادباء وذكروا عنه انه : « بز أهل زمانه فى اربعه أشياء : الثروة ، والكبر ، والبخل والانشاء » (٥) ، وقد لعب

---

١) العذرى : المصدر السابق ، ص ١٦ .

٢) أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٢١١ .

٣) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

٤) ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٢١٢ .

٥) انظر ترجمته فى ابن بسام : الذخيره فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٥١ ، ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، دوزى « رينهارت » : ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلانى ، مصر ١١٣٣ ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

هذا الوزير دورا بالغ الخطورة فى عهد زهير العامرى خلف خيران كما سنرى بعد فى موضعه (١) .

وما ان استقر الأمر لخيران فى المريه قاعدته الرئيسيه ، حتى غادرها بجيشه تلبيه لدعوة على بن حمود - القائم بسبتة - الذى ثار على الخليفه المستعين مدعيا انه حصل على وصيه من الخليفه هشام المؤيد ، تؤهله للخلافه من بعده ويعبر ابن عذارى فى ذلك نقلا عن المظفرى بقوله ان عليا لما خرج « عن طاعه المستعين اخرج كتابا نسبه إلى هشام بن الحكم يقول فيه انقذنى من أسر البرابر والمستعين وانت ولى عهدى » (٢) وفى روايه للمقرى ان المويد هشام كان « يشتغل بالملاحم ، ووقف على ان دولة بنى اميه تنقرض بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين ، فلمادخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيراً من محاسنها ومحاسن اهلها كان من اكبر امرائهم على بن حمود ، وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه ، فدس إليه ان الدولة صائرة إليك ، وقال له : ان خاطرى يحدثنى ان هذا الرجل يقتلنى ، يعنى سليمان ، فان فعل فخذ بثأرى » (٣) . وأيا ما كان الامر ، فان خيران لم يتردد فى تلبية دعوة على بن حمود لنجدته فسار بقواته إلى مالقه ، وكان على بن حمود لكى يكسب انصاراً جدداً ، قد اعلن فى مالقة أنه لم يحضر إلا لنصرة الخليفة هشام المؤيد (٤) ، فلقى اعلانه هذا استجابة من أهل مالقه بالاضافة إلى تأييد خيران وزاوى بن زيرى وحبوس بن ماكسن بن زيرى وأخوته وبنى عمه الصنهاجيين ،

---

١) أنظر صفحات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ص ١١٦ .

٣) نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٧ .

٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٢٠ .

فعظم شأنه وقوى أمره ، وحارب بهم المستعين . وكان المستعين عندما بلغه نبأ تحالف على بن حمود وخيران العامرى عليه ومسير جيوشها إليه ، عظم عليه الأمر وخرج بمن تبقى من رجاله للقائها ، واشتبك الفريقان فى المحرم سنة ٤٠٧ هـ (يوليو ١٠١٦ م) فدارت الدائرة على المستعين وانصاره ، وانتصرت جيوش على بن حمود وخيران ودخل على بن حمود قصر قرطبه فى ٢٢ محرم سنة ٤٠٧ هـ (يوليو ١٠١٦ م) (١) .

أما خيران فكان يحدوه الامل فى ان يجد مولاه هشاما ما يزال حيا كما اوهم ابن حمود بذلك فلما تبين له ان الامر لم يكن سوى خدعة أظهر خلافه ، وخشى فى نفس الوقت ان يغدر به على بن حمود فيتخلص منه ، ولهذا السبب بادر بالرحيل عن قرطبه إلى شرق الاندلس (٢) .

واما على بن حمود فقد استقرت له الامور بقرطبه إلى ان قتل فى أول ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) ، على ايدى ثلاثة من صقالبته اقدموا على قتله فى حمام قصره واعترفوا بذلك (٣) . ثم استدعى البربر أخاه القاسم من أشبيلية لمبايعته بالخلافة ، فلم يتردد فى القدوم ودخل قرطبه فى ٤ ذى القعدة

---

١) الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٢١ ، ٢ ، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٥٧ .

٢) الضبى المصدر السابق ، ص ٢٥ ، ابن عذارى المصدر السابق، جـ٣، ص١٢٠، ١٢١ ، السيد عبد العزيز سالم ، : المرجع السابق والصفحة .

٣) ابن حزم « أبو محمد على بن أحمد بن سعيد » نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقى ضيف « مجلة كلية الآداب » ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ٨٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ١٢٢ .

سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) وبويع له بالخلافة ، وتلقب بالمأمون [١] ، ولكن نفوذ الخلافة ظل فى عهده محدود السيطرة « فقد غلب عليه رؤساء البربر المسئولون على الكور وامراء الثغور ، والفتيان العامريون بالبلاد الشرقية » [٢] .

فلما علم القاسم بن حمود بنبأ قيام خيران العامرى فى سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٧ م) ، بتنصيب خليفه من أعقاب بنى ابيه يدعى عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن الناصر لقب بالمرتضى ، ومبايعة امراء الثغر له ، كاتب العامريين وعمل على استمالتهم ، فأقطع زهيرا جيان وقلعة رباح وبياسة ، وكاتب خيران واستعطفه ولجأ إليه واجتمع به بالمريه ثم عاد إلى قرطبه [٣] .

وكانت لهذه المساعى على ما يبدو وأثرها فى مجريات الاحداث ، خاصة وان المرتضى اظهر الجفاء لمنذر بن يحيى وخيران ، فندما على تأييدها لقضيته [٤] ، وأضمرا الكيد له وخذلانه فى معركته المقبله مع البربر المتغلبين فى قرطبه واعمالها [٥] . فما كاد المرتضى يظفر بالبيعة حتى قر عزمه على

---

١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٨٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ق ٣ ، ص ١٢٢ — ١٢٤ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ١٢٠ .

٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٨٦ .

٤) نفس المصدر والجزء والصفحة ، السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، الجزء الاول ، ص ٩٥ .

٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٠٠ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ٩٥ .

إعادة الخلافة الاموية بقرطبه فاعد لهذا الغرض جيشاً كثيفاً من موالى العامريين خرج فى مقدمتة وصحبه فى جملة من جاء معه منذر التجيبى صاحب سرقسطه وخيران وعدد من فرسان الفرنجة ( ) ولكن هولاء خافوا من عواقب انتصاره وايقنوا ان ظفره بالخلافة يتعارض مع مطامعهم الشخصية ومصالحهم ، ويعبر المقرى عن ذلك بقوله : « فكان من الاتفاق العجيب ان فسدت نية منذر وخيران على المرتضى ، وقالا أرانا فى الأول وجها ليس بالوجه الذى نراه حين اجتمع إليه الجم الغفير ، وهذا ماكر غير صافى النيه » (٢) ، ويعلل ابن حيان سبب غدر منذر وخيران بالمرتضى بأنهما طلبا منه ان يخرج مبارك صاحب بلنسيه معهم فى غزو قرطبه ولما لم يجبهما المرتضى إلى طلبها واقراره بتخلف مبارك لجمع الاموال ، حقداً عليه واجمعا على الغدر به [٣] فعمدا إلى تضليله وتظاهرا باسداء النصيحه له وهما يغرران به واقنعاه بمهاجمة بربر غرناطه بحجة انه لا يمكنه غزو قرطبه قبل ان يقضى على عدو يتربص بهم فى غرناطه ويهدد مؤخرتهم (٤) ، فاقتنع المرتضى برأيهم ، ولم يجد مايمنع من البدء بزاوى بن زيرى اكبر سند للقاسم بن حمود (٥) . وهكذا نجح خيران ومنذر بن يحيى فى استدراج المرتضى الى محاربة بربر

---

١) المقرى : نفح الطيب : ﺟ ٢ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

٢) المقرى : نفح الطيب ، ﺟ ٣ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٠ ، السيد عبد العزيز سالم قرطبه حاضرة الخلافة ، الجزء الأول ، ص ٩٥ ، ﻫ ٤ .

٤) ابن بسام : نفس المصدر ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٠٠ .

٥) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى أسبانيا فى نهاية الخلافة الأموية ، حلب ، ١٩٦٣ ، ص ٢١٩ .

غرناطه في الوقت الذى دبرا فيه هزيمته بالاتفاق مع زاوى بن زيرى، ويؤكد ذلك ماذكره ابن بسام فى الذخيرة اذ اشار الى انهما « دسا الى زاوى واسرا علية بالغدر بالمرتضى » [١] ، وما اوردة المقرى من أن خيران لما اقترب من غرناطة كتب الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلب علي غرناطه « وضمن له انه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازة عايه الى قرطبه خذل عن نصرته الموالى العامريين اعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فاصغى ابن زيرى الى ذلك » [٢] . فلما هاجم المرتضى بجيشة بربر غرناطة تخلى منذر وخيران عنه وانسحبا من المعركة فدارت عليه الدائرة وولى الادبار ، فارسل الصقالبة وامراء الثغور بعض رجالهم لقتله وتم لهم ذلك فى سنة ٤٠٩ هـ (١٠١٩م) [٣] .

ثم تدخل خيران ومجاهد العامرى فى الاحداث السياسيه بقرطبة مرة ثانية، إذ سعى بعض اهل قرطبه الى الاتصال بيحي بن على بن حمود العلوى بهدف اعادته الى الخلافة بعد ان تاكد لديهم خبر موت الخليفة المستكفي بالله الاموى [٤] وكان يحيى بن على قد استقر انذاك بمالقة بعد ان خطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالمعتلى ، فاجاب طلبهم وأرسل من قبله عبد الرحمن بن عطاف اليفرنى واليا عليهم ، ثم سار المعتلى الي قرطبه ودخل مقر الخلافه يوم الخميس ١٦

---

١) ابن بسام : الذخيرة ، م ١ ، ق ١ ، ص ٤٠٠ .

٢) المقرى : نفح الطيب ، حـ ٢ ، ص ٣٠ .

٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٠٠ .

٤) ابن عذارى : البيان المغرب حـ ٣ ، ص ١٤٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٦ .

رمضان سنة ٤١٦هـ (٩ نوفمبر ١٠٢٥م) (1) ، ولكنه لم يقم بها طويلا ،
اذا كان يتوجس خيفة من اهلها ولم يكن يحس بينهم بامان فغادرها بعد
مايقرب من أربعة شهور ، بعد أن ترك فيها وزيره وكاتبه ابا جعفر احمد بن
موسى ورو ناس بن روح كي ينوبا عنه في حكمها (2) . ولكن بعض المؤرخين
يذكرون ان جماعة من أهل قرطبة خاطبوا يحيى بن على بالخلافة ، فوافقهم
وارسل اليهم نائبا عنه لولاية قرطبه يدعى عبد الرحمن بن عطاف اليفرنى ولم
يحضر هو باختياره (3) . ولكن المعتلى لم يلبث ان لقى حتفه بجهة قرمونة في
حربه مع ابن عباد صاحب اشبيلية (4) وبموته ابان اهل قرطبه أنفتهم من
بقاء مدينتهم تحت حكم البربر وعزموا على اعادة الخلافة الامويين ، فاتصلوا
بخيران العامرى صاحب المرية ومجاهد صاحب دانيه واستنصروا بهما على
البربر [illegible] ٢٠ ربيع الاول سنة ٤١٧هـ
(١٩ مايو ١٠٢٦م) على البربر وقتلوا منهم مايقرب من الف بربرى (5) .

---

1) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

2) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٤٠ ، ١٤٥ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، وأنظر أيضا :

Lévi-Provençal . Histoire t. II pp. 336 - 337 .

3) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٧٨ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، نشر محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٠٢ ، المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

4) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ١٤٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ابن الخطيب : اعمال الأعلام ص ١٠٧

5) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٤٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

وعلى اثر ذلك وصل مجاهد وخيران العامريان الى قرطبة بحشودهما ، فأقاما بها نحو شهر ولكنهما تنازعا ودب بينهما الخلاف فخاف كل منهما من صاحبة فعاد خيران الى المرية اواخر ربيع الاخر سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦م) ، اما مجاهد فقد ظل يقيم بقرطبة مدة ثم رجع الى دانيه حاضرته [١] ، ويقال ان سبب مغادرتهما لقرطبة يرجع الي عدم اتفاقها مع اهلها للبيعة لاحد الامويين [٢] .

ويمكننا ان نخلص مما سبق ان سياسة المصلحة كانت الهدف الاول الذى يوجه خيران العامرى صاحب المرية فى كل تحركاته ، اذ سعى جاهدا الى توجيه العصبيه الاندلسية للقضاء على العصبية البربرية فى خلافة على بن حمود ، واصطنع مع المرتضى المكر والدهاء بعد ان لجأ اليه القاسم بن حمود واستنجد به فسير المرتضى الى حتفة وتخلص منه بقتلة .

ولم يقتصر دور خيران على التدخل فى الاحداث السياسيه بقرطبة فقد شارك فى احداث شرق الاندلس ، فعندما اسند الفتيان العامرية بشرق الاندلس امرهم الى نفر من مشيختهم بعد خروج مجاهد رئيسهم عنهم ، وتشاوروا فى تنصيب امير يتخذونه رئيسا لهم من سلالة مولاهم المنصور بن ابى عامر ، اتفق رأيهم على تنصيب عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن عامر ملكا عليهم [٣]. وكان عبد العزيز انذاك فتى حدثا لا يتجاوز

---

١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٤ ، ابن الخطيب . المصدر السابق ص ١٢٧ ، أنظر ايضا :

Lévi-provençal : Histoire, t. II; pp. 336 — 337 .

٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثالث ، مخطوطة بغداد ، لوحة ٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٦٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٩٤ .

من العمر خمسة عشر عاما ، كان فى حماية ابيه عبد الرحمن شنجول طفلا واضطر الى الفرار من قرطبة سرا الى سرقسطة فى اعقاب مصرع أبيه واندلاع الفتنه واستيلاء محمد بن عبد الجبار على قرطبة ، واقام فى سرقسطة فى كنف صاحبها يحيى بن منذر بن يحيى التجيبى [١] . وظل يقيم بها الى ان استدعاه الموالى العامريون فى شاطبه [٢] . التى كانت اندالا من املاك خيران العامرى - ومنها اعانه وه رئيسا لحزبهم فى سنة ٤١١هـ - ١٠٢٠م) [٣] وتلقب منذ ذلك الوقت بالمنصور تمثلا بلقب جده ابن ابى عامر ، مما جعل بعض مؤرخى العرب يطلقون عليه اسم المنصور الصغير تمييزا له عن جده [٤] .

ويبدو أن خيران - الذى ساهم فى تنصيب عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول على دست الرئاسه - قد خشى من ازدياد نفوذه ، وعز عليه ان

---

١) ابن الخطيب الصدر السابق ، ص ١٩٣ ، ١٩٥ .

٢) شاطبه : مدينه تقع بالقرب من بلنسيه على ساحل البحر وكانت من أكثر ثغور شرق الأندلس مناعة وحصانة ، والحميرى يذكر أنه كان لها قصبتان ممتنعتان كما يشير الى خصوبة بقعتها وعظم ثرائها وشهرتها فى صناعة الكاغد والى أنها « حاضرة اهلة بها جامع ومساجد وفنادق وأسواق وقد أحاط بها الوادى ، (مواد أندلسية جديده من الروض المعطار لصلاح الدين المنجد « مجلة معهد المخطوطات جامعة الدول العربية » ، المجلد الخامس ، الجزء الأول ص ٢٨ القاهرة ١٩٥٩)

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١٦٤ ، ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٤ ، بولاق ١٢٨٠ هـ ، ص ١٦١ .

٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ١٦٢ .

يحتل مكانه فعزم على التخلص منه ، وساعدته الظروف على تحقيق هدفه عندما مل اهل شاطبة من حكم عبد العزيز وكرهوا استبداده بهم ، وقرر عزمهم على الاطاحة به ثم تردد خيران في تأييد حركتهم بالثورة على عبد العزيز ، وتم الامر على نحو تجاوز تقديراتهم ، ففر عبد العزيز الى بلنسية في سنة ٤١٢هـ (١٠٢١م) (١) .

وفي هذه الاونه كانت العلاقات قد ساءت بين خيران ومجاهد العامرى صاحب دانيه وجزر البليار ، ولعل ذلك يرجع الى حسد مجاهد لخيران بسبب سياسته التوسعية واقدامه على ضم مزيد من الامارات [illegible] اوريولة (٢) منها وعزم على مهاجمتها ، فجمع بالفعل جيوشه وأساطيله [illegible] سواحل المريه (٣) ، وأدرك خيران بذكائه أن لا طاقة له بمقاومة مجاهد ، فعمد الى دهائه ، واستقر رأيه على أن يضرب مجاهدا بشخص يرتضيه العامريه ، فقرر ان ينصب أحد احفاد مولاه المنصور بن ابى عامر ليستعين به على مجاهد العامرى ، فنمي الى علمه أن محمد بن عبد الملك المظفر يقيم بجيان وأنه استطاع بفضل الثروة الكبيرة التى كانت لأمه أن يجتذب اليه الاتباع ويشترى ولاء المؤيدين ، فبعث خيران فى استدعائه فقدم اليه فبايعه بالامارة وملكه أوريولة ومرسية ، وتلقب محمد بن عبد الملك بالمؤتمن ثم المعتصم (٤) .

الا أن الاحوال سرعان ما تأزمت بين المعتصم وخيران فالسيفان لا يجتمعا

---

١) ابن خلدون : المصدر السابق ج [illegible] ص ١٦٢ .

٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢١٢ ، تشركوا «[illegible] ارنلي» : مجاهد العامرى قائد الاسطول العربي فى غربي البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى الطبعة الأولى ، مكتبة [illegible] القاهرة [illegible] ص ٨٠ .

٣) ابن حزم «ابو محمد علي» : كتاب طوق الحمامة فى الألفة والألاف ، تحقيق بتروف D. K. Petrof ليدن ، ١٩١٤ ص ٨٥

٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

فى غمد واحد ولا يمكن للامور ان تستقيم مع طموح خيران الذى اضطر الى الفرار من مرسيه فى ربيع الاول سنة ٤١٢هـ (١٠٢١م)، والالتجاء الى المريه، ومن هناك نظم قواته وأعدها لمحاربة المعتصم ونجح فى الايقاع به وتمكن من اخراجة من مرسيه فى ربيع الاول سنه ٤٠٣هـ (١٠٢٢م) (١)، فالتجأ المعتصم الى أوريوله واصبحت مرسية خاضعة لخيران يحكمها من المريه حتى وفاته سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨م) الا انه لم يستطع الصمود امام منابذة خيران له، فاضطر الى الالتجاء الى مجاهد العامرى فى دانيه فترة غير قصيرة سار بعدها الى غرب الاندلس، واستقر بحصن دارة حتى توفى فى شهر رمضان سنة ٤٢١هـ (١٠٢٠م) (٢).

وهكذا يتبين لنا حنكة خيران ومدى ما اصابه من توفيق فى سياسته سواء مايتعلق بأحداث قرطبة او فى علاقاته بشرق الاندلس، وما اقترنت به من مكر ودهاء وبلاء واقدام.

المريه فى عهد خيران :

اذا كان خيران قد وفق فى سياسته الخارجية، فانه بلغ شأوا عظيما فى سياسته الداخليه، فقد أصبحت المريه فى عصره وبفضل ما حظيت به من اهتمامه وجهدة وما حفل به عمرانها على يديه من توسع وازدهار من اعظم مدن الاندلس واكثرها تألقا وعمرانا. (٣) اذ امتدت امارة المرية انذاك على هيئة مثلث كبير رأسة نحو الجنوب يمتد جانبه الشرقى بحذاء المنطقة

١) السيد عبد العزيز سالم، مدينة مرسيه، موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرسى مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية، ١٩٦٩، ص ٦.

٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص ١٩٤، ابن خلدون، العبر جـ ٤ ص ١٦٢.

٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ٦١.

المتدة على حافة الساحل الجنوبي الشرقي لأسبانيا ، وجانبه الغربي حتى وادى آش وحدود مملكة غرناطة والجانب الشمالي حتى بسطه وجيان اللتين كانتا اهم قواعد الامارة بعد المريه كما كانت تضم عددا من معاقل الاندلس الكبار نذكر منها مدينتي اوريولة ومرسيه اللتين كان يحكمها زهير العامري اميرا من قبل خيران (١) .

ومن المعروف ان خيران منذ ان استقر بالمريه حتى اتخذها قاعدة لسلطانه وعمل على ضبطها ، وتحصين قصبتها . التى كان قد اقامها الخليفة عبد الرحمن الناصر -وزاد فيها الى حد انها نسبت اليه واصبحت من اعظم قصاب الاندلس واليه يرجع الفضل فى « سد عورات المدينه بتدعيمه أسوارها القديمة » (٢) وحرصة على وصل الماء اليها وقيامة ببناء الحمة العجيبة (٣) .

ويفهم من رواية العذرى ان خيران زار فى سنة ٤١٠هـ (١٠١٩م) فى جامع المرية زيادة اتسع بها الجامع ، كما بنى السور الهابط من جبل ليهم الى البحر وفتح فيه اربعه ابواب : باب فى جبل ليهم ، وباب تجاه مدينة بجانه ، وباب يسمى باب المربى وبابه السودان قرب ضفة البحر الذى عرف(زمن العذرى) بباب الاسد (٤) .

وجه خيران اهتمامه الى العمارة والتشبيد ، اهتم كذلك بالعلوم والاداب

---

١) راجع فى هذا : محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامهـا حتى الفتح المرابطى ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٥٦ .

٢) ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ص ٢١١ .

٣) نفس المصدر ، ص ٢١٢ .

٤) راجع عذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

فقد وفد على المريه فى عصره بعض أدباء الاندلس المشهورين اجتذبهم خيران بكرمه وتشجيعه نذكر منهم على سبيل المثال احمد بن عباس الكاتب الذى استوزره [١]، وشاعر الاندلس الكبير ابو عمرو احمد بن دراج القسطلى الذى مدح خيران فى سنة ٤٠٧هـ بقصيدة طويلة [٢] . ويعبر وفود الادباء على المريه فى تلك الفترة عما نعمت به هذه المدينة فى ظل حكم خيران من أمن واستقرار كان لهما اعظم الأثر فيما أصابته من ازدهار حضارى لم تشهده سائر مدن الاندلس المعاصرة .

وكان خيران رغم هذا متواضعا زاهدا فى الرتب الملوكيه والالقاب فلم يتلقب بشىء من الالقاب الضخمة التى تلقب بها سائر ملوك الطوائف فى عهده وقنع بما كان يعرف به من ألقاب مثل « الخليفة » و الفتى الكبير »[٣] وتوفى خيران بالمريه فى ٣ من جمادى الاولى سنه ٤١٩هـ (١٠٢٨م) بعد مرض دام شهور [٤] .

---

١) راجع ما فات هنا ، ص ٩٣ .

٢) تبدأ القصيدة بهذا البيت المشهور :

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران .٠. وبشراك قد وافاك عز وسلطان

(القسطلى « ابن دراج » : ديوان ابن دراج ، تحقيق محمود على مكى ، الطبعة الاولى ، منشورات المكتب الاسلامى بدمشق ، دمشق ١٣٨١هـ — ١٩٦١م ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، وقد وردت القصيدة أيضا فى ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٧٤ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

٣) ابن الخطيب : المصدر السابق : ص ٢١٢ .

٤) نفس المصدر : ص ٢١٥ .

ثالثا ـ عهد زهير العامرى

وخلف خيران على امارة المرية زهير الفتى العامرى احد فتيان المنصور ابى بن عامر الصقالبة [١] فما ان توفي خيران حتى بادر الوزير احمد بن عباس بالاجتماع برجال دولته واهل العقد والحل ، واخبرهم بوصية خيران فى ان يخلفه اخوه زهير فى حكم المريه إذ كان يثق به وبولائه له ، فاتفق المجتمعون على تنفيذ هذه الوصية ، وكان خيران حينما احس بدنو اجله قد بعث فى استدعاء زهير نائبه على مرسيه وجيان وأوصى بوليته الامارة من بعده فاقبل زهير فور استدعائه واقام بالمريه الى ان توفى خيران فاجمع القوم على استخلافه وفقا لمشورة ابن عباس ، فلم يزهد فى الامارة ورضى الناس به اميرا عليهم فى ٣ جمادى الاولى سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨) [٢] .

إلا زهير لم يسلم من منازعة الفتى القائم على حصن اوريوله ، إذ وقع خلاف بينهما لعله بسبب حسد مسلم على اختيار زهير خلفا لخيران مما ادى الى تمرده عليه فسارع زهير فى الحال باحكام الحصار عليه في قلعة اوريوله ، واستمر هذا الحصار ستة أشهر ضايقه فيها زهير حتى اضطر مسلم الى التسليم بشروط قبلها على الفور وتم التنازل له عن كل شيء [٣] .

---

١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ وقد ترجم اميليو مولينالويث الى العذرى فى نفس هذه القطعة ، انظر له :

La Cora de Tudmir segun Al'Udri (S. XI), en (cuaderno de Historia del Islam), p. 88 .

٢) ابن الخطيب (لسان الدين : الاحاطة فى اخبار غرناطه ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥ ، ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

٣) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

وكان زهير قبل ان يتولى امارة المرية ينوب عن خيران فى ولاية مرسيه ، بالاضافة الى جيان وقاعدة رباح وبياسة التى اقطعها له الخليفة القاسم بن حمود[١].

ولقد اتبع زهير منذ توليه نهج صاحبه خيران فى حسن السيرة وضبط الادارة ضبطا حازما ، وتلقب بالامير عميد الدولة ابى القاسم[٢] ، فاتسعت امارة المريه فى عهده اتساعا كبيرا ، وامتدت من بلدة المريه الى قرطبه واعمالها غربا ، ومن المريه الى شاطبه ومرسيه فى الشمال الشرقى ، ومن المريه الى بياسه وحتى اعمال طليطله فى الشمال الغربى[٣] . ويعبر العذرى عن ذلك بقوله : « وتمادت ولاية زهير التى على المرية واعمالها الى أن دخل فى ولايته مدينة قرطبه واعمالها »[٤] . أما ابن الخطيب فروايته اكثر تفصيلا فهو يذكر أن زهير « دبر أمر قرطبه منفردا به أيام الفتنة والاستفتاء عن الخلافة ، وسكن قصرها يوم الاحد لخمس بقين من شعبان سنة ٤٢٥هـ ، ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهرا ونصف شهر »[٥] .

ويفهم من نص العذرى وابن الخطيب ان قرطبه دخلت فى ولاية زهير ، وأنه اقام بها زهاء خمسة عشر شهرا ونصف شهر ، ولم يوضحا ان كان ذلك

---

١) راجع ما فات هنا ، ص ٩٦ .

٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٦٠ .

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢١٦ ، الاحاطه ، جـ ١ ، ص ٥٢٦ .

٤) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

٥) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٦ ، الاحاطه ، جـ ١ ، ص ٥٢٦ ، راجع ايضاً : Prieto y Vives (Antonio) : Los Reyes de Taifas, Madrid, 1926, p. 34.

ثم سلما أم حربا. ومن المعروف ان قرطبه كانت تابعة آنذاك لابى الحزم بن محمد ابن جهور الذى ظل يتولى امارتها منذ ان أعلن سقوط الخلافة الاموية فى الاندلس سنة ٤٢٢هـ(١٠٣٠م) حتى سنة ٤٣٥هـ(١٠٤٣م)، وكان ابو الحزم بن جهور حاكما قديرا، استطاع ان يلم الشمل وينهض قرطبه من عثرتها، ويجدد ما طمس من معالمها بعد سقوط هشام [1]، ويصفه ابن الخطيب بانه كان بين « رؤساء الطوائف بمنزلة الاب يفصل بينهم فى القضايا ويشفع فى الحوائج ويصلح بينهم فى المنازعات، فلم يدر الناس ما فقدوا منه إلا بعد ان بلوا غيرهم وفقدوا خيرهم»[2].
واعتقد ان ابا الحزم بن جهور استدعى زهيرا للمعاونة فى استتباب الاوضاع فى قرطبه لا سيما فى الفترة التى اعقبت انهاء رسم الخلافة نهائيا فى الاندلس لخطورتها وما يمكن ان يترتب على ذلك من نوائب وفوضى متجددة تزيد من طحن الاندلس ونكبتها، ولعل عبارة ابن الخطيب انه « دبر أمر قرطبه منفردا به أيام الفتنه والاستغناء عن الخلافة » [3] ، وما تذكره المصادر المعاصره من ان فترة حكم ابى الحزم بن جهور بقرطبه واعمالها امتدت من سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م) الى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) ، يشير الى استمرار ابن جهور فى حكم قرطبه فى الفترة نفسها التى أقام فيها زهير بقرطبه مما يدل على ان اقامته هناك كانت بناء على طلب ابن جهور .

وفى عهد زهير عرض عليه ضم قصبة شاطبه ولكنه اسلمها للمنصور عبد العزيز ابن ابى عامر قائلا : « هو احق بها من جميعنا » [4]، وفى عهده

---

١) ابن بسام : الذخيره، ق ١، م ٢، القاهرة ١٩٤٢، ص ١١٤ .
٢) ابن الخطيب أعمال الاعلام، ص ١٥١ .
٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام، ص ٢١٦ .
٤) العذرى : ترصيع الاخبار، ص ٨٣ .

انسلخت عنه قلعة رباح باستيلاء اسماعيل بن ذى النون عليها [١] .

وسعى زهير الى تأكيد شرعيته في حكم منطقة نفوذه عن طريق الاستناد إلى سند شرعى كأن يأتى بشبيه للخليفة هشام المؤيد ويزعم انه عثر عليه ويقيم معه فى المريه ليستمد من وجوده شرعية لحكمه تدعم مركزه وتزيد من سلطانه فأحضر رجلا سقاء شديد الشبه بهشام ، زعم انه هشام بعينه وظل يموه به على الناس زمنا خلال عام ٤٢٦هـ (١٠٣٤م) ثم طرده [٢] . وفى رواية اخرى لابن عذارى، ان هشام المؤيد المزعوم كان قد اختفى وظهر فى مالقه — حين توثب على بن حمود على الخلافة بقرطبة — ثم سار الى المريه فانهى خبره الى صاحبها زهير الفتى فاخرجه منها ، فقصد قلعة رباح التى كانت تحت طاعة ابن ذى النون فاطاعه أهلها ، وعندما علم اسماعيل بن ذى النون بخبره ، حاربهم فضعفوا عن مقاومته واخرجوا هشام المزعوم [٣] .

كما احتذى القاضى محمد بن عباد حذو زهير فى تنصيب خليفة بجواره يستمد منه سلطانه ، فجاء بشخص فقير يشبه هشام يسمى «خلف الحصرى» كان يشتغل فى الحلفاء باحدى قرى اشبيليه وبايعه بالخلافه فى عام ٤١٧هـ (١٠٣٥م) [٤] واقتفى اثره فى مبايعة هذا الخليفة عدد كبير من ملوك الطوائف منهم بنو المنصور بن ابى عامر اصحاب بلنسيه وابن جهور صاحب قرطبه ،

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، حـ ٣ ص ١٩٠ .

٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٥٤ .

٣) ابن عذارى : البيان المغرب حـ ٣ ص ١٩٠ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٧ ، ص ٢٩١ .

٤) ابن عذارى : المصدر السابق حـ ٣ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ١٥٤ .

ومجاهدالعامرى صاحب دانيه ولبيب صاحب طرطوشه عام ٤٢٩هـ (١٠٠٧)، ولم يتخلف عن مبايعته من الصقالبة العامريين سوى زهير صاحب المريه الذى رفض أن يعترف به خليفة فى اشبيليه [1] . كذلك شارك باديس بن حبوس صاحب غرناطه زهيرا فى عدم مبايعة هشام المؤيد باشبيليه ، وعندما علم بنية القاضى ابن عباد على محاربته واقدامه على ارسال جيش لملاقيته اسرع بالالتجاء الى باديس بن حبوس وعقد تحالفا معه ، وبفضل هذا التحالف اضطر القاضى ابن عباد الى العودة بعسكره الى اشبيليه « ولم يكن بين المعسكرين قتال [2] » .

وفي هذه الاثناء ، كان يحيى بن على بن حمود قد قتل بظاهر قرمونه على يدى اساعيل بن عباد عام ٤٢٧هـ (١٠٣٠ م) ، وتغلب [illegible] بن عبد الله البرزالى عليها ولما بلغ ادريس بن على بن حمود بسبته خبر مصرع يحيى أخيه ، سارع متوجها الى مالقه حيث دخلها ودعا الى نفسه ، واستجاب لدعوته حبوس بن ماكسن وزهير العامرى ، وتعاقد الزعيمان على القيام بدعوته ، وبالفعل أمر زهير بالخطابة لادريس فى المرية فى منتصف شهر ذى الحجه عام ٤٢٧هـ (١٠٣٥م) متخذا فى ذلك [illegible] زهير مع حليفه وجاره بالبيرة [3]

---

١) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٩٠ ، ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٧ ص ٢٩١ .

٢) ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٧ ص ٢٩١ وراجع ايضاً :
Dozy (R) : Histoire, t. III: p. 17.

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١١٠ ، ١١١ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٤٠ .

ولكن حبوس لم يلبث ان اختلف مع حليفه زهير بسبب موالاة زهير لمحمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونه فى حربه ضد حبوس صاحب غرناطه[١]، ويعزى المستشرق الهولندى دوزى سبب هذه الوقيعة الى ابن عباس وزير زهير الذى نجح فى ايغار صدره على حليفه وتمكن من الوقيعة بينهما[٢]، ويرجع سبب تحامل ابن عباس على حبوس الى انكاره ان يرى سيده زهيرا حليفا لرئيس بربرى يستوزر يهوديا ، وكان ابن عباس عربيا تحامل يكره البربر ويحتقر اليهود[٣] ، وكان من تأثير هذا الوزير ابن عباس على زهير انه « كان لا يحدث أمر إلا باشارته وبعد مشاورته » [٤].

ويظل زهير واقعا تحت تأثير وزيره حتى وفاة حبوس بن ماكسن صاحب غرناطة فى عام ٤٢٨هـ (١٠٢٦م) وقيام ابنه بامارة غرناطة من بعده ، فعندما تولى باديس امر غرناطة كتب الى زهير « معاتبا مستدعيا تجديد المحالفة »[٥] التى كانت قائمة بين أبيه حبوس وزهير صاحب المريه ، ولكن زهير يرد عليه بأن كل شىء تتم تسويته عند المقابلة [٦] . ويبدو ان زهير كان يضمر

---

١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١٦٦ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١٦٩.

٢) دوزى « ر نهارت » : ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلانى ، الطبعة الاولى ، مكتبة البابلى ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ٥٠ .

٣) نفس المرجع ، ص ٤٩ .

٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٢٩٣ .

٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ١٦٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١٦٩ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢١٦ ، الاحاطة جـ ١ ص ٥٢٦ .

٦) دوزى : ملوك الطوائف ، ص ٥٠ .

فى نفسه أمراً ، فقد استصغر باديس [١] ، وطمع فى امتلاك غرناطه وضمها إلى مملكته متبعا فى ذلك مشورة وزيره ابن عباس الذى زين له غزو باديس فى غرناطه ، مهونا عليه أسباب الاستيلاء عليها خاصة بعد زوال حبوس [٢].

فخرج زهير من المريه فى حشود كثيفه ، واجتاز حدود مملكة باديس ولم يتبع القواعد والمراسيم المتبعه فى الزيارات أو عند الالتقاء [٣] ، « بل أقبل ضاربا سوطه حتى تجاوز الحد الذى جرت عادته بالوقوف عنده من عمل باديس دون اذنه ، وصير الأوعار والمضايق خلف ظهره لايفكر فيها ، واقتحم البلد حتى وصل إلى باب غرناطه [٤] » مما يدل على ما كان يبيته فى نفسه نحو باديس [٥] .

وكان من الطبيعى ان يستثير هذا التصرف الشائن باديس فيعتبره ضربا من التعدى على سيادة بلادة ، ولكنه رغم كل هذا قابل زهيراً بكل حفاوة وترحاب ، ولم يظهر له شيئاً من غضبه ، بل أولم له ولمن معه وليمة فاخرة واغدق عليهم العطايا والهدايا .

---

١) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ .

٢) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، اخر ملوك بنى زيرى فى غرناطه المسماة بكتاب « التبيان » تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٥ ص ٣٤ .

٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١٦٩ ، ابن الخطيب المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ١٦٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٩ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .

٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ٧١ .

إلا أن زهير - على - ما يبدو - اعتبر احتفال باديس له وترحيبه به نوعا من الضعف وأوهمه وزيره ان باديس لم يفعل ذلك إلا لعجزه عن الوقوف امامه ، فأخذ فى التشطط فى مطالبه وتظاهر أمام باديس بعظمة تركت فى نفسه أثراً سيئاً .

وكان طبيعيا أن تفشل المفاوضات التى دامت بين باديس وزهير ، فلم يتمكنا من الاتفاق على شىء ، بسبب تشدد زهير وتصلبه فى موقفه (١) . ورغم هذا لم ييأس باديس بل ارسل أخاه بلقين رسولا من قبله إلى الوزير ابن عباس فى محاولة أخيرة للتوفيق بينهما لعلمه بأن زهيراً يأخذ بمشورة وزيره ولا يصدر شىء عنه إلا بعد أخذ رأيه ، فتوجه بلقين إلى حيث مجلس ابن عباس ليلا وخاطبه فى تصفية الخلافات القائمة بين الامارتين وتجديد الحلف القديم ، لكن ابن عباس رد عليه بلهجة قاسيه كشف عن نفوذ وسلطان قاهر من جهة ، وعن امتهان لحدثه وازدراء له من جهة أخرى ، ولما حاول بلقين ان يستعطفه فقام إليه معانقا باكيا ، ولم يؤثر فى ابن عباس معانقة بلقين ودموعه (٢) ، وانما بالغ فى الاستخفاف به وقال له : « وفر عليك هذه المظاهر الكاذبه ، والعبارات الفارغه فانها لا تترك أى اثر فى نفسى (٣) » . فخرج بلقين حانقا لما لحق به من اهانه ، وعاد إلى اخيه باديس ومجلسه منعقد ، فأفضى إليه بكل ما دار بينه وبين ابن عباس من حديث ، وما اصابه من اذلال . فقرر المجتمعون محاربة زهير لقحته وجفائه ، وصمموا على الايقاع بوزيره ابن عباس لما بدا منه من عناد وفظاظه (٤) .

---

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ص ١٦٧ .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ص ١٧١ .
(٣) دوزي : ملوك الطوائف ، ص ٥٥ .
(٤) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ١ ص ١٧٢ .

وكان لابد لزهير - عند عودته إلى المريه - من اجتياز قنطره لامحيد له عنها ، فأمر باديس بقطع هذه القنطره ، كما ارسل جنده فاحتلوا تلك المضايق والاوعار ، ونصب كتائبه وكائنه فى الطريق ، وأعد عدته للحرب (١) .

ومع ذلك فان باديس لم يفعل ما اقدم عليه إلا بدافع من الحيطه ولمجرد التأمين على نفسه في بلده ، كما انه لم ييأس من رجوع زهير - صديق والده القديم - إلى صوابه ، ليجدد صلات الود والصداقه التى كان يرتبط بها مع ابيه ، ولهذا قرر ان ينبهه فى الخفاء إلى الخطر المحدق به ، فعهد إلى حرس من البربر من جند المريه وبعثه إلى زهير رسولا وأسر إليه بما اخبره به (٢) . ويبدو ان هذه النصيحه صادفت قبولا عند زهير ووقعت منه موقع الاعجاب ، إلا ان ابن عباس وزيره رفضها ، ويقال في تعليل موقف ابن عباس هذا ، انه إنما كان يهدف إلى التخلص من زهير فى المعركة ، فينفرد بحكم المريه ، ومما يؤيد هذا الرأى اعتزاز ابن عباس - وهو فى سجنه - امام باديس بأنه تمكن من استدراج زهير حتى وقع فى الشرك (٣) ، « رغاداه باديس صبيحتها على تعبئة محكمة ، فلم يرعه إلا رجة القوم راجعين إليه »(٤) ، فتظاهر زهير بالثبات ، فرتب جنده المشاة من الزنوج وكانوا خمسمائة ، والمشاة من الاندلسيين ، وقدم هذيلا الصقلبي خليفته على الفرسان الصقالبه (٥) . ولم تكد المعركة تحتدم حتى سقط هذيل عن جواده وانهزم زهير واصحابه فأخذهم البربر

---

١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ، م ٢ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

٣) نفس المصدر ، ق ١ م ٢ ص ١٧٣ ، وراجع ايضاً دوزى ملوك الطوائف ص ٥٨ .

٤) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ، ص ١٦٨ .

٥) نفس المصدر السابق : ق ١ م ٢ ، ص ١٦٨ .

بالسيف وابادوا من فر منهم فى شعاب غرناطه ، وقتل زهير « وجهل مضرعه (١) » ، وان كان معظم المؤرخين يؤكدون مصرعه فى قرية ألفنت من خارج غرناطه (٢) . وأسر كبار رجاله من حملة الاقلام ، وفى مقدمتهم وزيره ابن عباس ، الذى قتل بعد ذلك بأسابيع قليلة بايعاز من باديس (٣) ، أما باقى حملة الأقلام فقد أمر بالافراج عنهم وكان من بينهم ابن حزم والباجى وغيرها (٤) .

أما مايتعلق بأعماله فى المريه ، فقد تابع زهير نهج سلفه خيران من الاهتمام بتعمير البلاد والتوسع فى العمران ، فكانت له بالمريه اثار جليلة ، فهو الذى بنى المسجد الجامع وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث : الشماليه والشرقية

---

١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ص ١٦٩ ، ويذكر الامير عبد الله الزيرى : « وخفى زهير عن العسكر فلم يوجد حياً ولا ميتاً ، (مذكرات الامير عبد الله ص ٢) ، كما يذكر العذرى « وقتل زهير يوم الجمعة فى آخر شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائة واختلف فيمن قتله ولم يوقف على حقيقة ذلك » ، (العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ ، راجع ايضا ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٧١) .

٢) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ص ١٠٧ ، ١٩٥ ، راجع ايضاً : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ ، ٢٩٣ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ص ٢١٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ٧٢ .

٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ١٧٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ١٧٢ .

٤) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ص ١٧٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١٧١ .

والغربيه (١) ، كما اوقف عليه الفنادق والحوانيت الموجودة فى شرقيه وفى قبليه وفى معظم شماله ، وهو الذى بنى السقايه وجاب الساقيه إليها من النطيه، وهو الذى بنى السور الواقع بساحل ربض المصلى (٢) .

وكان زهير بالاضافة إلى اصلاحاته ، يشاور الفقهاء ، ويعمل بقولهم (٣).
وكانت هزيمة زهير ومصرعه ضربة قاسية أصابت إمارة المرية ، كان من آثارها استيلاء باديس بن حبوس على الجزء الشمالى الغربى من اراضى المريه وفى مقدمتها مدينة جيان اكبر قواعدها الشمالية (٤).

ولما علم اهل المرية بهزيمة زهير ومصرعه ، اجتمع أعيانهم وأسندوا امرهم إلى شيخهم ابى بكر الرميمى ، فقام بشئون المريه وضبط الأمن والنظام بها ، إلى ان كاتب اهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن ابى عامر ببلنسيه (٥) ، وكان عبد العزيز يرى انه صاحب الحق الشرعى فى ميرات الفتيان العامريين موالى جده ، وكان منذ مصرع زهير قد ارسل وزيره ابن صمادح إلى باديس صاحب غرناطه ، يلح عليه فى قتل الوزير ابن عباس (٦). حتى لا يعارضه فى امتلاك المريه ، وبادر عبد العزيز الى المريه فدخلها فى آخر ذى القعده عام ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ودخل قصبتها وملك جميع اعمالها ،

---

١) العذرى : ترصيع الاخبار ص ٨٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٢١٦ .
٢) العذرى : المصدر السابق ص ٨٣ .
٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١٦ .
٤) عنان : ملوك الطوائف ، ص ١٦١ .
٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١٦٧ ، ١٩١ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام : ص ٢١٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ص ١٦٢ .
٦) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٧٢ .

فنابعه اهلها ، واستولى على بيت المال بها ، بما كان يحويه من ذهب مضروب ودراهم وجواهر ، ونقل كل هذا الى مقر ملكه بلنسيه [١] . واقام عبد العزيز الدعوة على منابرها لهشام المؤيد ، واصبح ملك عبد العزيز يشمل مرسيه وبلنسيه والمريه .

ولكن المنصور لم يهنأ طويلا بامارة المريه . إذ سرعان ما انتهز مجاهد العامرى صاحب دانيه وجزر البليار فرصة وجوده بها وخرج غازيا بلاده . ويعلل ابن حيان ذلك بقوله : « لما صارت (اى المريه) لعبد العزيز بن ابى عامر واستضافها الى بلده بلنسيه حسده على ذلك مجاهد صاحب دانيه واظلم الأفق بينهما ، فخرج مجاهد غازيا الى بلاد عبد العزيز وهو (اى المنصور) بالمريه مشتغل فى تركة زهير ، فخرج مبادرا عنها لاستصلاح مجاهد [٢] » . ويذكر ابن عذارى ان الحرب وقعت بين مجاهد وقوات المنصور [٣] .

لذلك اضطر المنصور الى مغادرة المريه والعودة الى مقر حكمه فى بلنسيه . وقدم على المريه ابنه عبد الله عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) . ولقبه بالناصر . واستوزر له ذا الوزارتين ابا الاحوص معن بن محمد بن صمادح . وخطب فى المريه للمؤيد هشام المنصب باشبيليه [٤] .

---

١) العذرى : توصيع الاخبار ، ص ٨٤ .

٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ص ٢٣٧ .

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .

٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ ، النويرى (أحمد بن عبد الوهاب) ، نهاية الارب فى فنون الادب : الباب الخامس من القسم الخامس ، نسخة مصورة من دار الكتب المصرية ١٩٥١ ، مودعة بمكتبة الاداب بالاسكندرية برقم ٢٢ م ، ص ٦١ .

غير ان رئاسة عبد الله للمريه لم تدم طويلا ، إذ سرعان ما استغل معن بن صمادح فرصة غياب المنصور ، ووفاة ابنه عبدالله ، ودعا لنفسه وانتزى بالمريه في سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) [١] ، وباستقلاله بها تبدأ صفحه جديده في تاريخ هذه القاعدة :

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ ، ١٦٣ .

الفصل الثالث

المريه فى ظل بنى صمادح حتى استيلاء المرابطين عليها

أولا : قيام دولة بنى صمادح فى المريه

أولوية بنى صمادح :

ينحدر بنو صمادح من اصل عربى ، فهم من ولد عبد الرحمن بن عبد الله ابن المهاجر بن عميره ، وتعد قبيلة عميره من تجيب من اشهر واعرق قبائل العرب التى نزحت الى بلاد الاندلس ، وفى عهد عبد الرحمن بن عبد الله يجتمعون مع بنى هاشم التجيبيين اصحاب سرقسطه ، فهذان الفرعان ينتميان الى تجيب (١).

وقد كان ابو يحيى محمد بن صمادح جد المعتصم بن صمادح مؤسس الدولة من قواد محمد بن ابى عامر ، ولاه الولايات

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٦ ، ابن الأبار : الحلة السيراء : ج ٢ ، ص ٧٨ ، وما بعدها ،

Dozy (R) : Essai sur L'histoire des Todjibides, les Banu Hachim de Saragosa et les Banu ç madih d'Almeria, Recherches, I, pp. 211 — 291;

وقد ذكر ابن الخطيب : نقلا عن ابن الصيرفى ، ان صمادح هو اسم امرأة هى صمادح بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميره ، وان هذا الفرع عرف باسم أمهم ، « أعمال الاعلام : ص ١٨٩ » ، غير أن هذا الرأى يعارضه ما جاء فى قول ابن حزم ان صمادح هو جدهم « جمهرة أنساب العرب : تحقيق ليفى بروفنسال ، ص ٤٠٥ » ، وما أورده ابن الابار « الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٧٨ » وكذا ما ثبت فى البيان المغرب لابن عذارى ، ج ٣ ص ١٧٣ .

وقاد له الجيوش (١) ، ثم تولى مدينة وشقه واعمالها ، ولما تولى سليمان المستعين الخلافة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) نال ابو يحيى ثقته وتقديره واقره على ولايته وثنى له الوزارة ، إذ كان سياسياً بارعا ، ومحاربا قديراً ، ومحدثا لبقا ، ولم يكن فى اصحاب السيوف من يعدله فى خلاله هذه(٢) وكان يرتبط مع ابن عمه منذر بن يحيى التجيبى ، صاحب سرقسطه بصلات وديه وثيقة إلا ان هذه الصلات لم تلبث ان ساءت بينهما بمجرد انتهاء دولة سليمان الظافر وقيام بنى حمود باغتصاب الخلافه فى سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) ، فاضطربت العلاقات بين ابى يحيى ومنذر ، فسار الأخير فى قوات كبيرة الى وشقة ، وحارب ابا يحيى وانتصر عليه وتمكن من الاستيلاء على وشقه اما ابو يحيى فقد نجا بنفسه واهله وولده وفى ذلك يقول ابن حيان: « فلم يلبث ان تفرجت الحال بينهما بعد مضى سليمان ، وتحاربا على ملك وشقه ، فعجز ابن صمادح عن منذر لكثرة جمعه ، واسلم له البلد وفر بنفسه ، فلم يبق بالثغر متعلق ، وكان اول ساقط من الثوار ، لم يتمل سلطانه ولا أورثه من بعده (٣) .

ووجد أبو يحيى فى كنف المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابى عامر صاحب بلنسيه مجالا طيبا للمقام ، فقد رحب بمقدمه وأكرم وفادته وتعهده بالرعاية والحمايه وتوثقت العلاقات الطيبة بينهما بالمصاهرة ، فقد قبل المنصور ان

---

١) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٣ ، صـ ١٦٧ .

٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، صـ ٢٣٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ صـ ١٧٣ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » صـ ١٨٩ .

٣) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ صـ ٢٣٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، صـ ١٧٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ١٨٩ .

زوج أختيه الى ولدى أبى يحيى : معن بن صمادح وأبى عتبة صمادح . ثم عزم أبو يحيى على المضى الى المشرق والظاهر أنه كان يستهدف الرحلة الى بغداد سعيا الى الظفر بتأييد الخليفة العباسى ليعود بعد ذلك وقد حل بمنه السند الشرعى فى الحكم ما يتيح له أن يؤسس ملكا ، ولكن لم يقدر له ان يحقق امنيته إذ مات غريقا فى البحر ، وبقى ابنه معن فى كنف صهره المنصور عبد العزيز [١] .

وكان المنصور عبد العزيز قد استخلف ابنه عبد الله الناصر على المرية [٢] ، بعد ان بلغه خروج مجاهد الية طامعا ، ولكن عبد الله لم يلبث ان توفى كما قدمنا [٣] . فاضطر المنصور الى تقديم صهره معن بن صمادح على المرية عاملا عليها من قبله سنة ٤٣٢ هـ فتلقب هذا بذى الوزارتين ، وانتهز اشتغال المنصور بمحاربة مجاهد صاحب دانيه فخطب فى المريه للمؤيد هشام المنصوب باشبيلية منذ سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨م) [٤] تمهيدا للخروج على المنصور والانفراد بحكم المريه .

ولم يمضى على ذلك عهد قصير حتى ثار على صهره سنة ٤٣٣هـ (١٠٤١م) فغدر به وانتزى عليه ، وخلع طاعته ودعا لنفسه [٥] ، واستبد بضبطها ، ويعبر ابن حيان عن هذا الحدث بقوله : « فكان شر خليفة استخلف ، فلم يكد

---

١) ابن الابار : الحلة السيراء : جـ ٢ ، صـ ٨١ .

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، صـ ١٩٢ .

٣) راجع ماقات هنا : ص ١١٨ .

٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ صـ ١٩٣ .

٥) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ص ١٩٥ ، ابن عذارى : جـ ٣ صـ ١٩٧ ؛
Dozy (R) : Op. cit., I, P. 241.

يوارى وجهه عبد العزيز عنه حتى خان الأمانة ، وطرده من الإمارة ، ونصب له الحرب ، فغرب فى اللؤم ما شاء ، وتنكب ابن ابى عامر التوفيق لاسترعائه الذئب الأزلى على ثلته ، ومسترعى الذئب أظلم ، وكان من العجب أن تملاها ابن صمادح وخلفها ميراثا فى عقبه» (١)، وحاول المنصوران يسترد سلطانه على المريه ، فحارب أبا الاحوص معن بن محمد بن صمادح ولكنه لم يظفر منه بطائل (٢) .

ويورد العذرى رواية اخرى ، يفهم منها أن المنصور ولى على المريه أبا الاحوص معن بن صمادح ، فوليها هذا هو وأخوه أبو عتبه ، الى ان أرسل المنصور الى أهل المريه يطلب تعيين خواص منهم، فاجتمع أهلها ورغبوا فى تنصيب ابى الاحوص معن عليهم واستشاروا فى ذلك باديس بن حبوس صاحب البيرة وغرناطه واعمالها ، الذى ساعد معن فى القيام على المنصور والاستقلال بالمريه سنة ٤٣٣هـ (١٠٤١م) (٣). ونعتقد ان هذه الرواية مبالغ فيها ونرجح ان ابا الاحوص معن عمد بعد ان خرج على طاعة المنصور الى كسب وتأييد جيرانه من ملوك الطوائف فصالح صنهاجه غرناطه ، فاستقامت له الأمور (٤) الى ان توفى فى سنه ٤٤٣هـ (١٠٥١م) .

١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١٧٤ .

٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٩٣ .

٣) ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ ، ويؤيد هذا ما ذكره الامير عبد الله بن بلقين الزيرى بقوله : « وعضد جدنا (أى باديس) رحمه الله — رياسة (أي لمعن ابن صمادح) ، واثباته له فى ملكه عند قيام ابن أبى عامر عليهم » ، (مذكرات الامير عبد الله ص ٤٤)

٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٩٤ :

و بفضل علاقات الصداقـة والمودة التى جمعت بين معن وباديس استقرت دعائم دولته ودانت له لورقة وبياسه وجيان وغيرها (١) .

وكان معن بن صادح من اهل الدهاء والفضل والعلم والاداب ، فنعمت المريه فى عهده باستقرار لم تشهده من قبل ، كما نعم اهلها بحياة هادئة يسودها السلم والامن والرخاء وتبوأت مكانا فريدا بين دويلات الطوائف الاخرى لاعمال معن الجليلة اثرها فى ان « انتهى بالمريه فى دولته الريع منتهاه ، وأوثر بلده على بلد سواه ، للسيرة الجميلة والخصال المحمودة ، وحمل الناس على العدل والانصاف ، وكان قد سد بـاب البغى » (٢)

ويتبين لنا مما سبق ان معن بن صادح صاحب الفضل الأعظم فى قيام دولة بنى صمادح بالمريه وانه المؤسس الحقيقى لهذه الدولة ، وظل معن يتولاها زهاء عشر سنوات الى ان توفى بقصبة المريه سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) (٣) .

احداث المريه فى عهد المعتصم :

وبعد وفاة معن بن محمد بن صمادح خلفه ولده ابو يحيى ، فبايعه بنو عمه ورجاله وهو لم يستكمل ثمان عشرة سنه (٤) ، ويذكر الحجارى انه ملك المريه وهو ابن اربع عشرة سنة (٥) ، ويؤيده فى ذلك ابن الاثير ويضيف عليه بان

١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٢٩٣ ، راجع ايضا :
Dozy (R) : Op. cit., I; p. 242.

٢) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ .

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ ، ص ٢٤٠ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ٢٩٣ ، Dozy (R) : Op. cit., I. p. 241.

٤) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ .

٥) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ .

ابا يحيى فكفله عمه ابو عتبة بن محمد واستمرت وصايته عليه مدة ثلاث سنوات ، توفى بعدها ابو عتبه وبقى ابو يحيى مستضعفا لصغر سنه (١) ، ولم يبلغ الرشد بعد .

وكان ممن قد اخذ البيعه له فى حياته ، بعد ان عرضها على اخيه ابى عتبه صمادح الذى رفضها واعتذر عنها (٢) . فتمت البيعة لابى يحيى محمد بن معن ابن صمادح وارتقى ذروة الامارة ، ولقب نفسه بـ « معز الدولة » (٣) . ولم يلبث ان تلقب بـ « المعتصم بالله » ، و « بالواثق بفضل الله » ، عندما اقدم ملوك الطوائف على التلقب بهذه الالقاب الخلافية التى اصبحت سمة من سمات هذا العصر (٤) ، ويقال أنه تلقب ايضا بالرشيد (٥) .

ولقد كان لصغر سن المعتصم بن صمادح — الذى لم يبلغ الرشد — اثره فى تطلع ذوى المطامع فى دولته ، فضعف شأنه فى الحكم ، وتمزقت مملكته حتى صرت (٦) . فلم يكد يظفر بالامارة حتى ثار عليه ابن شبيب عامل ابيه بلورقة التى كانت من اعمال المريه ، وحدها الشمالى الشرقى المجاور لبلنسيه —

---

١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٩٣ .

٢) ابن الابار : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨١ .

٣) نفس المصدر والصفحة .

٤) ابن الابار : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٦٨ .

٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٨ .

٦) Prieto y Vives : Los Reyes de Taifas; p. 61 ;
وأنظر ايضا ، كابليا سارنى : مجاهد العامرى ، ص ٧٤ .

وانتزعها من دولته (١) . ولما ادرك عزم المعتصم على محاربته التمس مساندة المنصور عبد العزيز بن ابى عامر صاحب بلنسيه ، ولم يتردد المنصور فى المبادرة بتقديم كل عون عسكرى له مدفوعا فى ذلك بحقده على معن بن صمادح وابنه لانتزاعهما بالمريه واعمالها وانفرادهما بحكمها ، اما المعتصم فلما بلغه خروج ابن شبيب عليه واستقلاله بلورقه ومساندة المنصور له ، رأى ان يجدد الحلف القائم فى ايام ابيه بين المريه وغرناطه فتحالف مع باديس الذى زوده بكل مايحتاج اليه من عدة وعتاد ، واعد المعتصم جيشا قويا بقيادة عمه ابى عتبه بن محمد ، اشتبك مع عامل لورقه فى معركة ضارية لم تؤدى الى استرجاع هذه المدينة ولكن ابا عتبه تمكن من الاستيلاء على بعض حصونها يؤكد ذلك ماذكره ابن خلدون بقوله : « فقاتلوا حصونا من حصون لورقه واستولوا عليها ورجعوا » (٢) .

ولكننا نستدل من رواية ابن الاثير على ان المعتصم فقد لورقة نهائيا ، وان ملكه اقتصر على المرية وما جاورها فقد ذكر ابن الاثير ان « اخذت بلاده البعيدة عنه ولم يبق له غير المرية وما يجاورها » (٣) والمقصود بالبلاد الواردة فى هذا النص لورقة التى تشكل الحد الشمالى الشرقى للمريه - كما سبق القول - وأخذت هنا بمعنى أغتصبت ، وهذا يدل دلاله قاطعة على فقدها نهائيا وخروجها من اعمال المرية .

وهكذا استقل ابن شبيب بحكم لورقة ، وخلفه على حكمها اخوته الثلاثة

---

١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٦٢ .

٢) كتاب العبر : ج ٤ ، ص ١٦٢ ، وأنظر أيضاً ،

Dozy (R) : Op. cit ; I, p. 243.

٢) الكامل فى التاريخ : ج ٧ ، ص ٢٩٢ .

بالتعاقب ، وقد اعترف آخر الاخوة الثلاثة بطاعة ابن عباد صاحب اشبيليه ومن ثم دخلت لورقة فى اعمال اشبيلية منذ ذلك الحين حتى سقوط اشبيلية فى ايدى المرابطين فى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١) [1] . ومع ذلك فقد حاول المعتصم ابن صمادح مناوءة خصومه واسترجاع بعض املاكه فقد انتهز فرصة وفاة المنصور عبد العزيز بن ابى عامر فى سنة ٤٥٢ هـ (١٠٩٠ م) ، واستخلاف ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر ، وسير قوة من جيشه للاغارة على حصن من عمل تدمير مستعينا فى ذلك بحليفه باديس بن حبوس صاحب غرناطه ، الذى لم يتردد فى تقديم العون له « لما كان يعتقده من العصبية البربرية ويذهب إليه من ازدراء فرقة الاندلسيين»[2]. إلا ان عامل هذا الحصن ابدى من الشجاعة والاستبسال والصمود ما احبط هذا الهجوم ، فلم يظفر المعتصم بطائل وانتهت الحملة بالفشل [3]

وعلى الرغم من الحلف القائم بين المريه وغرناطه وارتباط المعتصم وباديس بصلات وثيقة من الصداقة والود اثبتت وجودها عدة مرات فان المعتصم كان فى اعماقه اندلسيا يكره الطائفة البربرية . يتعصب للطائفة الاندلسية ، وليس ادل على ذلك من تلك المناظرة التى وقعت بين المعتصم وبين الشاعر خلف بن

---

١) عنان : دول الطوائف ، ص ١٦٤ .

٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٢٨ .

٣) يذكر ابن بسام : « وقام (أى المعتصم) ابن خاله عبد الملك بن عبد العزيز المنصور ولم يرع فيه حق صهره يحيى بن ذي النون كبير أمراء الأندلس ، فعمد له على حصن من عمل تدمير وثب فيه لعامل عبد الملك ، وجرت بينهما خطوب ، واستعان بحليفه باديس واستمده على ما ذهب اليه من الفتنة » ، (الذخيرة ، ق ١ م ٢ ، ص ٢٢٨) .

فرج السميسر والتى انتهت بقول المعتصم للشاعر « لقد احسنت فى الاساءة إليه (أى إلى ابن بلقين صاحب غرناطة) (١) . والظاهر ان المعتصم لم

---

١) المقرى : نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٣٨١ ، وكان المعتصم صاحب المريه قد بلغه هجاء الشاعر السميسر له والمريه فى قوله :

بئس دار المرية اليوم دارا ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الا بريح ربما قد تهب أو لا تهب

(فى ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٧٤ ، المقرى المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣٦٠) ، وفى قوله :

قالوا المرية فيها نظافة قلت ايه
كأنها طست تبر ويصق الدم فيه

(ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ص ٢٧٤) .
فأمر المعتصم باحضار هذا الشاعر واحتال فى ذلك حتى مثل بين يديه فقال له : أنشدنى ما قلت ، فقال له : وحق من حملنى فى يدك ما قلت شراً فيك ، وانما قلت :

رأيت آدم فى نومى فقلت له أبا البرية ان الناس قد حكموا
ان البرابر نسل منك ، قال اذن حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بقين صاحب غرناطة دمى ، فخرجت الى بلادك هاربا ، فوضع على من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت ، فيدرك ثأره بك ، ويكون الإثم عليك ، فقال : وما قلت فيه خاصة مضافاً الى ما قلته فى عامة قومه ؟ فقال : لما رأيته مشغوفاً بتشييد قلعته التى يتحصن فيها بغرناطه ، فقلت :

يبنى على نفسه سفاهاً كأنه دودة الحرير

(راجع المقرى : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، راجع ـ

يلجـأ إلى محـالفة باديس إلا بدافـع من حرصه على استرجاع امـلاكه فحسب (١) .

ولم تلبث العلاقات الودية بين المعتصم وباديس ان فسدت عندما اكتشف باديس اطماع المعتصم فى ضم املاكه إليه ، وربما يرجع سبب ذلك إلى مكائد يوسف بن نغراله اليهـودى وزير باديس ، الذى كان يسعى إلى الاطاحـه بباديس وتمكين المعتصم من الاستيلاء على غرناطه ذاتها ، او على حد قول عبد الله بن بلـكين كان متهيئاً « لفتح ابوابهـا (اى ابواب غرناطه) متى جسر وطرقها » (٢) .

فدس إلى المعتصم بن صمادح صاحب المريه فى السر يستحثة على المجىء ويعده بأن يدخـله غرناطه (٣) ، ولم يتردد المعتصم لحظة واحدة فى اغتنـام الفرصة وخرج بقواته متجها نحو غرناطه وتمكن من الاستيلاء على بعض اعمـال غرناطه الشرقية وعلى حصن وادى آش (٤) ، واغارت بعـوثه على غرناطه (٥) . وقد ترتب على هذه الاغارات ان فقدت غرناطه معظم اراضيها الشرقية ، فلم يتبق فى حيازتها بهذه المنطقة إلا حصن قبريره الواقع على مقربة

— أيضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الاسلامية ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، وقرطبه حاضرة الخلافة فى الاندلس ج ١ ص ١٣) .

١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الاسلامية ، ص ٧٩ .

٢) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٣ .

٣) البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ .

٤) الامير عبد الله : المصدر السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

٥) ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ٢ ص ٤٤٨ .

من غرناطه فى طريق وادى آش [١] ، اما غرناطه نفسها فـلم يجسر المعتصم على غزوها (٢) .

ولكن باديس لم يقف مكتوف اليدين ، فقد دفعته أطماع المعتصم بن صمادح فى مملكة غرناطه إلى التحرك لإسترداد ما انتزعه منها ونجح بمعاونة ابن ذى النون صاحب طليطلة فى استرداد وادى آش ، وكان باديس قد بعث إليه « يعلمه بما دهمه من الأمر ، ويسأله صلة يده به ، وانه ما انصرف إليه من البلاد اعطاه منها ما أحب واختار » [٣] . فسارع ابن ذى النون إلى اجابته مدفوعا هو الاخر باطماعه ، فقد كان « من الطمع فى غاية لم ينته إليها ملك » (٤) ، ولحق بباديس وهو يحاصر وادى آش ، وتمكنا من انتزاعها من المعتصم ، وبر باديس بوعده فتنازل لابن ذى النون عن بعضه كما طلب (٥) .

واستشعر المعتصم بمشاعر الندم لما اجترمه فى حق باديس حليفه وحليف ابيه ، فأرسل إلى باديس يسأله العفو والاغضاء على ما بدر منه ملقيا اللوم على اليهودى ابن نغرالة - وزير باديس - الذى استحثه على فعلته ، فقبل باديس اعتذاره [٦] .

واستمرت العلاقات الطيبة قائمة بين المعتصم وباديس ولكنها تغيرت عقب وفاة الاخير وتوليه حفيده عبد الله بن بلقين اميراً على غرناطه . وفى عهد

---

١) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٢ ، ٥٤ .
٢) نفس المصدر ، ص ٥٤ .
١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٦ .
٤) نفس المصدر ، ص ٥٧ .
٥) نفس المصدر والصفحة .
٦) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٧ .

الامير عبد الله وقعت منازعات كثيرة بين المعتصم وبينه ، بدأت عندما لجأ ابن ملحان قائد مدينة بسطة إلي المعتصم وذلل له مهمة الاستيلاء عليها وعلى حصن شيلس [١] ، منتهزاً فرصة انشغال عبد الله بن بلقين بمواجهة ابن عباد ويرجع سبب تصرف هذا القائد إلى مضايقات وزراء الامير عبد الله له بطلب المال ، « فلم يجد سبيلا إلى الدفاع عن نفسه ، ولا شكوى لمن يذب عنه ويحميه فترامى على ابن صمادح وقبله » (٢) . وبذلك تم للمعتصم ضم حصني بسطه وشيلشن إلى اعمال المريه .

ولكن المعتصم اغضب بهذا المسلك الشائن الامير عبد الله صاحب غرناطه الذى عمد إلى الانتقام فهاجم اجزاء من مملكة المريه ونجح فى انتزاع حصن شنت افلج — من معاقل المعتصم — عوضاً عن حصن شياشن ، ثم صالحه مهادنة حتى ينتهى خلافه من ابن عباد [٣] .

ولكن السلام لم يعد بين غرناطة والمريه ولم تكن الهدنه المعقودة سوى قناعا زائفاً يخفى حقيقة الاوضاع السيئة بين الدولتين ، فقد حدث ان نفى عبد الله بن بلقين امير غرناطه وزيره سماجه ، فالتجأ هذا الاخير إلى المريه فلقى ترحيباً من المعتصم الذى قربه إليه راكرم وفادته ، فأخذ سماجة يحقر للمعتصم دولة عبد الله بن بلقين وييسر له ويشجعه على مهاجمة غرناطه أملا فى ان « ينال

---

١) حصن شايشن : كذا بالاصل وقد اختلف القدماء فى رسم الكلمه فهى عند العذرى ترصيع الاخبار ص ٩٠ « شيلش » من أقاليم البيره وأجزائها أما ابن الخطيب فقد رسمها « شيااش » ، راجع حسين مؤنس تاريخ المغرافيه والمغرافيين في الاندلس ص ٨٤ .

٢) الامير عبد الله : المصدر السابق ، ص ٧١ .

٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٧١ .

على يديه فرصة بمداخله او ادلال على موضع قائده »[١] ولما علم الامير عبد الله بما دبره سماجة مع المعتصم امر ببنيان حصن المنتورى الواقع بالقرب من مدينة فنيانه (٢) ، مجاوراً لحدود المريه ، وشحنه بالجند وزوده بالعدة والعتاد انتظاراً لما قد يحدث من جانب صاحب المرية ، وقد سبب شحن هذا الحصن بالعدد والالات مضايقات للمعتصم ، ولكن عبد الله بن بلقين لم يكتف باقامة هذا الحصن بل شرع فى بنيان سبعة حصون اخرى لتمكين الدفاع عن حدود بلاده مع المريه وغلق المناطق المتساخمة لها فكان من اثر بناء تلك الحصون ، فشل بعوث ابن صمادح ورجوعها على اعقابها (٣) .

وهكذا نجحت سياسة الامير عبد الله الدفاعية فى الاطاحة بتدبير سماجة والمعتصم وعلى الرغم من العداء القائم بين المعتصم وعبد الله إلا ان هذا الاخير كان يبدى كثيراً من النوايا الطيبة للتصالح والمهادنة مع المعتصم جاره وحليفه القديم وبفضل هذه المشاعر الطيبة من جانب عبد الله الزيرى ساد الصلح بينهما وانتهى الامر بأن اصدر عبد الله بن بلقين امره بهدم تلك الحصون - التى كان قد بناها فى منطقة حدوده الشرقيه مع المريه كما سبق القول - توكيداً لنواياه

---

١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٨٨

٢) فنيانه Firana ، وتعرف بالحصن « الادريسى : صفة المغرب ، ص ٢٠١ » من أعمال المريه وتقع على مسافة ٣٠ كيلومترا جنوب شرق وادى آش « الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٤٣ والترجمة الفرنسية ص ١٧٢ هـ ٢ » ، وصفها ابن الخطيب بانها غزيرة السقيا والثمار « مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص ٨٩ ، حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس معهد الدراسات الاسلامية مدريد سنة ٦٢ ، ص ٥٦٨ » .

٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٨٩ .

الطيبه وحفاظا على المهادنة بينه وبين المعتصم ، ويعبر الامير عبد الله عن ذلك بقوله « فصالحت الرجل ، وامرت بهدم تلك الحصون ونشرت المريه من كفن (١) ».

ثانياً : ازدهار المريه فى عهد المعتصم

ازدهرت المرية فى عصر المعتصم فى مختلف مناحى الحياة ادبية ومادية ، وكان من ابرز مظاهر ذلك الازدهار تلك النهضة العمرانية التى شملت المدينة وتمثلت فى اتساع المرافق المختلفة ونمو العمران وزيادة البنيان ، ويسجل العذرى شواهد ناطقة عن هذه النهضة العمرانيه والمعمارية ، فيشير إلى الزيادة التى اجراها المعتصم فى قصبة المريه عندما شرع فى إعادة بنيانها والزيادة فى رفع سورها مبالغة منه فى تحصينها ومنعتها ، هذا بالاضافة إلى اهتمامه بتشييد القصور الفخمة واهمها ذلك القصر الكبير الذى كان يشرف من الجهة الشمالية على جبل ليهم ويعرف بالصمادحية ، ومن المعروف ان المعتصم اقام فى الجهة القبلية من القصر الكبير بستانا عظيم الاتساع ، غرسه بمختلف النوى والفواكه المعروفة فى الاندلس والغريبه عنها ، وقد ذاعت شهرة هذا البستان وعظمته إلى حد عجز معه المؤرخون عن وصفه (٢) ، واتخذ المعتصم قبلى القصر مجلساً رائعاً فتحت ابوابه وجعل له دفقا (٣) على نسق دفف المشرق بل تفوقها فى غرابة النقش والاتقان وفرش هذا المجلس بالرخام الابيض سطحه وازره ، ثم شيد فى الجهة القبلية منه

---

١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٩٠

٢) ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ ، ٨٥

٣) دفه « بفتح الدال المهمله » أو دفه « بضم المهمله » كما تنطق فى أسبانيا ، الجمع دفف و دفاف ، ضرابه — أى مطرقه معدنية تعلق بالباب ، راجع :
Dozy, Supplement I, p. 447 b.

داراً كبيرة اتقنت بكل انواع التذهيب وغريبه مما يحار فيه النظر ، كما أقام فيما يلى تلك الدار جنوبا مجلساً مقربساً (١) « بالرفوف المزوقه المنقوشه المنزول (٢) فيها الذهب الطيب مفروش بالرخام الابيض وقد ازر بالرخام المنقوش . . . وفى ذلك النقش تاريخ بناه والذى امر به » (٣) ، ويلى صحنه من الجهه القبلية ابواب نصبت عليها شراجب (٤) تطل على جميع مدينة المرية كما تطل ايضا على بحـــرها ومرساها ، وإلى شرق هذا القصر اقام المعتصم داراً للحكم (٥) .

ومن اعظم مناقب المعتصم ومآثره التى ذاع أمرها اهتمامه بالمنشآت الدينية وحرصه على استكمال المرافق العامة المتعلقة بهذه المنشآت فمن ذلك على سبيل المثال انه زود جامع المريه (فى أول رمضان سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٥ م) بسقاية للمياة تصب فى حوض اقيم لهذا الغرض يقع غربى الجامع ، ومن هذه السقاية أجرى قناة كانت تصل إلى ما وراء القصبة تسرى مياهها فى سرب جوفى إلى البئر الذى أقيم فى جوفى القصبة ، وعلى هذا البئر اقام المعتصم سواقي يسنى

---

١) مقربصات وتقابل بالاسبانية Almocarabes زخرفه تشبه عش النحل بين جوفاتها الصغيرة دلايات منشورية الشـــكل (راجع جوميث مورينو ، المرجع السابق ص ٤٨٨ .

٢) المنزول فيها الذهب بمعنى المرصعة بالذهب هى تقـابل بالفرنسية Enchâsser كما جاء فى : Dozy : Op. cit. . II. p 660 a

٣) العذرى : المصدر السابق ، ٨٥ .

٤) شراجب ، بمعنى صف براءق « قوائم أو أعـواد » مثـل السياج الخشبى الذي تتقاطع فيه الأعواد على شكل رقعة الشطرنج .

٥) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

فيها ، ويصل ماؤها إلى الرياض التى تحف داره المعروفة بالصمادحية [١] .

ولم تقتصر اعمال المعتصم على المريه نفسها بل تجاوزت نطاقها إلى ما حواليها ، فقد اقام بستانا ، وشيد قصوراً محكمة البناء غريبة الزخرفة والتمييقات ، وغرس في البستان انواعا مختلفة من الاشجار المعروفة والغريبة كالموز وقصب السكر كما اقام فى وسط هذا البستان بحيرة عظيمة حاطها بمجالس منفتحة مطلة على البحيرة كسيت ارضها بالرخام الابيض ، وعرف هذا البستان بالصمادحية ، اسهب الشعراء والادباء فى وصفه [٢] وكان يقع على مقربة من مدينة المرية ، وكان يتصل بالصمادحية روضات اخرى مماثلة [٣] .

ولعل الغريب فى كل هذا ، ان هذا الغلو فى التأنق المعمارى والاسراف فى الابهة والترف لا يتناسب مع صغر ملك المعتصم [٤] .

وإلى جانب هذه النهضة المعمارية العمرانية الكبرى التى اتسم بها عصر المعتصم كانت هناك نهضة اخرى ادبية ساعد المعتصم نفسه على دفعها ، فلقد كان المعتصم عندما تولى أمارة المرية غلاما لم يبلغ الرشد بعد ، فلما كبر أخذ

---

١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٥ ، وانظر ايضاً : السيد عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ٧٧ — ٧٨ .

٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

٣) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

٤) ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٥٣ ، وأنظر أيضا :
Pérés (Henri) : La poésie anialouse en arıbe chassique au XIe siécle, p. 143, paris, 1937,

نفسه بالعلوم ومكارم الاخلاق ، فذاع صيته واشتهر ذكره ، وعظم سلطانه [١] فكان المعتصم صاحب ذوق ادبي رفيع ينظم الشعر [٢] ، ويرتاح لسماعه كثيراً [٣] ، فاجتذب الشعراء بنعمه وجزيل عطاياه ، فانتجعوه من كل قطر وقصدوه من كل أوب وكان يعقد لهم مجالس يتبارون فيها النظم ، ولهذا لزمه جملة من فحول شعراء العصر (٤) . امثال ابي عبد الله بن الحداد (٥) ، وابن عبادة (٦) .

---

١) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٧ ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وأنظر أيضا :

Dozy (R) : Op. cit. I.pp 245 , 247.

٢) ابن خاقان : القلائد ، ص ٥٣ ، ٥٥ ، وأنظر أيضا :

Pérés : Op. cit.. p. 143.

٣) ابن سعيد : المغرب ، حـ ٢ ، ص ١٦٦ .

٤) ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ق ١ ، ص ٢٢٩ ، وأنظر أيضا ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٣ ، ص ١٧٥ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

Dozy (R : Op. cit , I. pp 248 — 259,

٥) أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آش ، ويسميه البعض مازن ، من شعراء القرن الخامس الهجري ، اختص بمدح معن بن صمادح ونظم فيه أمداحاً كثيرة ، توفي سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، راجع ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ، ق ١ ، ص ٢٠١ وما بعدها ، ابن سعيد : المغرب ، حـ ٢ ص ١٤٣ ، ابن الابار : الحلة السيراء ، حـ ٢ ، ص ٨٢ ، هـ ١ ،

Dozy : Op. cit.; I; p. 253.

٦) أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بالقزاز ، كان شاعراً من بن صمادح : أنظر =

وإلى جانب ولعه بالشعر ومجالسه كان المعتصم يتصف برجاحة العقل والطهر والاهتمام بالدين وإقامة الشرع ، ولذلك لم تقتصر مجالسه كما بينا على الشعر فحسب بل كان يعقد بقصره مجالس للمذاكرة فى العلوم الدينية ومما يروى فى ذلك أنه كان يخصص يوم الجمعة لمجالسة الفقهاء والخواص ، يتناظرون فى حضرته فى كتب التفسير والحديث (١) ، ومن بين من كان يتردد على مجالسه ابو بكر محمد بن مالك القرطى (٢) ، والاسعد بن إبراهيم بن بليطة القرطى (٣) .

= عنه ، ابن بسام الذخيرة : م ٢ ، ق ١ ، ص ١٩٦ ، ابن سعيد : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ١٣٤ ، وما بعدها ، المقرى : أزهار الرياض ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ .

١) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ ، وراجع أيضا :
Dozy : Op. cit., I, p. 245.

٢) كان بارعا فى الشعر والنثر ، أنظر عنه ، ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ق ١ ، ص ٢٤٥ وما بعدها .

٣) الاسعد بن ابراهيم بن بليطة ، توفى فى حدود ٤٤٠ هـ (الحميرى « ابوعبدالله محمد بن ابى نصر فرج بن عبد الله الازدى » جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ١٧٦ ، ترجمة (٣٣٠) قال عنه ابن بسام « فارس جحفل ، وشاعر محفل ، يجرى في الميدانين ، وارتزق فى الديوانين (الذخيرة ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٩٠ وما بعدها ، ذكره ابن الابار : الحلة السيراء جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ١٧ ، المقري : نفح الطيب ، جـ ٥ ص ١٩٣) .

ولعل شهرة بنى صمادح الادبية ترجع إلى المعتصم نفسه (١) إذ كان شاعراً مجيداً وناقداً لاذعا ، وكان بلاطه ملتقى الادباء والعلماء فى عصره ، وكان وزيره ابو الاصبغ عبد العزيز بن ارقم شاعراً قديراً يحسن الوصف والمديح كما اتصف هذا الوزير بالوفاء (٢) كذلك كان بلاط المعتصم ينافس فى مجالسة الادبية ، وفى رعايته للشعراء والادباء بلاط اشبيلية (٣) ، ويعلق الاستاذ هنرى بيريس على تألق الحياة الادبية في عصر الطوائف بقوله : « لم يكن ملوك الطوائف يتنافسون فى المجال السياسى فحسب ، بل تجاوزوا ذلك إلى مجال آخر ذلك هو انهم كانوا يحوطون أنفسهم بكتاب عرفوا بفصاحتهم وبراعتهم التى مكنتهم من التبريز فى مجالس الادب (٤) .

وحافظت المريه على هذا التألق الأدبى والازدهارالعمرانى الى ان انقرض ملوك الطوائف ودانت الاندلس للمرابطين .

ثالثا : الاوضاع السياسية فى الاندلس قبل دخول المرابطين

أخذت الاحوال السياسية فى الاندلس تتطور تطوراً سريعا قبيل ظهور المرابطين (٥) على المسرح السياسى في الاندلس ، فقد أدى انقسام الاندلس فى أعقاب انهيار الخلافة الاموية بقرطبه الى ظهور العنصرية بين مختلف

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٧٥ ، ابن بسام : المصدر السابق م ٢ ، ق ١ ص ٢٢٩ .

٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٤٥ .

٣) عنان : دول الطوائف ، ص ١٦٥ .

٤) Pérès (Henri) Op. cit., p. 23 .

٥) المرابطون او الملثمون ، قوم صحراويون من قبائل صنهاجه اللثام ، خرجوا من الصحراء برسالة دينية تقوم على جهاد الخارجين عن الدين من قبائل =

أجناس المسلمين فى الاندلس من عرب وبربر وصقالبة ، وتصدت كل طائفة من هذه الطوائف أمام الاخرى إلى ان استقر الأمر على طائفتين احداها اندلسيه والاخرى بربريه ، استعانت كل منها بعناصر اسبانية من نصارى الشمال الذين وجدوا فى ذلك فرصه مواتيه للقضاء على دولة الاسلام فى الاندلس [١] ، والقيام بدور جديد يمكننا ان نطلق عليه بحق حركة الاسترداد Reconquista ولم تلبث قوى الاسلام ان تفككت وتمزقت اشلاء

= براغوطة وغمارة فى بلاد المغرب شمالا واسسوا دوله قوية نصرت الاسلام وادت الرسالة على احسن وجه (راجع فى تفاصيل قيام هذه الدوله ، ابن ابى زرع (ابى الحسن على بن عبد الله الفاسى) الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعه الفاسيه ١٣٠٥ هـ ، ابن عذارى البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، جـ ٤ (قطعه من تاريخ المرابطين) تحقيق احسان عباس ، دار الشروق بيروت ، ١٩٦٧ ، مؤلف مجهول : الحلل الموشيه فى ذكر الاخبار المراكشية ، الطبعة الاولى ، تونس ١٣٢٩ هـ ، حسن احمد محمود : قيام دوله المرابطين صفحه مشرقه فى تاريخ المغرب فى العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ ، احمد مختار العبادى : الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ، (مجله كليه الاداب ، جامعه الاسكندريه العدد الحادى والعشرون ١٩٦٧ مطبعه جامعة الاسكندرية ١٩٦٨) ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، الدار القوميه للطباعه والنشر الاسكندرية ١٩٦٦ وانظر ايضا :

Huici Miranda (Ambrioso) ; La invasion de los Almoravides y la batalla de zallaca . (Hespéris ; 1933).

١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٧١٨ .

بسبب هذا الصراع بين الطائفتين واستنفذت المعارك والاشتباكات المتواصلة هذه القوى الاسلامية فوهنت وتخاذلت فى الوقت الذى بدأت قوى المسيحية تتحد وتتضامن فيما بينها بفضل مبادرة الملك شانجه العظيم Sancho el mayor الذى استطاع فى سنة ٣٩١ هـ (١٠٠٠ م) ان يحقق تحت تاجه اتحاداً يضم قشتاله وليون وجليقية [١] ، وأن يربط بين باقى الممالك المسيحية عن طريق المصاهرات [٢] . وعلى هذا النحو أمكنه ان يبسط سلطانه على اسبانيا النصرانيه من جبال البرتات إلى ما وراء شنت ياقب وحتى نهر دويره فيما يلى هضبة الجزيرة الوسطى عند وادى الرمله الوعر [٣] . ولاحت للقوى النصرانيه بوادر امل لسحق القوة الواهية للاسلام فى الاندلس والمتمثلة فى تلك الدويلات الاسلامية التى قامت على اشلاء الدولة الامويه ، ولكن الظروف شاءت ألا تحقق أمل النصرانية ، إذ هلك سانشو الكبير تاركا وراءه اربعة ابناء اقتسموا مملكته فيما بينهم فتصدع بذلك الاطار العام لوحدة اسبانيا المسيحية ، وأدى هذا التمزق السياسى إلى انصراف هذه الدويلات المسيحية بمشاكلها الخاصة عن مواجهة الاسلام فى الاندلس وتوقف حركة الاسترداد إلى حين (٤) .

---

١) حسين مؤنس ، السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين (المجلة التاريخية المصرية) المجلد الثالث العدد الاول ، مايو ١٩٥٠ ، ص ٤١ .

٢) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٤٨ .

٣) اشباخ (يوسف) : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، جـ ٢ ، ص ٩ ترجمة ووضع حواشية محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٨ م .

٤) اشباخ : المرجع السابق ، ص ٩ .

إلا أن حركة الاسترداد لم تلبث ان نشطت في عهد فرناندو الاول الابن الأكبر لشانجه وتسميه المصادر العربية فرذلند ٤٢٧هـ/٤٥٨ هـ (١٠٣٥م/١٠٦٥ م) فمنذ ان تولى الملك وهو يسعى سعيا حثيثا إلى توحيد الممالك المسيحية تحت رايته ونجح فى توجيه جموع النصرانيه وجهه واحدة تستهدف مدافعة المسلمين ، واستطاع ان ينتزع منهم عدداً من مدن الاندلس الكبار مثل سموره « Zamora » وقلمريه « Coinbra » وبازو « Viseu » ، كما هدد بقواته دويلات الطوائف الاربع الكبرى سرقسطه وطليطله و بطليوس واشبيليه واجتاحت عساكره المناطق التابعه لها وارغم ملكى طليطلة و بطليوس على شراء سلمه بجزيه سنوية يؤديانها إليه [١].

وفى عهد ابنه وخلفه الفونسو السادس تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الاندلس كادت تتعرض فيها الاندلس لخطر الاسترداد القشتالى ، فقد كان الفونسو أشد اصراراً على مواجهة المسلمين من ابيه فاتبع سياسة تقوم على الارهاب والتساط وبث الغارات ترمى إلى استنزاف القوى الاسلامية ودفع ملوك الطوائف إلى الدخول فى طاعته والخضوع لمشيئته واللوذ إليه بالجزيات الفادحة حتى إذا ما أبدوا عجزهم عن ادائها تعرضوا لتنكيله وتعرضت بلادهم لعبث عساكره فيضطروا إلى قبول شروطه [٢].

ولم يكتف الفونسو بتطبيق هذه السياسة الخبيثة التى كانت تستهدف فى نهاية الامر إلى إزالة سلطان الاسلام من الاندلس بل قرن ذلك بخطة تستهدف تقليص الرقعة الاسلامية وذلك بأن يحكم الحصار حول حصون الاسلام ،

١) حسين مؤنس : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، ص ٤١ .

٢) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٠١ ، وانظر ايضا ، ابن الخطيب : اعمال الأعلام (القسم الثانى) ، ص ٢٤٣ .

وتنتسف قواته ما حولها من غروس ومزروعات وترغم حامياتها على التسليم بدون قيد ولا شرط ، أو كان يعتمد على سياسة الوقيعة والدس بين ملوك الطوائف فينتصر لفريق على فريق ويحقق بذلك سياسته الرامية إلى استنزاف موارد المسلمين المالية عن طريق الاتاوات واستنزاف قواهم ومقوماتهم الذاتية عن طريق الحروب الاهليه بين طوائف المسلمين وبفضل ذلك يتمكن هو فى النهاية من الظفر بملك الجزيرة كلها (١) .

ولقيت سياسته تلك قدراً كبيراً من النجاح بسبب مشاعر الطمع والجشع والتحاسد (٢) التى ملأت نفوس ملوك الاسلام وتفرق أهوائهم على الرغم من وضوح نوايا الفونسو التوسعية لديهم كل الوضوح (٣) .

وكان من اثر هذه السياسة إستيلاء القشتاليين على مدينة طليطله فى ٢٧ المحرم ٤٧٨ هـ (٢٥ مايو ١٠٨٥ م) (٤) ، فقد اثقل على صاحبها بالجزية وانتزاع من مملكته ما كان يحميها من حصون أماميه حتى إذا ماتم له ذلك حاصر المدينة سبع سنين وانتزعها من صاحبها القادر بالله بن ذى النون فازداد بامتلاكها قوة إلى قوته (٥) ، « وأخذ يجوس خلال الديار ، ويستفتح المعاقل والحصون » (٦) .

---

١) ابن الكردبوسى : كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء ، ص ٨٢
٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (القسم الثانى) ، ص ٢٤٤ .
٣) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٥٤ .
٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير جـ ٢ ، ص ٧١٨ .
٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ١٢٧ ، وانظر ايضا ابن الاثير : الكامل : جـ ٨ ، ص ١٣٨ .
٦) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٨٨ .

وأحدث سقوط طليطله فى يد الفونسو دويا هائلا إذ كانت تمثل وسط الاندلس وقلبه ، وكان نذيراً لقوى المسلمين فبدأوا يستشعرون حقيقة الاوضاع بعد ان الهتهم أطماعهم ونزواتهم عن مواجهة خطر الاسترداد وفى نفس الوقت سجل سقوط طليطله ارتفاعا واضحاً لحركة الاسترداد إذ ألهب مشاعر النصرانية وزاد من دفع هذه الحركة وتنشيطها ، إذ كان سقوطها يجسم فكرة العصبية الدينية باعتبارها كانت عاصمة اسبانيا قبل الفتح الاسلامي للاندلس كما ان استيلاء القشتاليين عليها يمهد الطريق أمامهم لمزيد من الفتوحات توطئة لسيطرتهم الشاملة للاندلس وارتفع بذلك شأن الفونسو السادس في نظر معاصريه ، وتسمى بالأنبراطور [١] ، واتخذ لقب « ذى الملتين » وأخذ يكاتب أمراء المسلمين قائلا : « من الانبيطور ذى الملتين الملك الفضل الاذفنش بن شانجة » [٢] وبدأت الامال تراوده فى طرد المسلمين نهائيا من الاندلس ، تلك الامال التى سبق ان راودت اباه وقال فى ذلك « إنما كانت الاندلس للروم فى أول الامر حتى غلبهم العرب وألحقوهم بأخس البقاع جليقية ، فهم الان عند التمكن طامعين بأخذ ظلاماتهم [٣] .

وإذا كانت آمال النصرانية قد تضاعفت بعد سقوط طليطله فى إيدى القشتاليين فان آمال المسلمين فى الحفاظ على دولة الاسلام فى الاندلس بدأت تتلاشى وبدأ يلازمهم الاحساس بالنهاية المحتومة ، ويتمثل ذلك فى بضعة ابيات

---

١) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء ، ص ٨١ ، وراجع معلومات عن لقب انبراطور بنفس المصدر والصفحة هامش رقم ٣ .

٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ، الطبعة الاولي مطبعة التقدم الأسلامية ، تونس ، ١٣٢٩ هـ ، ص ٢٢ .

٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٧٣

نظمها شاعر من شعراء الطوائف[١] وعلى هذا النحو تحقق لالفونسو ما كان يهدف إليه من اضعاف ملوك الطوائف بالجزيات تمهيداً لادخالهم تحت لوائه ، واخذ خطره يستفحل على دويلات الطوائف عندما بادر ملوكها يخطبون وده ويسترضونه بمضاعفة الجزية ، خاصة بعد ان استولى على طليطلة نقطة دائرة الاندلس (٢) أو قلبها النابض ، ولكنه لم يقنع بذلك بعد ان انتزع اعظم مدن الاندلس ودفعه غروره إلى التصريح بعزمه على فتح مدن الاندلس كلها وعلى الاخص قرطبه حاضرة الخلافة ، فلما أشار عليه رجال دولته بوضع التاج على رأسه اعترض على ذلك حتى يطأ ذروة المالك وينتزع قرطبه « واسطة السلك » [٣] .

ولم يكن ملوك الطوائف فى نظره إلا شرذمة من الجبناء والطامعين ، فلم يكن يكترث لهم أو يحفل بقوتهم . ولم يكن أحد من هؤلاء الملوك لا يؤدى إلى الفونسو الجزية وكانوا « احقر فى عينه وافل من ان يحتفل لهم » [٤] .

---

١) ومن شعر عبدالله بن فرج اليحصبى المشهور بابن الغسال :

يا اهل اندلس حثوا مطيكم	فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه واري	ثوب الجزيره منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا	كيف الحياة مع الحيات فى سفط

(راجع المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، صـ ٨٤) .

٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، صـ ١٢ .

٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ص ١٣١ ، وانظر ايضا . اعمال الاعلام (القسم الثانى) صـ ٢٤٤ .

٤ ، المراكشى (محى الدين ابى محمد عبد الواحد بن على التميمى) : تاريخ الاندلس المسمى بالمعجب فى تلخيص اخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة ٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م صـ ١٩٣ .

وعمد الفونسو فى المدن الاسلامية التى استولى عليها إلى تطبيق سياسة ماكرة خبيثة تهدف إلى اضعاف روح المقاومة فى نفوس المسلمين ، فجعل لكل من دان له من الاسلام « البر والرعاية » ، واخذ نفسه بالعدل فيهم والامان ، والرفق فى السر والاعلان ووعدهم الا يلزمهم غير ما توجبه السنة الاسلامية وان يحملهم فى سائر ذلك على الحرية وقد كان تحقق انه فرق على ضعفاء أهل طليطلة مائة ألف دينار ليستعينوا بها على الزراعه والاعتمار [٢] .

وفى تلك الاثناء كانت قواته تنتشر فى جميع قواعد الاندلس وتعيث فساداً فى جميع امصارها [٣] . واصبحت اكثر بلاد المسلمين مرتعاً لهم ، ولم تسلم المريه من عدوانهم فقد اغاروا عليها فى ثمانين فارساً . فاضطر ابن صمادح إلى مواجهتهم بقوة من اربعمائة من خيار الجند ، لم تلبث ان ولت الادبار عند أول اشتباك لها مع العدو [٤] .

وعلى هذا النحو بلغ استخفاف الفونسو بالمسلمين مداه [٥] وفى نفس

---

١) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء ، ص ٩١ ، وانظر ايضا هامش نفس المصدر رقم ١

٢) ابن ابى زرع : روض القرطاس ، ص ٩٩ .

٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٩٢

٤) من امثلة المبالغة فى الأستخفاف بملوك الطوائف انه كتب الى المعتمد بن عباد كبير هؤلاء الملوك يطالب منه تسليم بعض حصونه واعماله الى رسله وعماله ، فكتب اليه ابن ماكتبه « من الانبطور ذى الملتين ، الملك المفضل الا فنش من شانجة الى المعتمد بالله سدد الله رأيه وبصره مقاصد الرشاد ، سلام عليك من مشيد شرفة القنا وثبت فى المنى فاهتز اهتزاز الرمح بعاملة والسيف بساعد حاملة وقد ابصرتم ما نزل بطليطلة واقطارها وما صار باهلها حين حاصرها بما صار فى هذه =

الوقت امكنه بفضل غاراته المتواصلة وعبث قواته في أراضي الاسلام أن يثير الخوف في نفوس المسلمين وان يستذل ملوك الطوائف بما فرضه عليهم من الاتاوات ، فأصبح الناس يؤمنون بتفوق قوى المسيحية وأيقنوا بالنهاية المحتومة ، ولهذا ساءت أحوالهم وأصبحوا وقد غلبت عليهم الانانيه واللامبالاة يعيشون لساعتهم ولا يحسبون حساباً للغد وأقبلوا على الترف وملذات النفس (١) ، وانقلبت المعايير الاخلاقية فغلب النفاق واخذ الحكام يستعينون بعضهم على بعض بمرتزقة النصارى (٢) ، وتبالغ بعض الروايات العربية في تصوير الغرور الذي ركب الفونسو ، فتشير إلى أنه سار حتى وصل إلى جزيرة طريف في اقصى الجنوب ، فأدخل قوائم فرسه في البحر وقال « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته (٣) » ، ويعتقد الدكتور حسن محمود انه « سواء أصح ذلك أم لم يصح فانه يصور لنا كيف ان آمال ملك قشتالة قد جاوزت كل غاية ، وأعتقد عن يقين انه محيي ملك لذريق ، وانه لامعصم للمسلمين من بطشه إلا التسليم ، أو الفرار بدينهم إلى بر العدوة (٤) » .

وأيا كان الأمر ، فان الفونسو لم يلبث ان قفل عائداً إلى الشمال فنزل على

= السنين « راجع (مؤلف مجهول الحلل الموشية ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان : حققه احسان عباس ، م ٧ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ص ١١٥ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير جـ ٢ ص ٧١٩ ، ٧٢٠ .

١) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٥٩ .

٢) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء ، ص ٧٧ .

٣) ابن أبي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ٩٩ .

٤) قيام دولة المرابطين : ص ٢٥٥ .

سرقسط وضرب عليها الحصار واقسم ان لا يرتحل عنها حتى يدخلها او يحول الموت بينه وبين ما يريد ورفض الأموال الكثيرة التي عرضها عليه المستعين ابن هو صاحبها اعتقاداً منه بأنه سيظفر بالمال والبلاد في آن واحد (١) .

وكيفما كان الأمر ، فقد وصلت الاوضاع في الاندلس في هذه الفترة إلى غاية السوء .

استدعاء المرابطين للجهاد في الاندلس :

تختلف الروايات في تعليل دخول المرابطين الاندلس ، فالأمير عبد الله الزيرى يبرر دخولهم بالمنازعات التي نشبت بين المعتمد بن عباد والفونسو السادس ومبالغة الاخير في مطالبة ابن عباد بالتخلي عن معاقل هامه من اعماله « كان الموت عنده أولى من اعطائها ، فوجست نفسه منه بالجملة ورام كسره بطوائف المرابطين (٢) » . ثم ان ملوك الطوائف لا سيما في غرب الاندلس كابن عباد وابن الافطس تنبهوا إلى مرامى الفونسو البعيدة وانه لا يقنع منهم بالهدايا أو الجزيه ، فأستقر رأيهم على مكاتبة يوسف بن تاشفين امير المسلمين (٣) ، يعلمونه بحال الاندلس وما آل إليه امرها من تغلب العدو وعلى اكثر ثغورها وبلادها (٤) .

---

١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس : ص ٩٩ .
٢) مذكرات الامير عبد الله : ١٠١ ، ١٠٢ .
٣) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء ص ٨٩ ، ص ٩٠ .
٤) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٩٩ ، وأنظر أيضا ابن الخطيب « لسان الدين » أعمال الاعلام : القسم الخاص بالمغرب ، جـ ٣ ، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب بالدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٦٤ ، ص ٢٢٧ .

وتذهب روايه المراكشي إلى أبعد من الكتابة لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، إذ تشير إلى ان المعتمد بن عباد جاز البحر في سنه ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) قاصداً مدينة مراكش بهدف مقابلة يوسف بن تاشفين والاستنصار به على القشتاليين ، فاستقبله يوسف واكرمه ، وسأله ابن عباد عن حاجته في إمداده إياه بالعدد والعدة ، فأسرع يوسف في إجابته إلى طلبه ، وقال له : « انا اول منتدب لنصرة هذا الدين ، ولا يتولى هذا الأمر احد إلا انا بنفسي (١) » ، فعاد ابن عباد إلى الاندلس سعيداً باجابة امير المسلمين لطلبه

وهناك فريق آخر من المؤرخين يعلل سبب جواز يوسف بن تاشفين إلى الاندلس بوفود جماعة من الاندلس عليه وشكواهم إليه مما حل بهم من عدوهم الفونسو السادس(٢) ، فلقد لمس فقهاء قرطبة من قوة النصارى وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض ، فتشاوروا في الامر واجتمعوا بالقاضي عبد الله بن محمد بن ادهم واستعرضوا الحالة التي آلت إليها البلاد ، وما وصل إليه المسلمون من الصغار والمذلة وتقديمهم الجزية للعدو النصراني ، فتشاوروا في الامر وقلبوا الآراء المختلفة ، فاقترح بعضهم الاستعانه ببني هلال عرب افريقية ولكنهم خافوا ان ينقلبوا عليهم فيخربوا بلادهم كما خربوا بلاد افريقيه (٣) . وهكذا عدل الفقهاء عن رأيهم واجمعوا على مكاتبة يوسف بن تاشفين لترغيبه في الجواز بقواته الى الاندلس لجهاد العدو . (٤)

---

١) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب : ص ١٩١ ، وفي رواية أخرى تقول بان الاجتماع كان في الشمال بموضع يسمى بليط بالقرب من سبته .

٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٢٠ .

٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤١ .

٤) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ١٤١ ، ابن الابار : ، جـ ٢ ، ص ٩١ .

ويورد ابن خلكان رواية تختلف تماما عما سبق اذ تفيد بانه لما تمهدت ليوسف بن تاشفين البلاد . تاق للعبور الى جزيرة الاندلس ، فانشأ لذلك المراكب والشوانى ، ولما نما الى ملوك الاندلس عزم يوسف هذا ، كرهوا عبور المرابطين الى الاندلس واستعدوا لذلك بالعدد والعده الا انهم عدلوا عن مواجهته بعد ان ايقنوا بعجزهم عن مقاتلة حشوده ، ثم انهم كانوا يدركون فى نفس الوقت عظم الخطر الذى تمثله قوى النصرانية عليهم من الشمال وما يترتب على غاراتهم المتواصله على بلادهم من نتائج خطيره . فاستقر رأيهم فى اجتماع عقدوه مع المعتمد بن عباد كبيرهم على اظهار موالاتهم للمرابطين امام قوى النصرانيه فى اسبانيا مستهدفين من ذلك بث الذعر والهلع فى نفوس القشتاليين ومن حالفهم من ممالك اسبانيا المسيحيه ، واجمعوا فى نفس الوقت على الاتصال بيوسف بن تاشفين امير دولة المرابطين ومكاتبته (١) .

والواقع ان الحالة السيئة التى تردت اليها دويلات الطوائف بالأندلس من فرقه وتنازع وخلاف فيما بينهم واستنصار بعضهم بقوى الفونسو السادس على بعضهم الاخر والتزامهم بتأديه اتاوات سنوية له ، والمطامع بعيدة المدى التى طغت على ملك قشتالة بعد ما عاينه من سوء احوال المسلمين وانقسامهم وتطلعاته الى السيطره على المعاقل والحصون فى الاندلس وتحرير الجزيره نهائيا من ايدى المسلمين . هذا الوضع لم يكن خافيا باى حال من الاحوال على يوسف بن تاشفين الذى كان الجهاد فى سبيل الله غاية آماله ومنتهى رجائه

---

١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، م ٧ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

والأساس الذى قامت عليـــه دولة المرابطين ، وفى نفس الوقت الذى كان يجتمع فيه ملوك الطوائف المشاورة وحسم الاوضاع كان فقهاء الأندلس من جانبهم يعقدون اجتماعا لبحث الموقف وأصدروا قرارهم الذى سجلوا فيه خطورة الموقف وما يتطلبه من جمع الصفوف والتماسك والتلاحم بين مسلمى الأندلس والمغرب وأكدوا ضرورة الاستنصار بقوى المرابطين ، فاتصلوا بهم يستحثونهم ويرغبونهم فى الجواز إلى الأندلس ، وجاء قرارهم متفقا مع قرار ملوكهم استدعاء المرابطين للجهاد بالاندلس من اجل نصرة الاسلام والذب عنه امام الخطر الأسبانى .

ويبالغون فى تصوير الحماس الذى ابداه المعتمد بن عباد للاستنصار بالمرابطين فيذكرون ان الرشيد بن المعتمد اعترض على استدعائهم فرد عليه المعتمد قائلا « والله لا يسمع عنى ابدا انى اعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى ، فتقوم على اللعنة على منابر الاسلام مثل ما قامت على غيرى ، وحرز الجمال ، والله عندى خير من حرز الخنازير [١] .

وأيا ما كان الأمر فقد اثبتت الأحداث المقبلة صدق مشاعر الأندلسيين فى استدعاء المرابطين إلى الاندلس ، فأهون الشرين ان تظل الاندلس بلداً اسلامياً سواء حكمه ملوك الطوائف او حكمه أمراء المرابطين . ونستدل على ذلك من الرواية القائلة بأن المعتمد تأخر فى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) عن سداد الاتاوة التى اعتاد تقديمها لألفونسو فى الموعد المحدد ، ثم ارسلها له مما أدى إلى غضب الفونسو واشتط فى طلب بعض الحصون ، وأمعن فى التجنى وكان قد بعث رسوله اليهودى لابن عباد

---

١) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٢٨ ، وأنظر أيضا ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثانى ، ص ٢٤٥ .

برسالة تحمل هذا المعنى ، والظاهر ان وصول رسول ملك قشتاله إلى اشبيليه اتفق مع قرار المعتمد بن عباد الاتصال بيوسف بن تاشفين الامر الذى دعاه إلى التجرؤ على القشتالى والامتناع عن تنفيذ مطالبه اعتماداً على نصرة المرابطين له إلى حد انه لم يتردد فى قتل رسول الفونسو اليه عندما احتد عليه واغلظ له القول ، فلما بلغ الاذفنش ما صنعه برسوله وجنده اقسم ليغزونه باشبيليه [١] .

وتذكر المصادر العربية ان المعتمد كتب على الفور إلى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فى غرة جمادى الاول ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) [٢] يستصرخه على الفونسو ويدعوه إلى الجواز للاندلس للجهاد واحياء شريعة الدين ، فلما وفدت سفارة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين بمراكش حاضرة ملكه ، وتليت عليه الرسالة ، شاور اخوته وبنى عمه ، واستقر الرأى على تلبية دعوة ابن عباد للجهاد ، كما استشار يوسف بن تاشفين كاتبه عبد الرحمن بن أسبط فى هذا الشأن ، وكان اندلسيا من اهل المريه ، فأشار عليه بقوله : « لا يمكنك الجواز إلا ان يعطيك (أى ابن عباد) الجزيرة الخضراء فتحمل فيها اثقالك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت [٣] » فبعث برسالة لابن عباد تحمل هذا المعنى ، ووافقه ابن عباد على طلبه .

والرواية المذكورة تتضمن بعض المبالغة فى تصوير الموقف ، فلو ان المعتمد لم يكن قد اتصل مسبقا بيوسف بن تاشفين وحصل منه على وعد

---

١) الحميرى : الروض المعطار : ص ٨٤ ، ٨٥ .

٢) يذكر صاحب الحلل ان مكاتبة ابن عباد ليوسف بن تاشفين حدثت فى سنة ٤٧٩ « راجع : الحلل الموشيه ، ص ٢٩ » .

٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام : القسم الثانى ، ص ٢٤٥ .

قاطع يبذل العون لما اقدم على اهانة رسول الفونسو إليه ولما تجرأ على قتله ، وليس من المعقول ان يكون ذلك قد حدث دون ان يكون موقفه مدعما لا بمجرد وعد من ابن تاشفين فحسب بل بقرب وصول الامدادات المرابطيه او وصولها بالفعل إلى ساحل الجزيرة ، اما القول بأن ابن أسبط هو الذى أشار إلى يوسف بالمطالبة بثغر الجزيرة لنزول قوات المرابطين فاعتقد انه بعيد عن الصحه والارجح ان المعتمد خصصه لهذا الغرض بادرة منه عندما فوجىء بنزول قوات المرابطين بالجزيرة ولم يكن الامر يتطلب مكاتبات مسبقة من جانب المرابطين للحصول عليها، وانما الظروف وحدها هى التى املت على بنى عباد التصرف فى هذا الثغر وتقديمه إلى المرابطين تسهيلا لمهمتهم ، يؤكد ذلك ما رواه الامير عبد الله الزيرى فى مذكراته : « فالتفت القوم إلى خيل قد ضربت محلتها ، لم يدر متى افبلت ، ولم يصبح لهم إلا وطائفة اخرى بعدها، يزيدون ويترادفون ، حتى انكمل العسكر كله على الجزيرة مع داود بن عائشة ، واحدقوا حواليها يحرسونها (١) » ، ولما اعترض الراضى بن المعتمد بن عباد على هذا التصرف رد عليه داود بن عائشه ، وهو من ابرز قواد المرابطين بقوله : « وعدتمونا بالجزيرة ونحن لم نأت لأخذ بلده ولا ضرر بسلطان وانما أتينا للجهاد فاما ان تخليها من هنا إلى وقت الظهر من يومنا هذا ، وإلا فالذى تقدر عليه ، فاصنع (٢) »

وبمجرد احتلال يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء شرع فى بناء أسوارها وترميم أبراجها وشحنها بالمؤن والأسلحه وحشرها بالجند (٣) ،

---

١) مذكرات الامير عبد الله : ص ١٠٣ .

٢) نفس المصدر : ص ١٠٣ .

٣) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٣٤ .

ثم رحل عن الجزيرة وكتب إلى رؤساء الاندلس يستنفرهم للجهاد ، ويحضهم على اللحاق به[١] ، فوافاه المعتمد بن عباد بجملة من لديه من الاجناد ، والمتوكل بن الافطس صاحب بطليوس فى قواته [٢] كما لحق به عبد الله ابن بلكين صاحب غرناطه وأخوه تميم صاحب مالقه [٣] ، كما لحق به أيضا أكثر رؤساء الاندلس الراغبين فى الجهاد بقواتهم [٤] ، أما المعتصم بن صمادح صاحب المريه « فأبى عليه وبقى متربصا ليرى كيفية الامر ومخرجه مع الروم ، واعتذر بكبر السن مع الضعف ، وأرسل ابنه معتذراً [٥] » ، واكتفى بارسال بعض قوات رمزيه بعثها للمشاركه فى الجهاد .

وسار أمير المسلمين نحو بطليوس وعسكر على مقربه منهـــا بموضع

---

١) الامير عبد الله : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

٢) الحلل الموشيه ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

٣) نفس المصدر : ص ٣٤ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام « القسم الخاص بالمغرب » ص ٢٤٠ وما بعدها .

٤) الحلل الموشيه ، ص ٣٥ .

٥) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٠٤ ، بينما يقول صاحب الحلل الموشية ان المعتصم اعتذر بسبب العدو اللاصق له بحصن لييط من عمل لورقة ، (الحلل الموشية لمؤلف مجهول ص ٣٤) ويرى الأستاذ امبروسيوا ويثى ميراندا انه اثر البقاء انتظارا لنتيجة المعركة المقبلة ، انظر :

Ambrosis Huici Miranda ’ La invasion de los Almoravides y la batalla de Zalaca ; Hesperis , t. XI, 1953 , p. 40 .

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٢٣ و هـ ٣ ، المرية الاسلامية ص ٨١ .

يسمى الزلاقة (١) وارسل من هناك إلى الفونسو كتابا يعرض عليه فيه ان يختار بين الدخول فى الاسلام أو أداء الجزيه او القتال كما تقضى السنة (٢) . وقد اثار ذلك غضبه واقسم الا يبرح من مكانه الذى حل به . وهكذا دارت المعركه الثانى عشر من رجب ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) (٣) بين قوى الاسلام والنصرانيه ، وانتهت بانتصار حاسم احرزه المسلمون .

---

١) فحص الزلاقه من اقاليم بطليوس من غرب الأندلس ، (الحميرى : الروض المعطار ، صـ ٨٣ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ، صـ ٩٣) .

٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشية صـ ٣٥ ، وراجع ايضا بعض فصول الخطاب بنفس المصدر والصفحة ، وانظر ايضا ابن ابى زرع : الانيس المطرب صـ ١٠١ .

٣) مؤلف مجهول: الحلل الموشية ، صـ ٢٤٠ ، ٢٤١ ، اختلفت الروايات الاسلامية فى تحديد تاريخ موقعة الزلاقه ، فذكر ابن خلكان انها وقعت يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩ هـ (ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٧ صـ ١١٧) ، فى حين اورد المراكشى انها وقعت يوم الجمعة ١٣ رمضان ٤٨٠ هـ (المعجب فى تلخيص اخبار المغرب صـ ١٩٥ ، اما الحميرى فيذكر انها حدثت يوم الجمعة ٢٠ رجب ٤٧٩ هـ (الروض المعطار ، صـ ٩٤) ، وابن ابى زرع يوم الجمعة ١١ رجب ٤٧٩ هـ (الانيس المطرب ، صـ ١٠١) ، وابن الاثير فى "عشر الاول من شهر رمضان ٤٨١ هـ ، (الكامل فى التاريخ : الجزء الثامن صـ ١٤٢) راجع تفصيلات هذه المعركة فى :

A· Huici Miranda, Op, cit

الحميرى : الروض المعطار ، صـ ٨٣ وما بعدها ، حسن احمد محمود : قيام دوله المرابطين صـ ٢٧٣ ، الى ٢٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم المغرب الكبير جـ ٢ صـ ٧٢٣ ، ٧٢٧ .

فلما انتهت المعركة بهذا الانتصار ، جمع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رؤساء الاندلس فى مجلسه ، وامرهم بالتضامن والاتفاق ، وان تكون كلمتهم واحدة ، وابلغهم ان النصارى لم تفترسهم إلا بسبب ما بينهم من تباين وتنابذ ، فوافقه المجتمعون واظهروا طاعته ووعدوا بتحقيق ما امر به (١) ، سيما بعد الانتقادات اللاذعة التى وجهها يوسف بن تاشفين لملوك الطوائف قبل وقوع المعركة والتى عبر عنها فى قوله «كان غرضنا فى ملك هذه الجزيرة ان نستنقذها من ايدى الروم ، لما رأينا استيلاءهم على اكثرها وغفلة ملوكهم واهمالهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وايثارهم الراحة ، وانما همة احدهم كأس يشربها وقينة تسمعه ولهو يقطع به ايامه (٢) » .

ثم قفل امير المسلمين يوسف بن تاشفين راجعا إلى العدوة المغربيه فى بداية عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، إذ وافته انباء مزعجه بوفاة ابنه ابى بكر لم يجد معها بداً من سرعة الكرة (٣) ، والودة إلى العدوة المغربية (٤) ، وشيعه ابن عباد إلى الجزيرة الخضراء (٥) ، ويرجع الدكتور حسن احمد محمود سبب عودة يوسف بن تاشفين السريعة إلى المغرب إلى انباء وصلته عن وفاة عمة ابى بكر

١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٠٦ .

٢) المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، ص ٢٢٦ .

٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٩٤ ، مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ٤٧
ابن ابى زرع : الانيس المطرب ، ص ١٠٥ .

٤) لمؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٤٧ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ص ٩٥ ،
ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

٥) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الخاص بالمغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ .

ابن عمر زعيم المرابطين واميرهم ٤٨٠ ﻫ (١٠٨٧ م) ، فأحب ان يعجل بالعودة إلى المغرب ليرث ملك عمه ، ويبادر بأخذ البيعة لنفسه ، قبل ان يغتصبها منه بعض الامراء الآخرين منتهزين فرصة وجوده بالاندلس منشغلا بمعركة الجهاد (١) .

وكيفما كان الامر ، فقد عجل امير المسلمين يوسف بن تاشفين بالعودة إلى المغرب بعد ان اسند قيادة الجيش المرابطي فى الاندلس إلى قائده سير بن ابى بكر توطئة لعودته إلى الاندلس بعد تدبير شئون مراكش ليتابع فيها الحرب بنفسه (٢) .

والواقع ان اضطراب الاحوال السياسية بالاندلس كان له اعظم الاثر فى تضييق هوة الخلاف بين ملوك الطوائف فتناسوا بعض الوقت احقادهم ومطامعهم وسعوا إلى توحيد الصف امام اعدائهم الذين بدأت تحركهم دوافع الطمع فى استرجاع اسبانيا وانتزاعها من ايدى المسلمين واعادتها إلى ما كانت عليه ايام القوط .

فبالرغم من العداء السافر الذى كان قائماً بين المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية والمعتصم بن صمادح صاحب المريه ، وهو عداء كان يذكيه المعتصم (٣) وينفخ فى رماده إلى درجة تبادل المراسلات القبيحة بينهما ، وإلى تعريض المعتصم بالمعتمد فى مجالسه ، وانتهى الامر بصدام مسلح بين الطرفين وذلك عندما اقدم

---

١) قيام دولة المرابطين ، ص ١٨٧ ، وانظر ايضا التعليق بهامش رقم ٨ ، ص ٩٥ ، ٩٦ من كتاب الأكتفاء لابن الكردبوس .

٢) اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٨٩ .

٣) يقول المراكشى فى ذلك : «كان (المعتصم) قديم الحسد للمعتمد كثير النفاسة عليه » (المراكشى : المعجب ، ص ١٩٦) .

المعتمد بن عباد على غزو المرية (١) ، وعلى الرغم من ذلك كله نقدا اتفق الخصمان على تصفية خلافاتهما ، وتم الاجتماع بينهما فى موضع قريب من حدود مملكتى اشبيلية والمرية ، انعقد فيه مجلس الصلح بينهما وقد احتفل المعتصم بهذه المناسبة بضيفه المعتمد غاية الاحتفال وبالغ فى إكرامه ، باعداد مجالس الانس ، وآلات الطرب . واستمرت ضيافة المعتمد فى كنف المعتصم ثلاثة اسابيع عاد بعدها إلى بلاده (٢) .

والظاهر ان هذا الاجتماع ، بالاضافة إلى انه ادى إلى تصفية الخلافات وانعقاد الصلح ولو بشكل ظاهرى ، كانت له نتائج طيبة ، إذ ساعد على تقبل يوسف بن تاشفين للمعتصم بن صمادح ورضائه عليه بفضل امتداح المعتمد له عنده ونعته اياه بكل فضل ، استغل المعتصم - وهو مشهود له بالذكاء - حسن العلاقات بينه وبين أمير المسلمين وغمره بالهدايا الفاخرة ، والتحف النفيسه « وتلطف فى خدمته حتى قربه امير المسلمين اشد تقريب ، وكان يقول (اى يوسف ابن تاشفين) لاصحابه : هذان رجلا هذه الجزيرة يعنى المعتصم والمعتمد »(٣).

وعندما عبر المعتمد بن عباد بحر الزقاق إلى العدوة والتقى بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وشكا إليه ما يعانيه المسلمون بسبب حصن لييط وضرره على المسلمين (٤) وصور له أهمية هذا الحصن ، « وانه فى قلب البلد وان

---

١) الحميرى : الروض المعطار ، صـ ٨٤ .

٢) المراكشى : المعجب ، صـ ١٩٧ ، وانظر ايضا :
Dozy (R), OP . cit. , 1 ; P , 266 ,

٣) المراكشى : المصدر السابق ، صـ ١٩٧ .

٤) ابن ابى زرع : الانيس المطرب ، صـ ١٠٦ ، وانظر ايضا الحلل الموشية =

لا راحة للمسلمين إلا بنقده » ، استجاب امير المسلمين لرغبته ، فجاز إلى الجزيرة الخضراء وما كاد يستقر بها حتى كتب لملوك الطوائف يستنفرهم للجهاد معه (١) . فوافته هناك جيوش الاندلس ، وساهم المعتصم بن صمادح بجيشه مع بقية ملوك الطوائف فى حصار لييط ، ويضيف ابن بسام بأن المعتصم « خرج عن المرية إلى لييط يجر جيشا ، لا تتأبى الطير غدوته ولا يتوقع العدو وطأته » (٢) ، وظهر المعتصم بين فرسانه البيض فى ثوب مرابطى اسود فكان كما وصفه بعض الرواة العرب كالغراب الاسود بين الحمام الابيض (٣) . ويروى الامير عبد الله ان المعتصم بن صمادح « اتى بفيل اقامه وخرق به العادة ، اصابه من الحصن قبس من نار فأحرقه » (٤) . واستمر حصار المسلمين لحصن لييط اربعة اشهر ولكنه انتهى بالفشل ، وربما يرجع ذلك إلى صمود الحامية القشتالية ، وقوة تحملها لهذا الحصار ، بالأضافة إلى عامل آخر اكثر من الأول اهمية هو اختلاف كلمة المسلمين (٥) ، فقد شكا المعتمد بن عباد لأمير

= اؤلف مجهول ، صـ ٤٨ ، ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، جـ ٣ ، صـ ٢٤٩ .

١) مذكرات الامير عبد الله ، صـ ١٠٨ ، الحلل الوشية اؤلف مجهول ، صـ ٤٩ وابن ابى زرع : الانيس المطرب ، صـ ١٠٠ .

٢) الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، صـ ٢٤٠ .

٣) اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، صـ ٩١ .

٤) مذكرات الامير عبد الله ، صـ ١٠٩ ، الفيل : آله من الات الحصار وهى أشبه بالكبش الذى كان يستخدمه المحاربون فى حصار المدن الساحلية بالشام ابان الحركة الصليبية)

٥) مذكرات الأمير عبد الله ، صـ ١١١ وما بعدها ، وما بعدها ، الحلل الوشية اؤلف مجهول صـ ٤٨ ،

ابن ابى زرع : الأنيس المطرب صـ ١٠٦ .

المسلمين ابن رشيق الثائر عليه بمرسية ، كما اختلف ابن صمادح مع ابن عباد بشأن بعض الحصون وانصرفا دون اتفاق بينهما (١) . ذلك ان المعتصم لما استوثق من علاقته بأمير المسلمين وتمكن منه ، سعى فى تغييره على المعتمد بافساد العلاقات الطيبه بينهما ، فكان من جملة ما اسر به لامير المسلمين الغرور الذى ركب المعتمد وتجاوزه الحدود فى استعلائه وتكبره (٢) :

والظاهر ان يوسف بن تاشفين استبشع ما رآه بين ملوك الطوائف من خلافات واستاء من الوضع الداخلى فى الاندلس وأبدى استياءه برفع الحصار عن حصن لييط والانصراف إلى ناحية لورقة ، ثم مغادرة الاندلس إلى العدوة المغربية عن طريق المرية (٣) .

وازداد غضبه وهو بالعدوة المغربية على ملوك الطوائف عندما بلغه ان الامير عبد الله بن بلكين تعاقد مع البرهانس وكيل الفونسو السادس فى جهات غرناطه والمريه ، وان الامير عبد الله التزم بدفع جزية عن ثلاث سنوات ماضية قدرها ثلاثين الف دينار مقابل مسالمته (٤) . وكان قد ثبت

---

١) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٢٣ .

٢) كما وشابه عند يوسف بن تاشفين فابلغة انة قال عنة : « طالت اقامة هذا الرجل بالجزيرة يعنى امير المسلمين : لو عوجت له اصبعى ما اقام بها ليله واحدة هو ولا اصحابة : وكانك تخاف عائلة واى شيء هذا المسكين واصحابة ؟ انما هم قوم كانوا فى بلادهم فى جهد من العيش وغلاء من السعر ، جئنا بهم الى هذة البلاد نطعمهم حسبة واتجارا فاذا شبعوا اخرجناهم عنا الى بلادهم» ، (راجع المراكشى : المعجب ، ص ١٣٨) .

٣) ابن ابى زرع : الانيس المطرب ، ص ١٠٦ .

٤) مذكرات الامير عبد الله ص ١٢٣ وما بعدها ، وانظر ايضا ، ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

لامير المسلمين من قبل تعاون ابن رشيق مع النصارى اثناء حصار لييط (١) .
لكل هذه الاسباب ، عزم امير المسلمين على استئصال دويلات الطوائف والاطاحة بعروشها حتى يتهيأ له توحيد الجبهة الاندلسية المغربية لمواجهة خطر النصارى، فجاز للمرة الثالثة إلى الاندلس في سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) ، متظاهراً بعزمه على محاربة النصارى ، وسير قوات ضخمة عبرت من سبتة إلى الجزيرة الخضراء إلى مختلف نواحي الاندلس ، وفي هذه المرة لم يطلب من ملوك الطوائف جنداً لمعاونته ، كما انهم لم يعرضوا عليه العون بل اخذوا يترقبون حركات المرابطين في حذر وتشكك ، وعرج يوسف على رأس جيشه إلى طليطلة فحاصرها ، ولكنه ما كاد يشرع في العيث بأراضيها ويتوغل حتى ظاهر عاصمة قشتاله (٢) ، حتى رجع فجأة نحو الاندلس وقد عزم على استئصال شأفة ملوك الطوائف فبدأ بنكبة الامير عبد الله الزيري صاحب غرناطه ، وكان شديد الغضب عليه ، فعزله عن ملكه ونفاه إلى اغمات (٣) ، واردفه بأخيه تميم صاحب مالقه (٤) .

وفي سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، سير جيوشاً اربعة عبرت من سبتة إلى الجزيرة الخضراء وجهها إلى مختلف بلاد الاندلس ، فقدم على الجيش الاول ابن عمه الامير سير بن ابي بكر وامره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية واحتلالها ثم التوجه إلى بطليموس والاستيلاء عليها واسقاط صاحبها المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الافطس ، كما قدم على الجيش ابا عبد الله بن الحاج وعهد

---

١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١١٢ .

٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ١٠٧ ، وانظر ايضا اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٩٣ .

٣) مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٠ ، الحلل الموشية لمؤلف مجهول ، ص ٥١ .

٤) مذكرات الامير عبد الله ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

اليه بمنازلة الفتح الملقب بالمأمون بن المعتمد بن عباد بقرطبه والاستيلاء عليها ، كما عهد إلى الامير يحيي بن واسنو بقيادة جيش ثالث لفتح المريه وقدم على الجيش قائده جرور الحبشي وعهد اليه بفتح رنده واسقاط واليها الراضي بن المعتمد بن عباد (١) .

وقد نجحت هذه الجيوش جميعا فى تنفيذ مهماتها واسقاط ملوك الطوائف فى اشبيلية وبطليوس ورنده .

اما المريه ، فقد لاقت هى الاخرى نفس مصير هذه الدويلات ذلك ان المعتصم بن صمادح عندما شعر بنية المرابطين فى الاستيلاء على بلاده وعجزه عن تفادى المصير المحتوم الذى قضى به ابن تاشفين على جميع ملوك الاندلس (٢) ، وحوصرت المريه من البر والبحر حصاراً محكماً ، سعى المعتصم إلى النجاة بنفسه ودولته من هذه النهاية المنجعة ورأى ان يجرب آخر سهم فى جعبته ، فبادر بارسال ابنه عبيد الله عز الدولة - وكان ملقبا فى الدين - إلى الامير يحيي بن واسنو علة يستطيع ان يثنيه عن عزمه وذلك عن طريق بيان وجه الحق له ، إلا ان عز الدولة لم يكد يصل إلى الامير حتى امر هذا بتقاوه على المقام فى الحديد ، وعندما علم المعتصم بأمر ولدة تحيل فى اطلاق سراحه (٣) . وفى هذه الاثناء طرق جيش المرابطين أبواب المريه ، وكان قد استولى على جميع اعمالها ولم يبق فى حوزة المعتصم ابن صمادح سوى المريه ذاتها فاعتصم بقصبتها . غير انه لم يلبث ان داهمه

---

١) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٥٢ .

٢) أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٩٩ .

٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٧ ، وأنظر أيضا . ابن الابار الحلة السيراء ، ج ٢ ص ٨٨ ، ٨٩ .

المرض فى الوقت الذى كان المرابطون يحكمون فيه الحصار حولها ، و ينسبون إليه عبارة جرت مجرى الأمثال، نصها: « نغص علينا كل شيء حتى الموت[١] » ويروون أنه عندما لاحظ جاريته تبكى عند رأسه اشفق عليها ودعاها إلى ادخار هذه الدموع لوفاته الوشيكة ، فعبر عن ذلك ببيت من الشعر ضمنه الاحساس بالمرارة والقنوط[٢] . ولما أيقن بقرب نهايته مع نفاذ قدرة عسكره على المقاومة والصمود دعا ولده وولى عهده معز الدولة للمثول بين يديه ونصحه بضرورة المطاولة والتشبث بقصبة المرية ما استطاع إلى ذلك سبيلا وقال له : (امتسك هذه القصبة طول مقام ابن عباد في ملكه باشبيلية مااستطعت ، فان رأيت ابن عباد قد خرج ، فلا تتربص ساعة واحدة ، وانج بنفسك إلى القلعة وادخل البحر بما قدرته عليه من زخائرك إذ لامطمع لك فى البقاء بعده » ([٣]) .

ولم يطل الأمر بالمعتصم إذ لم يلبث أن توفى فى ربيع الأخر سنة ٤٨٤ هـ

---

١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، صـ ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وأنظر أيضا : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، م ٥ ، صـ ٤٤ . ،

Dozy (R) : Op. cit., I, 272.

٢) ترفق بدمعك لا تفنه ... فبين يديك بكاء طويل

(ابن بسام : نفس المصدر ، ق ١ ، م ٢ ، صـ ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام « القسم الخاص بالأندلس » ، صـ ١٠١ ;

٣) مذكرات الامير عبد الله ، صـ ١٦٧ ، ١٦٨ ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، صـ ١٤١ ، ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، صـ ٨٥ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، صـ ١٦١ .

(١٠٩١ م) [١] ، بعد مايقرب من إحدى واربعين عاما تولى خلالها شئون المملكة ، وخلفه ابنه معز الدولة فى ولايتها وتحمل تبعة هذه التركة المثقلة بالمشاكل ، والظاهر أن المرابطين قد فتر حماسهم بعض الوقت عن فتح المريه لانشغالهم باحكام الحصار حول اشبيليه ، والتمهيد للسيطرة عليها ومع ذلك فلم يصرفهم ذلك عن متابعة محاصرة المرية برا وبحرا ، فمكث معز الدولة يترقب الاحداث إلى أن تأكد لديه سقوط اشبيليه ، ووقوع ملكها المعتمد ابن عباد اسير فى قبضة ابن ابى بكر سنه ٤٨٤هـ (١٠٩١م)، وعندئذ عمد إلى الاخذ بوصية ابيه والبحث عن مخرج له من المصير المحتوم . فتظاهر برغبته فى مفاوضه المرابطين ، ونجح فى حمل عسكرهم على تخفيف الخناق عنه ناحيه البحر [٢] . ثم انه انتهز هذه الفرصة لينجو بنفسه ، فامر رجاله بنقب السور الممتد خارج باب موسى إلى دار الصناعة [٣] . وركب مع خواصه فى قطعة بحرية وشحن ماقدر عليه من الاموال والمتاع والذخائر فى قطعتين أخريين [٤]، ثم تظاهر أمام رعيته بالخروج لمهادنة يوسف بن تاشفين ، فسر اهل المريه لذلك [٥] اعتقاداً منهم بانه سيمهد بذلك طريق المصالحة مع المرابطين وتجنيبهم

---

١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ١٩١ .

٢) اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٩٩ .

٣) ابن الخطيب ، المصدر السابق ص ١٩٢ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الاسلامية ص ٤٩ .

٤) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

٥) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص ٨٢ .

الأخطار المترتبة على احتلالهم المرية ، ولكنه ما كاد يركب مع آله وخواصه حتى أمر باحراق باقى الاجفان خشية المطاردة [١] . ولما توسطت مراكبه البحر أغدق على البحريين امواله وأعلنهم بوجهته ، فلاذ إلى ثغر الجزائر ونزل فى كنف بنى حماد أصحاب البلاد [٢] ، فأسكنوه مدينة تدلس [٣] ، وكان فى شهر رمضان سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) [٤] .

ولم تمض بضعة ايام حتى كان المرابطون قد استولوا على المريه دون مقاومة ، وبسقوط المرية في ايدى المرابطين تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ المريه الاسلامية .

---

١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام «القسم الثانى» ، ص ١٩ ، السيد عبد العزيز سالم المرجع السابق ص ٤٩ ، أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٣٠٩ .

٢) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٠٦ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ، ص ١٠٥ .

٤) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٩ .



البَابُ الثانِي

أهم المظاهر الحضارية

الفصل الأول

تطور عمران مدينه المريه

أولا : تخطيط المريه وتطور عمرانها منذ تأسيسها حتى سقوطها فى أيدى المرابطين

حظيت المريه منذ ان امرعبد الرحمن الناصر بتأسيسها واحكام تسويرها فى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) باهتمامه الخاص لما كان ينفرد به موقعها من حصانه طبيعية جعلتها تبرز فى المقام الأول بين ثغور الأندلس المنيعة، ولم تلبث ان اصبحت بفضل جونها العميق وروعة موقعها من اشهر مراسى الاندلس واكثرها عمرانا ، فاتسعت رقعتها وامتد عمرانها وازدادت حركة مرفأها ، وانتجعها التجار من المشرق والمغرب على السواء وأضحت هى وبجانه على حد قول ياقوت الحموى : « بابى الشرق منهما يركب التجار وفيهما تحل مراكب التجار ، وهى مرفأ ومرسى للسفن والمراكب » (١) .

ومما يجدر ذكره ، ان المصادر العربية لم تزودنا بأى اخبار تصور لنا ما كان عليه عمران المرية عند تأسيسها ، كما لم تزودنا بعد ذلك بروايات توضح تطور عمرانها وامتداده فى عصر الطوائف بعد ان اكملت هذه المدينة ربضيها الشرقى والغربى ، والرواية الوحيدة التى يقول عليها الباحثون عند تصويرهم للنطاق العمرانى للمريه بعد اتساعه هى رواية الادريسى التى يقول فيها : « والمريه فى ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة ، والجبل الثانى منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم ، والسور يحيط بالمدينة والربض ، ولها ابواب عدة ولها من الجانب الغربى ربض

---

(١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

كبير عامر يسمى ربض الحوض » (١) .

ويرجع الفضل الاعظم فى دراسة عمران المريه فى العصر الاسلامى وتتبع تطوره إلى باحثين جليلين أولهما المستشرق الاسبانى المهندس وعالم الاثار الاستاذ ليوبولدو توريس بلباس أول من تنبه إلى اهمية دراسة تاريخ هذه المدينة اعتمادا على مابقى فيها من آثار وتوصله إلى تسجيل صورة واضحه المعالم لعمرانها (٢) ، والثانى استاذى الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى افرد باللغة العربية بحثا قيما عن المدينة موضوع الدراسه ضمنه عرضا قيما لتاريخها وتخطيطها ودراسة اصيلة لعمرانها (٣) ، وبفضل الحقائق التى توصل إليها وبفضل ما امدنى به من توجيهات امكننى أن اتوصل إلى تحديد البؤرة العمرانية الأولى وموقعها من القصبة ، كما امكننى ان اتتبع ماطرأ حواليها من فيض عمرانى فى عصر الطوائف وذلك بعد ان اتيحت له الفرصة لدراسة عمران المدينه القديم على الطبيعة وتتبع نموها العمرانى ابتداء من بؤرتها الأولى واتساعها شرقا وغربا ، وتبين لى خلال دراستى للاثار الباقيه فى المدينة وعلى الاخص قصبة المريه والابراج المتبقيه من اسوارها القديمة ، انه كان لعامل التضاريس وطبيعه السطح اثره العميق فى التحكم فى توجيه عمران المدينة الفائض شرقا وغربا

(١) الادريسى : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٩٧ ، وانظر ايضا : الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٤ .

(٢) Torres Ba'bas (Léopoldo) : Almeria Islamica, al-Andalus, Vol. XXII, Madrid, 1957, pp. 411 — 453

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، وبحثه عن « المريه قاعدة الاسطول الاندلس » ، مجلة الرابطة ، القاهرة ، مايو — يونيو ١٩٥٩ ، ص ٦٨ — ٧٩ .

بامتداد السهل الساحلى وفى امتداد اسوارها ، فكانت المدينة القديمة تتخذ شكل مستطيل يبلغ طوله على وجه التقريب ٥٦٠ مترا وعرضه ٣٥٠ مترا بحيث يغطى رقعة من الارض مساحتها تصل إلى نحو ١٩½ هكتار دون احتساب المساحة التى تشغلها القصبه [١] ، ويمتد هذا السطح مابين القاعة المنسوبة إلى خيران ، الواقعة باعلى جبل القصبة شمالا وبين الساحل جنوبا . وكان يحد هذا المسطح العمرانى الذى تشغله المدينة من الشرق والغرب واديان ضحلان .

وكانت المدينه القديمه تشتمل على عدد من المرافق أهمها المسجد الجامع القائم فى وسطها ثم الفنادق والحمامات والاسواق التى كانت تتوزع حول مساحته ، أما القيسارية فكانت تفضى إلى جنوبيه ودار الصناعة تحتل الركن الجنوبى الشرقى من المدينة [٢] .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجرى ، طرأ على عمران المدينة تغير واضح المعالم فقد نما هذا العمران فجأة واتسعت المدينة دفعة واحدة ، وتحولت المدينه الهادئة إلى مركز رئيسى للهجرات وذلك ابان الاضطرابات التى اعقبت سقوط الخلافة واشتعال نار الفتنة البربريه ، ومنذ ذلك الحين ازداد عدد سكانها بمن وفد عليها من قرطبة ومن غيرها من مدن الاندلس التى طحنتها الفتنة ومن أنسوا الامان بين اسوارها وتحت قصبتها الشامخه وفى ظلال ماكان يسودها من هدوء وسلام بحكم بعدها عن مناطق الصراع الرهيب القائم بين الطائفتين البربريه والاندلسيه ، وكان من الطبيعى بسبب تزايد وفود القادمين اليها ان

---

(١) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, pp. 430 — 436.

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ١١٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١١٦ ، ص ١١٧ .

تضيق المدينة عن الاتساع لجموعهم وان تتكون بؤرات عمرانيه خارج نطاق المديه القديم ، ولما كان من المستحيل أن يمتـد العمران شمالا بسبب اعتراض جبل النصبة وجنوبا لوجـود البحر ، أصبح من المحتم أن يمتد العمران شرقا بامتداد فحص المريه الفسيح،وغربا فى المنطقه المحصورة بين وادى الرملهالذى يعرف اليوم باسم « رملة لاشانكا » وبين جبل الكنيسه (١) .

وفى هذين الاتجاهين تكون ربضا المدينه الشرقى والغربى ، الاول ، فقد اطلق عليه اسم ربض المصلى ، نسبه إلى المصلى أو ربض الشريعة القديمه التى كانت تقوم خارج الباب الشرقى من المرية الاولى (٢) ، ومـوقعه شرقى المدينه القديمه ، ويشرف على هـذا الربض من الشمال الطرف الجنوبى من جبل ليهم ، ويفصل هذا الجبل عن جبـل القصبه خندق عميق يعرف اليوم باسم الاخدود La Hoya (٣) .

واما الربض الثانى ، فهو ربض الحوض ، يحتمل انه سمى كذلك نسبه

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المصدر السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) Torres Balbas L) : Musalla y Saria, al-Andalus, Vol. XIII, p. 175, 1948.

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١١ ، المصلى فى المدن الاسلامية فضاء فسيح خارج اسوار المدينة ، كانت تقام فيه شعار صلاة العيدين وصلا الاستسقاء ايام الجفـاف ، والشريعة القـديمة لان امتداد العمران خارج نطاق أسوار المدينة الاولى استلزم انشاء شريعة جديدة فى نفس الاتجاه خارج ابواب الربض الجديد (أنظر، سالم : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٣) Torres Baabas (L) . Almeria Islamica, p. 433.

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

إلى جب كبير كان موجـودا فى هـــذه الناحية ، وللاسف لم يبق من اثار شوارع هـذا الربض شىء يدل على ماكانت عليه هـذه الشوارع فى العصر الاسلامى ، وذلك لتخرب عمرانة منـذ ان استولى القشتاليون على المدينة عام ٥٤٢ ﻫ (١١٤٧ م) (١) .

وبامتداد العمران إلى هذين الربضين بلغت مساحة مدينة المرية علاوة على قصبتها نحو ٧٩ هكتارا (٢) .

ثانيا : الاثار الباقية فى مدينة المرية

الاثار الحربية :

القصبه : هى القصبه التى اسسها خيران العامرى ونسبت إليه ، فابن سعيد يشير اليها عند تعرضه لذكر مـدينة المريه بقوله . « وبنى فيها خيران العامرى قلعته العظيمة المنسوبة إليه » (٣) ، ويؤكد المقرى ذلك بقـوله : ولها (أى المريه) القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران (٤) » . ونستدل من رواية العذرى التى يشير فيها إلى قيام خيران باقتحام المريه والاستيلاء على القصبة (٥) ان القصبة كانت قائمة بالفعل قبل استيلاء خيران العامرى على المرية ، وعلى هذا

(١) Torres Balbas (L) : La Medina, los Arrabales y los Barrios, al-Andalus, Vol. XVIII, p. 167.

عن السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٢١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) المغرب فى حلى المغرب ، ﺟ ٢ ، ص ١٩٣ ، وانظر ايضا ، جوميث مورينو : الفن الاسلامى ص ٣١٧ .

(٤) نفح الطيب ، ﺟ ١ ، ص ١٥٣ .

(٥) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣

نستنتج ان خيران اسس قلعته بعد ان استولى على القصبة على اساس ان القصبة اشمل واعم من القلعة . وقد يكون المقصود من نص العذرى ان خيران اهتم بتحصين القصبة بالاسوار المنيعة التى مازالت قائمة حتى اليوم [١] ، وشدة عنايته بهذا العمل الضخم هو الذى دعا المؤرخين العرب إلى نسبتها إليه .

وكيفما كان الامر ، فان القصبة تنتصب شامخة باعلى جبل صخرى ارتفاع نحو ٦٥ مترا فوق سطح البحر ، صعب الارتقاء لوعورته ، والجبل المذكور هو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر اندرش الذى كانت مياهه بادىء ذى بدء تصب فى البحر فى موضع اكثر ارتفاعا بالقرب من مدينة بجانه Pechina (٢) .

ويرى بعض الباحثين أن قصبة المريه أقيمت على اساس برج فينيقى قديم (٣) ، ولكنا نستبعد ذلك لان كل ماعثر عليه فى سلاح جبل القصبة لايعدو قطعا من الفخار من العصر النيوليتى تدل على ان هذا الموضع كان مأهولا فى

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلاميه ، ص ١٢٢

(٢) جوميث مورينو . الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ص ٣١٧ ، ويذكر العذرى : « وقد اشرفت على المدينة قصبتها ، وهى فى جبل منفرد على سور متقن لا يصعد الى قصبتها الا بكلفه ولا يرقى اليها الا بمشقه ، محكمه فى رتبها غاية فى امتناعها » (ترصيع الاخبار ص ٨٣)

(٣) Sainez de Robles: Castillos en Espana, Madrid, 1954, p. 295;

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

عصور قديمة (١) .

هذا وتقع القصبة إلى شمال مدينة المريه القديمة ،وتشرف من الجهة الشمالية والشماليه الشرقية على ربض المصلى وخندق باب موسى ، ومن الجهة الغربية على ربض الحوض ، وتمتد طولا من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٣٠ مترا ، ويؤكد الحميرى هذا الامتداد الشرقى — الغربى للقصبة فى قوله : « وقصبتها بجوفيها وهو حصن منيع لا يرام مديد من المشرق إلى المغرب »(٢).ويتخلل امتداد سطحها بروزات وابراج كثيرة وفى غير نظام وينقسم هذا السطح إلى ثلاثة مرتفعات غير متساويه ، يفصل بين كل منها سور ، فالمرتفع الاول ، وهو المرتفع الغربى الذى يتخذ شكلا أقرب مايكون إلى شكل المثلث ، يتصل بسور المدينه فى خط مواز لطريق لاشانكا La Chanca وتكتنف سور هذه القلعه المثلثه ابراج اسطوانيه الشكل وأخرى مربعه الشكل ضخمه تضم غرفا ، كما تشتمل على معقل أمامى به ثلاثة ابراج أخرى للمدفعيه يحيط بها خندق ، وكل هذه الابراج اقيمت من كتل حجريه على النظام القوطى(٣) اما المرتفع الثانى أى الاوسط ،فيتخذ شكل مربع سطحه يكاد يكون منبسطا ويمتد هذا المرتفع من أسوار القلعة الغربيه حتى السور الفاصل الذى يقسم القصبة إلى قسميها الشرقى والغربى وكان هذا القطاع يضم كل بنيان القصر وملحقاته ، وفى الناحيه الشمالية من هذا القطاع يمكننا أن نتتبع القسم الاخير من الطرف المقابل لسياج المدينه ويمتد مخترقا طريق لاهويا La Hoya ، وكان فيها

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، ١٥ .

(٢) الروض المعطار ، ص ١٨٠ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ؛ جوميث مورينو : الفن الاسلامى ، ص ٣١٧ .

مضى عامرا بالدور ليصعد بعدئذ إلى تل سان كريستوبال San Cris'o'al أو جبل ليهم،وقد زود سور هذا القطاع بابراج مربعة الشكل تتجاوز فى ارتفاعها السور ، وتتميز الاجزاء العليا من هذه الابراج بانها مجوفة بدون اقبية وتنتهى بنيتها من أعلى بشرفات ذات رؤوس مدببة [١] .

واما المرتفع الثالث ، وهو المرتفع الشرقى،نطويل للغايه وتعادل مساحته كل من مساحه المرتفعين الغربى والاوسط ، وكانت تشغله فيها يبدو حدائق القصر ومن هذا المرتفع الأخير يسلك الجند والقائمون بحراسة القصبة إلى المدينة [٢] ، ويتميز هذا القسم من القصبة بجبابه العميقه وناعورة يبلغ عمقها وفقا لما ذكره مادرث سبعون قامه [٣] .

والباب الحالى للقصبه ، لانشك فى أنه من العصر الاسلامى قد شيد على طريقة عهد الخلافة بعقوده المدببة المتجاوزة المنكسرة القامه من الآجر إذ تتداخل فيه الصفوف المزدوجه من لوحات الحجر الرملى ممتده بين أخرى تتعاقب فيها الكتل القائمه طولا وعرضا [٤] .

أسوار المدينه والربضين :

تتناول دراسه أسوار المدينه القديمه والقطاع الشرقى والغربى منها :

١ ـ أسوار المدينه القديمه : يذكر العذرى ان عبد الرحمن الناصر اقام أسوار المريه فى سنه ٣٤٣ ﻫ (٩٥٤ م) من الحجر (الصخر) (٥) ، ومن

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) جوميث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ص ١١٧ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٤) جوميث مورينو : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٥) ترصيع الاخبار ، ص ٨٦

المعروف ان هذه الاسوار تتفرع شمالا من طرفى القصبه الشرقى والغربى باتجاه الواديين الجانبيين إلى ان تلتقيا جنوبا بالسور القبلي للمدينة القديمة الذى يمتد بحذاء البحر ويضربه ماؤه (١) ، وإليه يشير ابن سعيد - نقلا عن الرازى - فى قوله : « سورها على ضفة البحر وبها دار الصناعة » (٢) .

٢ - القطاع الشرقى : تحكمت طبيعة سطح الربض الشرقى فى بنيان سوره وفرضت نفسها على تخطيط هذا السور ، إذ املت على بناة هذا السور احتواء مقدمة جبل لاهم التى يسميها ابن خاتمه بالعرقوب وتعرف اليوم بمرتفع سان كريستوبال داخل نطاق الربض (٣) . وتخطيط هـذا السور حسب وصف ابن خاتمه ، ووفقا لمخطط المدينة الذى نفذ فى سنة ١٦٠٠ م يرجع إلى القرن الخامس الهجرى ، وينبثق هذا السور من منتصف السور الشمالى للقصبه ويمضى فى اتجاه الشمال الشرقى ثم يهبط إلى خندق باب موسى ليغلق هذا المدخل الخطير المؤدى إلى الربض المحدث ، ثم يأخذ فى الارتفاع فى الشمال الشرقى إلى السطح الجنوبى لجبل لاهم ثم ينحرف إلى الشرق ويتدرج فى الهبوط نحو الجنوب الشرقى إلى ان يصل إلي باب بجانه ، ثم يغير اتجاهه إلى الجنوب ويمضى فى وجهته حتى يقابل الطرف الشرقى من السور القبلي للربض ، وتظهر فى مخطط ١٦٠٣ م آثار جدار يتجاوز نقطة التقاء السور الشرقى للربض بالسور القبلى ويصل إلى البحر (٤) ويعتقد الاستاذ توريس بلباس ان هذا الجدار لا يعدو

(١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩

(٢) المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، ١٩٣ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١١٧ .

(٤) Torres Balbas : Almeria Islamica, p 414.

السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق ، ص ١١٨ .

ان يكون سورا « برانيا » يقطع الطريق الساحلي على من يهاجم المدينه .(١) واغلب الظن ان هذا السور بنى فى عهد خيران العامرى ، استنادا الى قول العذرى : « وبنى خيران الفتى السور الهابط من جبل ليهم الى البحر وجعل له اربعة ابواب (٢) ، وفى موضع آخر « سور ربضها الشرقى (ربض المصلى) واتصل سور الربـض بالمدينه وكان الذى سور الربـض الفتى خيران (٣) . ويذكر الحميرى ذلك في قوله ان ربض المصلى بالمريه عليه « سور تراب بناه خيران العامرى » (٤) .

ولم يتبق من هذه الاسوار جميعا سوى ستارتان يبلغ طولها نحو ٤٤٠ مترا بارتفاع يصـل الي خمسة امتار (٥) ، الأولى ، تمتد من السور الشمالى للقصبة الى مرتفع العرقوب او جبل لاهم ، وتقتصر مهمتها على غلق المدخل المؤدى الى ربض المصلى عـبر خندق باب موسى المسمى اليوم بالاخدود ، وهذا السور اقيم بأكمله من الملاط المعروف فى الأندلس بالطابيه أو التراب (٦) ،

---

(١) Torres Balbàs : Ibid; p. 434,

السيد عبد العزيز سالم . المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) ترصيع الاخبار ، ص ٨٦ .

(٣) نفسه ، ص ٨٦ .

(٤) الروض المعطار ، ص ١٨٤ .

(٥) Torres Balbàs : Op. cit. p. 439;

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٦) الطابيه مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة (الدبش) ، وقد ذكر الملاط فى كتاب ابن القوطيه تحت اسم الآلاته ماله وهى تسميه لاتينيه ، ويعرف هـذا المزيج باسم الملاط ، (راجع ، جومث مورينو . الفن الاسلامي ، ص ٤٩٠) .

كما اقيمت بهذه المسادة الابراج المستطيلة التى تحميه ، وهى ابراج متقاربه قليلة البروز عن مستوى السور ، ولهذا السور ممشى علوى ليس على مستوى واحد وانما يتدرج فى ارتفاعه حسب سطح الارض (١) . اما الستارة الاخرى الباقية فتشتمل على السور القائم على جبل لاهم كله ، وكان يواصل امتداده الى ان يصل قرب باب بجانه ، وتبدأ ابراج هذا السور ببرج اسطوانى يليه برجان نصف دائريين مطولان ثم برج مستطيل اكثر بروزا ، مهمتها حماية البويب المجاور له ويلى هذا البويب برج نصف اسطوانى فاربعة ابراج مستطيلة الشكل تنتهى بها الستارة العليا ، هذا ويلاحظ أن الابراج الاسطوانيه قد بنيت من قطع الحجارة ، وجميع هذه الابراج تحتوى على طوابق علوية ، اما الابراج المستطيلة فمبنية بالطابيه، ويعتقد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان الابراج المستطيلة يرجع تاريخ بناؤها الى عصر خيران العامرى فى حين يعتقد ان الابراج الاسطوانيه بنيت فيما بين منتصف القرن الخامس الهجرى والربع الاخير من القرن التاسع الهجرى ، وان كان سيادته يرجع انتمائها الى عصر المرابطين (٢) .

ويغلب على الظن ان السور الشمالى لربض المصلى ، القائم بأعلى جبل لاهم كان يتقدره « حزام برانى » او سور أمامى تتجلى آثاره فى الخريطة المؤرخة سنة ١٨٥٧ ويؤكد ذلك ماذكره الونسودى بلنسيه من وجود اسوار اماميه بالمرية عندما استولى عليها الملكان الكاثوليكيان (٣) .

---

(١) Torres Balbas : Almeria Islamica, p 434;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٤٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) Torres Balbas : Almeria Islamica, p 439;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ١٤٤ .

٣ ـ القطاع الغربى : اما السور الدائر بربض الحوض فيغلب على الظن انه من بنا خيران العامرى ، وذلك لاتساع مدينة المريه من الجهة الشرقية والغربية فى آن واحد ، فلابد ان يكون الربضان قد احيطا بالاسوار فى وقت واحد [١] ويؤكد ذلك ماذكره العذرى « وكذلك الربض الغربى مسور ايضا قد اتصل سوره بالمدينة » [٢] . والملاحظ ان ربض الحوض كان اقل اتساعا من ربض المصلى ، وذلك يرجع إلى ضيق المساحة الواقعة بين وادى الرمله الغربى والسفوح المنحدرة للجبل المعروف منذ القرن الثامن الهجرى باسم جبل الكنيسه ، ولقد اشار ابن فضل الله العمرى إلى الفارق الكبير فى المساحة بين الربضين [٣] ، وحسب اشارة ابن خاتمه فان ربض المصلى يزيد فى اتساعه عن المدينة وربض الحوض معا [٤] .

وكان السور الغربى يمتد من الطرف الغربى لقلعة القصبه متجها نحو الجنوب متبعا خط سير وادى الرمله (لاشانكا) حتى التقائه بسور المدينة القبلى ، ولم يتبق من هذا السور سوى مطلعه الذى يبدأ من البرج الاسطوانى الكبير القائم فى طرف القصبه الغربى ، وينتهى ببرج مربع الشكل يحتوى على غرفة عليا ، كما تبقت كذلك آثار قليلة من سور لاشانكا وابراجه وقد أقيمت جميعها من الطابيه ، ولا يختلف نظام البناء فيها باية حال عن نظام البناء فى تحصينات القرن الخامس الهجرى [٥] .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
(٢) ترصيع الاخبار : ص ٨٦ .
(٣) وصف افريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، ص ٤٦ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٣ .
(٥) نفس المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

كذلك تبقى من السور الشمالى لربض الحوض برجان كبيران مربعا القاعدة لكنهما مهشمان ، لكل منهما غرفة عليا ، ويبعد الواحد عن الآخر بمسافة عشرين متراً ، وتقتصر مهمتها على الدفاع عن المدخل الشمالى لربض الحوض عبر وادى الرمله ، كما تبقت ايضا من السور الغربى بعض ابراج مربعة الشكل اصغر حجما ، ولكنها متباعدة ومنعزلة بسبب دثور الستائر التى كانت تربطها فيما بينها ، وبناء هذة الأبراج ايضا من الطابيه (١) .

ابواب المدينة : لم تقتصر تحصينات المريه على القصبة والاسوار كوسيلتين من وسائل الدفاع عنها ، وانما تشمل هذه التحصينات ايضا ابواب المدينة التى تلعب دوراً فى احكام غلق حلقة الدفاع إذا ما حاول عدوما اقتحامها . ولذلك اهتم اهل الاندلس بنظام بناء ابواب المدن ، فبجانب دورها الدفاعى ، كانت ايضا منافذ للدخول إلى المدينة والخروج منها . وكانت الابواب غالبا ، تسمى باسماء المدن التى تتجه إليها لتفتح الطريق المباشر بين هذه المدينة والمدينة التى تقابلها (٢) .

ولقد ترتب على ضياع معظم معالم اسوار المريه واختفاء آثارها بما فى ذلك الابواب التى كانت تنفتح فى ستائرها بالاضافة إلى طغيان العمران الحديث على مواضعها القديمة قيام مشكلة تحديد هذه المواضع ، إنه بفضل اسهامات مؤرخى العرب القدامى والمحدثين وما أسفرت عنه اعمال التنقيب الاثرى على ايدى علماء الآثار الاسبان امكن التوصل إلى معرفه اسماء مواضع الأبواب التى كانت تنفتح فى اسوار المريه الاسلامية .

(١) Torres Balqas : Almeria Islamica, p. 430

(٢) ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، مكتبه نهضة مصر ومطبعتها ، ص ٥٢ .

ويجدر بنا القول بهذه المناسبه انه لم يتبق اليوم من هذه الابواب سوى بويب او خوخه مفتوحه فى جبل لاهم بقطاعه الشمالى ، يعلو اسطوانه قبوه حجريه قليلة التكسر ويتوج الباب عتب يعلوه فراغ مستطيل الشكل يرجح انه كان مخصصا للوحته الانشائيه (١) .

وفيما يلى دراسة مقتضبه لهذه الابواب تبدأ فيها بأبواب الربض الشرقى ثم نتطرق إلى ابواب المدينة القديمة لنختتمها بابواب الربض الغربى .

ابواب الربض الشرقي او ربض المصلى :

١ - باب موسى : لانشك فى ان تسمية هذا الباب باسمه المذكور نسبة لأحد اعلام المريه المشهورين ، وكان هذا الباب ينفتح في سور الخندق الموصل بين جبل القصبه وجبل لاهم ، ويذكر ابن الخطيب أنه نفس الباب الذى خرج منه معز الدولة بن صمادح إلى دار الصناعة حيث ابحر فى جفن إلى ثغر الجزائر فراراً من جيش المرابطين المحاصر لمدينة المرية فى ذلك الوقت (٢) . وآثار هذا الباب لا تزال ماثلة فى يومنا هذا ، وان كان قد سد بالطابيه ويكتنفه برجان مربعا الشكل (٣) .

٢ - باب ليهم : نسبة إلى جبل ليهم ، ويقع فى اول السور الهابط من هذا الجبل . وقد ذكره العذرى فى جملة ابواب السور الهابط من جبل ليهم إلى البحر وعدتها اربعة (٤) .

٣ - باب بجانه : وكان هذا الباب يعتبر من الابواب الرئيسية للمريه إذ

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٢٢ .

(٢) اعمال الاعلام : (القسم الخاص بالاندلس) ، ص ١٩٢ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلاميه ، ص ١٢٦ .

(٤) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

كان ينفتح فى اتجاه مدينة بجانه ولذلك سمى باسمها ، وقد سمى هذا الباب فيما بعد باسم برشانه ، وقد اختلط على القشتاليين الأمر عند دخولهم المريه فى سنة ٨٩٥ هـ (١٤٨٩م) فنسبوا هذ الباب إلى برشانه بدلا من بجانه [١] لتقارب الاسمين فى النطق .

٤ - باب المربى : ذكره العذرى [٢] ، ولعل تسميته باسمه ترجع إلى اشرافه على فحص المريه ، وربما كانت هذه المنطقة فى ذلك الوقت تشتهر بتربية الاغنام والمواشى ومن ثم سمى بهذا الاسم .

٥ - باب السودان : يلى باب المربى [٣] جنوبا وقد اورده العذرى فى مؤلفه فى جملة ابواب المريه الاربعة التى تنفتح فى السور الشرقى الممتد من جبل لاهم إلى البحر ، وكان يعرف فى ايامه بباب الاسد .

٦ - باب دار صناعة المريه [٤] : ويقع فى الطرف الجنوبى الشرقى من السور المطل على البحر ، وهو آخر ابواب هذا السور وسمى كذلك نسبة إلى دار الصناعة ولعله كان ينفتح بالقرب منها .

٧ - باب العقاب : وقد ذكره المقرى بقوله : « ومن ابوابها (اى المريه) باب العقاب ، عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب النظر [٥] .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، وبرشانه من امنع حصون المريه واوثقها مكانا ، (الحميرى الروض ، ص ٤١) ، وتقع على وادى يسمى بالمنصورة (ابن الخطيب : مشاهدات ، ص ٣٠ ، مخطوطه ١ ، ص ٨١) .

(٢) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

ونستخلص من ذلك ان باب العقاب انما سمى كذلك بسبب تمثال كلاسيكى ضخم لعقاب كان يعلو الباب ، والعقاب يرمز إلى القوه والبأس ووجوده دليل على مناعة وحصانتها ، وكان تزيين بوابات المدن الاندلسيه بالتماثيل القديمة امراً شائعا فى العصر الاسلامى كما هو الحال فى مدينة الزهراء وقرطبه وبجانه وبلنسيه [١] ، ويرجح الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الباب كان يفتح فى منتصف السور الشرقى لربض المصلى المؤدى الى فحص المريه [٢] واعتقد ان هذا الباب استحدث فى القرن السادس الهجرى بدليل ان العذرى لم يشر اليه على الرغم من اهتمامه الخاص بذكر ابواب السور الشرقى لربض المصلى ، وقد يكون بابا ثانويا ولهذا لم يرد فى جملة الابواب التى ذكرها العذرى .

ابواب المدينة القديمة :

٨ ـ باب البحر : يظهر هذا الباب فى خريطة المريه المؤرخة فى سنة ١٦٠٣ ، وقد سمى كذلك لانفتاحه على البحر (٣) .

٩ ـ باب الزياتين : ينسب هذا الباب فيما يغلب على الظن الى حى الصناع المختصين بعصر الزيوت ، ولعل هذا الحى كان يشغل ركنا بعيداً عن قلب المدينة ، ولكنه قريب من البحر حتى يتيسر شحن الزيت على السفن التجاريه ، وقد ورد ذكر هذا الباب فى ترجمة محمد بن خليد بن محمد التيمى من اهل المريه (٤) .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٢٥ ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ﺟ ١ ، ص ٢٢٦ .

٢ تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٢٥ .

(٣) نفس المرجع ، ١٢٧ .

(٤) ابن الابار : (ابن عبيد الله محمد بن عبد الله) : التكملة لكتاب الصله ، ﺟ ٢ ، مطبعة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٤٩٥ ، ترجمة (١٣٧٠) .

ويرجح الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الباب كان ينفتح فى السور الجنوبى من اسوار المدينة ، او لعله ينفتح بالذات فى السور الجنوبى من المدينة الداخلية فالشأن دائما فى رايه ان تكون معاصر الزيوت قريبة من الميناء حتى يسهل نقل الزيت وتصديره (١) .

ابواب الربض الغربى او ربض الحوض :

باب مقبرة الحوض : لم تمدنا المصادر العربية باية اشارة عن وجود هذا الباب ، كما ان اعمال التنقيب الاثرى لم تسفر حتى الان عن اثار تشير الى وجود ابواب فى هذا الربض ، ولكن جرت العادة فى مدن الاندلس او المدن الاسلامية بوجه عام انه اينا وجدت مقابر خارج السور تفتح بالضرورة ابواب تيسيرا لدفن الموتى ويعتقد الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن السور القبلى لربض الحوض كان ينفتح فيه باب قبلى يؤدى إلى مقبرة الحوض المعروفه بالرابطة (٢) .

الآثار المدنيه :

القصر : كانت القصبه تشتمل بدون ادنى شك على مقر القائم بالدفاع عن المدينة ، فقد كان من الطبيعى ان يكون هذا القصر بداخل قصبتها ، اما مقر الوالى او الحاكم فكان أغلب الاحيان مجاورا للمسجد الجامع كالشأن فى عديد من قصور الاندلس حتى يسهل على الوالى الانتقال من القصر إلى الجامع ايام الجمع والأعياد او فى المناسبات الرسميه ، واما قصر القصبه فكانت له أهمية باعتباره المركز الرئيسى للدفاع عن المدينه وكان يتولاه قائد الحاميه أو صاحب المدينه ويرجع تاريخ انشاء هذا القصر إلى تاريخ انشاء القصبه ، وقد استمر

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ١٢٨ .

ذلك فى عهد الولاه التابعين للخلافة الاموية ، ثم فى عهد خيران وزهير العامريين اما فى عهد بنى صمادح فقد اسس بالاضافة إلى القصرين المذكورين قصر منيف عرف بقصور الصمادحية .

وللاسف لم تمدنا المصادر العربيه بقدر كاف من الاخبار التفصيليه عن هذه القصور ، وكل ماوصل إلينا عنها لايعدو اخبارا قليلة متناثرة هنا وهناك فى بطون المصادر التقليناها من خضم الأحداث السياسيه ، وان كانت اعمال التنقيب التى اجراها بعض المستشرقين الاسبان فى منطقة القصبه وغيرها قد امدتنا ببعض المعلومات التى امكننا بواسطتها تصور ماكانت علية هذه القصور .

ولقد حدد اعمال البحث والتنقيب الموضع الذى كانت تقوم عليه قصور الصمادحية بالمرتفع الاوسط من القصبة ، ولكن الهزات الجيولوجية المتعاقبة تسببت للاسف فى تدمير ماقيم فى هذه المنطقة من منشآت مدنيه فى العصر الاسلامى نذكر منها ثلاث هزات ارضية خطيرة اولها الزلزال الكبير الذى وقع فى سنة ١٤٩٥ م ، وتسبب فى هدم جزء من المدينه الوسطى ، وثانيها زلزال سنة ١٥٢٢ م الذى الحق اضرارا فادحة بمنشآت القصبه ، اما النزر اليسير من المبانى التى قدر لها ان تبقى قائمة بعد هذا الزلزال الاخير فقد طواها المرتفع المذكور فى اعقاب الزلزال الذى حدث عام ١٥٥٠ م(١) . ولم يتبق من اثار هذه المبانى سوى آثار جدران وغرف وحمام وحوض جوفى(٢) .

---

(١) Luis Seco de Lucena : Los palacios del Taifa almeriense Al—Mutasim en (Cuaderno de la Alhambra) ; III; 1967; p. 17.

٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ـ ص ١٣٩

ويبدو قصر القصبه من خلال الآثار الباقيه على شكل شبكه من جدران سميكة مبنيه من ملاط شديد الصلابة وغطيت بعض الاجزاء الدنيا من الجدران بطلاء احمر اللون يميل إلى الصفرة ، كما عثر على جدار آخر تظهر فيه المداميك (صفوف الكتل) الضخمه بخطوط محفورة فى كسوته ، ومجموعه أخرى من من الجدران مشيدة من الحجر تتوزع بينها ممرات تمتد بين غرف مربعة مع بقايا درج ، وكان يقوم فى نهاية الطرف الشمالى من هذا المرتفع الأوسط بناء أشبه مايكون بشرفه تطل على خندق باب موسى ، ويتألف هذا البناء من طابقين ، ويحتوى على عقود ضخمه فى الواجهة احدها على شكل حدوة الفرس ، وتتعاق هذه العقود بقاعات طولها ٩٫٦٥ م وعرضها ٢٫٣٢ م ، لعلها كانت مسقوفة فى كل من الطابقين، وقد بقيت فى الجزء الامامى قاعة اخرى وصل طابقها الاسفل سليما وهى اشبه ماتكون بسرداب يتقدمه مايشبه الرواق ، وتظهر إلى يمين القسم الادنى من البناء قاعدة باب مع عقدين على شكل حدوة الفرس احدهما وراء الآخر بتسنيج كامل وافريز ، نظام البناء فيهما ينتظم على اساس كتل حجريه تتعاقب طولا وعرضا ، قائمة وممتده يبلغ ارتفاعها ٥٠ سم ، ٢٠ سم على التوالى (١) .

وقد كشف البحث الاثرى فى اطلال القصر عن حمام يتكون من خمس

---

(١) جوميث مورينو : الفن الاسلامى ، ص ٣١٨ ، بلاط صلب: مزيج من الجير والرمل وقطع الدبش، والاصلاح بالفرنسية béton وبالاسبانية hormigon (المرجع السابق ص ٤٩٤) ، افريز : الحجاره أو الآجر على مسافات منتظمه داخل افريز زخرق (نفس المرجع السابق ، ص ٤٩٣) ، تسنيج : من سنجه وجمعها سنجات ، والسنجات هى الكتل الحجريه التى يتألف منها العقد المقوس فى البناء ، (راجع السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور بالاندلس — دار المعارف بمصر ١٩٥٨ ، ص ٣٠ ، ١٨) .

غرف تمتد طولا على صف واحد ، ويحتفظ هذا الحمام ببقايا قبوات اسطوانيه وعقود من الآجر (١) .

قصور الصمادحيه :

يشير بعض مؤرخى العرب فى الاندلس إلى القصور الرائعة التى شيدها المعتصم بن صمادح فى المريه عاصمة ملكه يخص بعض الشعراء قصائد فى مدح قصر الصمادحيه ، إلا أن المصادر العربية واعمال التنقيب الأثريه لم تزودنا للاسف بالبيانات التفصيليه التى تعين على تحديد موضع هذه القصور اوتتيح لنا معرفة مجالسها ونظام البناء فيها .

ولقد ورد اسم الصمادحية فى احدى القصائد التى وصفت القصر ، كما زودنا العذرى بتفاصيل دقيقه عن هذا القصر ، ولا نبالغ فى القول إذا اعتبرنا العذرى الاخبارى الوحيد الذى زودنا بتفاصيل هامه عن هذا القصر ، ويضاعف من قيمة وصفه للصمادحيه ان العذرى من أهل المريه وأنه كان معاصرا للمعتصم ابن صمادح ، وقد اتاح له وجوده فى المريه ان يتعرف شخصيا على العمل المعمارى المحقق فى ظل هذا الملك فوصفه يعتمد على المشاهدة والمعاينه ، وهما مقومان اساسيان للتحقيق التاريخى والحضارى ، يقول العذرى فى وصف بساتين الصمادحيه : « فمنها القصر الكبير المتطلع من جوفيه إلى جبل ليهم ، وفى قبليه بستان عظيم جدا فيه جميع الثمار وغريبها مالا يقدر واصف على ان يصفه ، مع طول مساحته قرب عرض القصبة (٢) » . ثم يتطرق إلى وصف مجلسه العظيم ويليه فى قبلته مجلس عظيم مقرنس (٣) ، بالرفوف المزوقه المنقوشة المنزول

---

(٢) جوميث مورينو : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

(١) ترصيع الاخبار ، ٨٥ .

(٢) راجع ماقلنا هنا ص ١٣٣ هـ ١ .

فيها الذهب (١) الطيب مفروش بالرخام الابيض وقد ازر بالرخام المنقوش وفى دلك النقش تاريخ بناءه والذى امر به ، ويليه صحن قبليه ابواب عليها شراجب (٢) يطلع منها ان احب إلي جميع مدينة المريه وإلي بحرها واقبال السفن إلى مرساها وخروجها منه إلى العدوه وسائر البلاد ، وبنى فى شرقها دارا للحكم فيه ، متقن جدا (٣) .

ومنذ عهد قريب قام الاثرى الاسبانى دون فرنشيسكو بريتو مورينو بأعمال تنقيب هامة داخل أسوار قصبة المريه لاسيما فى المرتفع الثانى الذى كان يشتمل على القصور ومقر القائد اذ عثر على اجزاء من الحوائط امكن ارجاعها الى عصر المعتصم ، وخرج بنتيجة مدهشة وهى ان الرخام المنقوش والمصفح بالذهب اللذين زين الصالات الملكية ، والذى عثر عليه ، بالاضافة الى رواية العذرى ، تكفى لاثبات ان التقاليد المعمارى والزخرفة الخلافيه استمرت فى بنيان القصور التى شيدها المعتصم (٤) .

ويأتى المقرى برواية تلقى بعض الضوء عن بناء الصمادحيه ملخصها ان المعتصم عندما شرع فى تشييد هذا القصر قام عماله بانتزاع ملكية بستان لبعض الأيتام ، ولم يفلح احتجاج الوصى على الايتام على هذا الاجراء ، فاضطر الى الكتابه الى المعتصم نفسه ليفصل بينه وبين هؤلاء العمال ، ولم يسع المعتصم الا ان يأمرهم برد البستان الى أصحابه اليتامى ، ولما حاول هؤلاء العمال اقناعه بضرورة ادماج أرض هذا البستان الى مسطح القصر لتوفير نوع من التناسق

---

(١) راجع مافات هناص ١٣٣ ، ه ٢

(٢) راجع مافات هناص ١٣٣ ، ه ٤

(٣) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٤) Luis seco de lucena : Op. cit., p. 18.

على بنيان القصر رد عليهم بقوله « والله ان عيبها فى عين الخالق اقبح من عيبها فى عين المخلوق(١) » ، وقد استطاع وزيره ابن أرقم بعد ذلك شراء هذا البستان بعد أن استلطف الوصى والايتام وكافأهم عليه بما اشتهوا من الثمن، وضمت الى قصر الصمادحيه ، فاستقام بها بناءها (٢) .

ومما يجدر ذكره ان مؤرخى العرب لم يزودونا بتفاصيل عن مجالس الصمادحية ولا حتى عن اسمائها فاستثناء مجلسين كبيرين (٣) ، أحدهما مجلس البهو الذى ذكره كل من الفتح بن خاقان وابن الخطيب ونسباه الى خيران العامرى (٤) ، والمجلس الثانى هو مجلس الحافه ذكره ابن خاقان وأشار الى أنه من بناء المعتصم مع اننا نعرف تماما بأن الصمادحيه من بناء المعتصم ابن صمادح ، لم يوضح ما اذا كان من بين مجالس الصمادحية أو قصر آخر، ويكتفى بأن يشير الى انه ذهب الى مجلس البهو ومجلس الحافة ، فيقول : « فكثيرا ما كان يعمر أندية اللهو ويداولها من مجلس الحافة الى البهو ، كلاهما سرى المنظر خمرى المرمر(٥) ، ونخلص من هذا النص بأن جدران

---

(١) المقرى : نفح الطيب : جـ ٤ ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ : راجع أيضا :

Dozy (R) : Recherches sur L'histoire et la litterature de L'Espagne pandant le moyen age, Vol I, Leyde, 1881; pp. 245 y 246.

(٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٣٩ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٤٨ ، ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٤٥ .

(٥) ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

هذين المجلسين كانت تكسوهما لوحات من المرمر الحمرى اللون .

ويعتقد الاستاذ لويس سيكودى لوثينا ان هذين المجلسين هما نفس المجلسين اللذين ذكرهما العذرى باعتبارهما قسما متمما للقصر الذى شيده المعتصم داخل نطاق القصبة (١) .

وكانت تخترق حديقة القصر جداول وقنوات تنعطف وتتعرج كالحيه النضناض بين أفنية القصر وبساتينه فتزيدها سحرا وتكسبها جمالا ويعبر ابن خاقان عن ذلك بقوله «حضر مجلسه بالصمادحيه فى يوم غيم ، وفيه اعيان الوزراء ونبهاء الشعراء ، فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ، ويتلوى من نواحيه (٢) .

وقد وصلنا وصف أدبى آخر لقصر الصمادحيه لابن الحداد الشاعر ، ولكن هذا الوصف لسوء الحظ لم يصل جميدا بحيث تستطيع ان نستكمل صورته المتكاملة (٣) .

---

(١) Luis seco de lucena, op. cit., p. 19.

(٢) ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٥٠ ، السيد عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص ١٤٠ .

(٣) يصف احدى مجالسه فيقول :

رأس بظهر النون الا أنه	سام ، فقبته بحيث النون
هو جنة الدنيا تبوأ نزلها	ملك تملكه التقى والروح
فكأنها الرحمن عجلها له	ليرى بها قد كان ماسيكون
وكأن بانيه سنمار فى	يعدوه تحسين ولا تحصين
وحزاؤه فيه نقيض جزائه	شتان ما الاحياء والتحيين

(راجع المقري : نفح الطيب ، حـ ٥ ص ٢٤٠) .

ويرى الاستاذ لويس سيكودى لوثينا ان الصمادحيه لم تكن داخل سوو القصبة ولا داخل مدينة المرية ، ويعلل ذلك انها كانت حديقة كبيره احتلت ارض فسيحة تخترقهـا القنوات والجداول التى كان يتغنى بجانبهـا الشعراء والتى وصفها العذرى كشاهد عيان ، ويضيف بأن أعيـان المريه كانوا يمتلكون الضياع الكبيرة والمزارع فى وادى بجانه ويستند فى ذلك الى نص العذرى : « وبنى المعتصم بخـارج مدينـة المريـة بستـانا وقصـورا متقنه البنيان . . . . . » (١)

وكيفما كان الامر ، فيمكننا ان نخرج من النصوص السابقة بحقيقة هامة هى ، ان قصر الصمادحيه كان يتضمن عددا من القصور او المجـالس شأنه فى ذلك مثـل قصر الامارة بقرطبه (٢) وقصر الزهراء (٣) وقصر المبـارك باشبيليه (٤) ، ومن ابرز هذه المجالس المجلسان الكبيران البهو والحاقة اللذان تردد ذكرهما فى الروايات العربية .

بقـايا دار عربى بريض الحوض : عثر منذ مايقرب من ثلاثين عاما على آثار

---

(١) Luis seco de lucena, Op. cit p 0;

وراجع العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافه ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، المساجد والقصور ، ص ٨١ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٨٩ ، المساجد والقصور ، ص ٨١ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : قصور بنى عباد بالرميليه الوارد ذكرها فى شعر ابن زيدون بحث فى ألفية ابن زيدون (تحت الطبع) وله ايضا : العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها ، (عالم الفكـر) المجلد الثامن ، العدد الاول ، ابريل مايو / يونيو ١٩٧٧ ، الكويت ، ص ١٠١ .

لدار فى الريض الغربى من المريه وهو ربض الحوض على مقـربه من طريق لاشانكا ، وقد ثبت من الاثار المكتشفه انهـا لدار على جانب كبير من الثراء الزخرفي [١] ، يتوسطها صحن فى جانبه الشالى تنفتح به ثلاث فتحات الوسطى تزيد فى الاتساع عن الفتحتين الاخريين ، كانت عقوده المنـدثره تقوم على اعمدة مربعة ، ويتوسط الصحن بركة مربعة عمقها ٩٠ سم تتصل بجب عمقه ٣م [٢] ، وتبرز فى أرضية الصحن بقايا جدران مربعة الشكل محددة الهيئه كانت مخصصة لحوض أو فـواره ، وتدور بالصحن قاعات طويلة ضيقـة ، ويبرز فى أحد جوانب القاعة عدد من الاعمده المربعة ، يعتقد الاستاذ توريس بالباس انها ربمـا اقيمت لتسند عقد وتحد قبه [٣] ، وارض القاعات بالدار مبنيه بملاط خلط بالزيت ليكتسب فيما يبدو لمعانا وقوه ، وزادانت أزر الجدران بالقاعة بأشرطة هندسيه منقوشة دهنت باللونين الاسود والادكن فوق ارضية بيضاء ويزدان احد الازر بتوريقات قد دهنت باللون الاصفر [٤] ، وقد استخرجت من ارضيه هذه الدار قطع من الجص بهـا توريق نموذجي [٥] ،

---

١) Torres Balbas (Léopoldo) : Restos de una casa A abe en Almeria, (Al - Andalus) , Vol. X, 1945. pp 170 - 172 .

٢) جوميث مورينو : الفن الاسلامى ، ص ٣٢١ ،

Torres Balbas : OP. cit., pp. 172 - 174 ,

وله ايضـا : الفـن المرابطى والموحدى : ترجمة الدكتور سيـد غازي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ ، ص ٣١ .

٣) الفن المرابطى والموحدى : ص ٣٢

٤) توريس بالباس : الفن المرابطى والموحدى ، ص ٣٣

٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ١٥١ .

تشابه بقدر كبير مع توريقات قبه علي بن يوسف بمراكش ، كما استخرج تاجان صغيران من النوع الكورنثي اوراقها ملساء من نفس طابع بعض تيجان المسجد الجامع بتلمسان (١).

هذا وقد ارجع الاستاذ توريس بالباس تاريخ بناء هذه الدار الى عصر الموحدين (٢) ، ولكن الاستاذ جوميث مورينو يرى انها ترجع الى عصر الطوائف (٣) ، واخيرا خرج الاستاذ توريس بالباس برأى جديد فى تاريخ هذه الدار فأرجعه الى عصر المرابطين (٤) .

وكيفما كان الأمر ، فان تخطيط هذه الدار قد امدنا بصورة تكاد تكون متكاملة عن نماذج الدور العربية فى ذلك العصر الاسلامى .

الاثار الدينيـة :

المسجد الجـامع بالمريه : يصف الرحالة الالمانى منتزر المسجد الجامع بالمرية بعد سقوط المدينة فى ايدى الملكين الكاثوليكيين بخمس سنوات ، وكان قد تحول الى كنيسة ، انه من اجمل مساجد مملكة غرناطه وأبدعها ، وكانت مئات الثريات تضىء فى بيت صلاته ، وكان مفروشا بلوحات الرخام ويتوسطه حوض للوضوء ، كما يحدثنا أنه زار خزانة الجامع حيث كان يحفظ زيت الوقود للكئوس والثريات (٥) ، كما يذكر منتزر ان جـامع المرية كان

---

١) السيد عبد العزيز سالم . نقس المرسم والمصنعه . وانظر له ايضا : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ .

٢) Torres Balbas : Restos de una casa Arabe p. 175.

٣) جوميث مورنينو : الفن الاسلامى ، ص ٢٠٠ .

٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية : ص ١٠٠ .

٥) Munzer : Viaje por Espana y Portugal, trad esp por Lopez Toro, Madrid, 1951, pp. 30-31.

عن السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٥٠ .

مفروشا بأشجار الليمون والنارنج (١) .

وفى الربع الاول من القرن السادس عشر تعرض بنيان الجامع للتدمير والتخريب، عقب زلزال وقع فى٢٢ سبتمبرسنة ١٥٢٢، وقدمهد ذلك لتحويل الجامع الى كنيسة ، ففى سنة ١٥٦٠ م تقريبا انشأت الكنيسة الاولى المسماه دى سان خوان ، ولم تلبث هى الاخرى ان اصيبت عمارتها باضرار فادحة فى بداية القرن السابع عشر ، وفى بدايه القرن التاسع عشر الميلادى تحول البناء على التوالى الى سجن ثم مستودع للمدفعيه ، ثم حول الى كنيسه من جديد فى سنه ١٨٧٨ ، بعد ان سلم نهائيا الى جماعه الاباء الفرنسيسكان (٢) ، فحفظوا بقايا الجامع والكنيسه حتى اليوم (٣) .

وآثار هذا المسجد مازالت تحتفظ بها اليوم كنيسة سان خوان الواقعة قريبا من دار الصناعة (٤) ، فلقد اجرى الاستاد توريس بلباس حفريات اثرية فى هذه المنطقة خلال الاعوام ٣٤ / ١٩٣٦ كشف فيها عن جزء من جامع المرية ورمم المحراب ، ولم يتمكن من اصدار نتائج هذه الاعمال حتى سنة ١٩٥٣ ، ولقد تعرضت اجزاء من كنيسة سان خوان عام ١٩٣٨ للغارات الجوية تسببت فى سقوط بعض الزخارف الجصية ، وقد اتاح ذلك الفرصة

---

١) السيد عبد العزيز سالم ، العمارة الاسلامية فى الاندلس وتطورها . (عالم الفكر) المجلد الثامن ، العدد الاول ، ص ٩٣ .

٢) Ewert (Christian) : El mihrab de la mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus), XXXVI, 1971, pp. 401-402.

٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٠٠ .

٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

للتفكير فى ملاحظات جديدة (١) .

ويرجع الاستاذ توريس بالباس التاريخ التأسيسى لهذا الجامع الى اواخر القرن العاشر الميلادى ، اى ينسب بنيانة الى عهد الخليفه الحكم المستنصر(٢) ، بينما يعتقـد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنه أقيم فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر إستنادا الى أنه لايجوز أن تقام مدينة دون أن يؤسس بها مسجد جامع لفترة طويلة من الزمان (٣) .

واياما كان تاريخ بنيان الجامع فقد زيد فى بيت الصلاة اكثر من مرة خلال القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، ويحدثنا العذرى عن مرحلتين متتاليتين للبناء ، إحداهما فى سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) فى عهد خيران العامرى ، وذلك عندما امر بزيادة بيت الصلاة من جهة القبلة ، فيقول : « وزاد (اى خيران) فى قبلة جامع المريه سنه عشر وأربعمائة زيادة جميلة اتسع بها جامع المريه » (٤) ، والمرحلة الثانيه فى عهد زهير العـاميرى الذى وسع الجامع من جهاته الشرقيه والغربيه والشماليه ، وفى ذلك يقول العذرى : « بنى وزاد فى جامع المريه من غربيه وشرقيه وجوفيه بلاطا من كل ناحيه ، وعظم المسجد » (٥) .

١) Ewe t (Christian) : El mihrab de là, mezquita mayor de Almeria, pp 392-293.

٢) Torres Balbas (L) ; La mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus) , Vol. XVIII, 1953, p. 429.

٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

٤) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

٥) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

وتتفق تفاصيل هذه الزيادة المنسوبه الى زهير فى روايه العذرى مع روايه ابن الخطيب التى تشير الى ان الزيادة تمت من ثلاث جهات ، وتؤكد فى نفس الوقت على ان القبلة لم تتغير من مكانها ([١]) .

ولقد تمكن العالم الاثرى الاستاذ توريس بلباس من التوصل الى تحديد احدى الزيادتين وذلك خلال الابحاث الاثرية التى اجريت فى المنطقة الجنوبية من الجامع ، فقد لاحظ سيادته ان اسس الجدران الممتدة نحو جدار القبله بامتداد صفوف الاعمدة تميل بعض الشىء عن صفوف الاعمدة القائمة ، كما لاحظ انها اقيمت من الطابية ، وتشير هذه الصفوف الى ان الامر يتعلق ببناء يتكون من سبعه بلاطات ، كذلك تمكن توريس بلباس ان يميز بوضوح فى الجانب الغربى من جهة الاروقة الخمسة بلاطا جانبيا اكثر تطرفا من المعتقد انه كان يقابله فى الجانب الاخر بلاط مماثل يتجاور فى اتساعه البلاط الاوسط الذى كان اكثر بلاطات الجامع الاول اتساعا ، كما امكنه العثور فى الزاوية الجنوبية الغربية من جهة الاروقة الخمسة على اسس البلاط المتطرف الغربى الذى ينتهى القطاع المدعم لزاوية القبله ، وكانت الاسس الظاهرية للبلاط المتطرف تدعم الجدران الخارجية وهناك ظهرت اثار مداخل جانبية للمسجد ، وهكذا نستدل من روايه العذرى ان اتساع بيت الصلاة تغير مرتين فى مدة اقل من عشرين سنة ، وليس ذلك بغريب على مدينة اتسم عمرانها منذ البدايه بالنمو السريع سيما فى اعقاب انهيار الخلافة الاموية بقرطبه ([٢]) .

وبالاضافة الى كل ماسبق ان ذكرناه عثر الاستاذ توريس بلباس فى

---

١) يقول ابن الخطيب : «وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث ، وبقى القبله ،
(اعمال الاعلام ، القسم الخاص بالاندلس

حفرياته على مجموعة مـن القطـع الزخرفية المفرغة فى الجص تـــبرز فى تكويناتها الزخرفية الورقة المصبعه ، وهـــو أسلوب زخرفى من الأساليب الشائعة في القرن الخـامس الهجرى أو النصف الأول من القـرن السادس الهجرى (١) ، فى حين يرجعة الاستاذ جوميت موريذو الى الفترة الزمنية التى سبقت الغزو المرابطى مباشرة (٢) ويرى الاستاذ كريستـال ايوارت ان هذه المرحلة الزخرفية التى تبـدو لاول وهلة غير متفقه مـع أى جزء من الاجزاء النباتيه التى كشف عنها البحث الاثرى ترجع الى ايام المعتصم محمد بن صمادح آخر ملوك الطوائف فى المرية من ٤٤٣ - ٤٨٤ هـ ، (١٠٥١ - ١٠٩١م)، وهو الذى شيد قصرا عظيما بالصمادحية وأجرى المياه الى المسجد الجامع(٣)

الاجزاء الباقية من الجامع : يشغل اسطوان المحراب بالمسجد الجامع بالمرية وهو محراب يميل بزاويه قدرها ١٥ درجه نحو الشرق بمعنى ان محرابه مشرق تشريقا خفيفا (٤) اربع اساطين من خرائب الكنيسه التى تتكأ دعائمهـا الضخمه من القرن السابع عشر على البناء الاسلامى ، ويمكننا ان نشاهد اليوم بوضوح جزءا من الجدار الخارجى الشرقى لبيت الصلاة حتى ارتفاع ٤٠ ر ٥ سم فوق مستوى ارضية المحراب وذلك داخل نطاق الاسطوان

---

١) Torres Balbas : Op. cit., pp. 420-422.

٢) جوميت مورينو ، الفن الاسلامى ، ص ٣١٩ .

٣) Ewert (Christian) : Op. cit., p. 400.

٤) كذلك كانت القبلة مشرقة فى كل مـن جـامعى القيروان وقرطبـه الاول ، (راجع ، احمد فكرى : المسجد الجامع بالقيروان ، مطبعة المعارف، مصـر ، ١٩٣٦ ، ص ١٠٤ ، السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٣٦١).

المتطرف من الكنيسه المذكورة [١] .

وقد تمكن الاستاذ توريس بالباس من التعرف على فتحه باب على كل من جانبى المحراب فى جدار القبله الذى مازال يحتفظ بصورته اليوم [٢] . كان ينفتح على بعد ٢٫٩٠ سم من طرة المحراب الغربى باب سعته ١٫٠٥ سم ، لم يتبق منه اليوم سوى النطاق العلوى لفتحته القديمه ، اما الطرف الادنى من عتب الباب الخشبى فيوجد على ارتفاع ٣٫٩١٥ سم فوق ارضية المحراب الحاليه ، ولا نشك فى أنه فى العصر الذى كان يستخدم فيه البناء كاتدرائيه كان الباب المذكور ينفتح نحو الشرق ، ثم اقيم فى فتحته عتب حجرى قطاعه قوطى متأخر ، والفتحه العليا تشير إلى ان الفتحه الاصليه كانت تؤدى مهمتها كمخزن للمنبر المتحرك الذى كان طرازه يماثل الطراز المعمارى الموجود فى جامع قرطبه [٣] . وإلى الجهة الشرقية من المحراب كان ينفتح باب آخر اتساعه ١٫٣٤ مترا اغلق فى القرن السابع عشر [٤] .

أما عن مئذنة الجامع فلم تكشف الابحاث الاثرية بعد عن أساسها ، ويعتقد الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها كانت تقوم فى جوف الجامع فى منتصف المجنبه الشمالية التى أقامها زهير العامرى عند زيادته للجامع من جهاته الثلاث [٥] .

---

١) Ewert, Op. cit., p. 403.

٢) Torres Balbas, Op. cit., pp. 418-420.

٣) Ewert : Op. cit , p. 404.

٤) Ibid., p. 404; وراجع ايضا : Torres Balbas ; Op. cit., p. 420,

٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص ١٤٩ .

المساجد الاخرى بالمريه : لم يصلنـا من اسماء هذه المساجد غـير ثلاث ذكرتها كتب التراجم هي : مسجد الليبيس ، وصاحبه عبد الرحمن بن أبي زجا البلوى ، ويقـع في ربض الحوض (١) ، ومسجد حبونه (٢) ، ومسجد طرفة (٣) .

المقـابر : تشير المصادر العربية إلى وجود مقبرتين كبيرتين خارج أسوار ربض المريه بالقرب من الطرق المؤدية إلى الابواب الرئيسية للمدينة، الاولى مقبرة باب بجانه من ظاهر المريه (٤) ، والثانية مقـبرة الربض أو الحوض بالمريه (٥) .

فأما المقبرة الاولى ، وهي مقبرة باب بجانه ، فكانت تقع خارج باب بجانه أحد أبواب الربض الشرقي المعروف بالمصلى ، وقد أقيمت هذه المقبرة

---

١) ابن الابار : التكمله ، ص ٤٦٣ ، سالم ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .
٢) ابن الابار : التكملة ، حـ ١ ، ص ٢٥٧ ، سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .
٣) ابن بشكوال : الصله ، ص ١٠٣ ، سالم المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

٤) ابن بشكوال (ابى القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصله ، حـ ٢ ، الدار المصرية للتأليف والترجمه ، ١٩٦٦ ، ض ٤٢٧ ، راجع ايضا ، ابن الابار : التكملة لكتاب الصله ، ج ١ ، ص ٨٤ ، المعجم في اصحاب القاضي الامام ابى على الصدفى ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤٢ ، ابن الخطيب : الاحاطه ج ١ ، ص ٢٠٩ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

٥) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، صد ٦٢ ، حـ ٢ ، صد ٤٤٣ ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، حـ ١ ، صـ ١٩٢ ، ابن الابار : التكمله ، حـ ١ ، صد ٤١ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، صد ١٢٩ .

فى عهد خيران العامرى بعد قيام هذا الربض ، وتعتبر مقبرة باب بجانه المقبرة الرئيسية بالمرية ، وفيها دفن عدد كبير من اعيان المدينة (١)

وأمـا المقبرة الثانية ، فهى مقبرة الربض أو الحوض وتقع فى السهل الممتد ما بين السور القبلى لربض الحوض والساحل ، وهذه المنطقة تعرف اليوم باسم llano del cordonero (سهل الحبال) ، ولقد عثر فيها على شواهد كثيرة تحمل كلها كتابات عربية تتعلق بمسلمين دفنوا بها ، ويحتفظ بالمتحف الاهلى للاثار بمدريد باحد هذه الشواهد ، نقشت عليه كتابة بالخط الكوفى نصها :

« بسمله .. تصليه .. يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر اسماعيل .. » (٢) .

ومن كبار الشخصيات التى دفنت فى هذه المقبرة الكاتب ابو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) (٣) .

---

١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٤٢٧ ، صـ ٥٥٨ ، ابن الابار : المعجم ص ١٤٢ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

٢) Levi-provençal E) : Inscription Arabes D'Espagne, f. I, Leyde, paris - Mc MXXXI, 1931, p, 130,

٣) ابن بشكوال : الصلة ، حـ ١ ، ص ٦٦ — ٦٧ (ترجمة ١٤١) ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق و ص ١٣١ .

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

أولا : الزراعة والحاصلات الزراعية للاقليم

كان لطبيعة سطح المرية الصخرى بجبليها (1) ، وطبيعة مناخها الذى يتميز بالجفاف وشدة الحرارة مع ندرة الامطار التى قلما تسقط عليها (2) ، أثر كبير فى قلة انتاجها الزراعى (3) .

وعلى الرغم من جفاف المريه وقلة خيراتها ، فقد كان بظاهرها مواضع كثيرة اختصت بمميزات طبيعية ومناخية أتاحت لها امكانية الزراعة ، ومن ثم كانت بمثابة مزارع خاصة تمير منها المرية بما يلزمها من انتاج زراعى .

ومن بين هذه المواضع وادى المريه الغنى بغروسه ومزروعاته وفيه يقول الادريسي : « وكان بها (أى المريه) من فواكه واديها الشىء الكثير الرخيص ، وهذا الوادى المنسوب إلى بجانه بينه وبين المريه اربع اميال وحوله جنات وبساتين وارحاء وجميع نعمها وفواكهها تجلب إلى المريه » (4) ،

---

1) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٤ .

2) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٨٣ .

3) ولعل ذلك كان سببا فى ان بعض الشعراء كان يتندر بذلك فى قوله :

قالوا المريه صفها ... فقلت نطع وشيح

وقيل فيها معاش ... فقلت ان هبت ريح

(الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٣) .

4) الادريسى : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٩٧ .

ويصف الشقندى وادى المريه بقوله : « واديها المعروف بوادى بجانه من أفرج الاودية ، ضفتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر » (١) . وصف المقرى هذا الوادى نقلا عن أبى جعفر بن خاتمه فيقول : « ووادى المرية طوله أربعون ميلا فى مثلها كلها بساتين بهجه وجنات نضره وانهار مطرده، وطيور مغرده » (٢) .

ويزودنا ابن الخطيب فى القرن الثامن الهجرى بوصف رائع لوادى المريه فى إحدى مشاهداته فيقول : « واستقبلنا وادى بجانه وما ادراك ماهو ، النهر السيال والغيض المياد والافياء والظلال ، المسك مافت فى جنباته ، والسندس ماحاكته يد جناته ، نعمه واسعه ومساجده جامعه ، ازرت بالغوطتين زياتينه واعنابه ، وسخرت بوان شعابه ، بحيث لاتبدو للشمس آيات ، ولا تتأتى للحرباء حيات ، والريح تلوى اعطاف غصون البان ارداف الكثبان ، وتجاذب عرايس الخمائل »(٣) .

وإلى جانب حاصلات وادى المريه ، كانت برجه ودلايه (من أعمال المريه) ايضا تزودان المريه بحاجتها الزراعية ، ويصف المقرى برجه بقوله : « ومدينة برجه .... وهي على واد مبهج يعرف بوادى عذراء ، وهو محدق بالازهار والاشجار ، وتسمى برجه بهجه لبهجه منظرها » (٤) . وكان من

---

١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٦ .

٢) نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ، انظر ايضا ، شكيب ارسلان : الحلل السندسية فى الاخبار والاثار الاندلسية ، الطبعة الاولى ، مطبعة الرحمانيه ، ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ، ص ٢٠٣ .

٣) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٤٧ .

٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص١٤٣ ، ١٤٤ ، وفى برجه يقول ابوالفضل —

انتاجها الزراعى الفواكة الكثيرة (١) .

أما دلاية ، فلقد اشتهرت بعود الالنجوج الذى «لا يفوقه العود الهندى ذكاء وعطر رائحه ، وقد سيق منه إلى خيران الصقلبى صاحب المريه ، وان اصل منبته كان بين احجار هنالك » (٢) .

وبالاضافة إلى المواضع السابقه كان يكثر التوت (٣) بحصن شنش . على مرحلة من المريه ، ويعرف واديها بوادى طبرنش (٤) ، وكان هذا الوادى

= بن شرف القيروانى :

رياض تعشقها سندس ... توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدى ربا ... لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة ... وكل طريق اليها سقر

وفيها أيضا قوله :

حط الرحال برجة ... وارتد لنفسك بهجه
فى قلعة كسلاح ... ودوحة مثل لجه
فحصنها لك امن ... وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها ... كمرة وهى حجة

(المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤٢) .

١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٢٨ .

٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٧ ، وعود الالنجوج عود يتبخر به ، (نفس المصدر والجزء والصفحة ، هـ ٣) .

٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٢٥ .

٤) المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٥٥ .

مشهورا بزيتونه ، وفيه كان يعصر ويستخرج الزيت [١] .

كما اشتهرت ايضا مدينة اندرش - من أعمال المريه - بزراعة الكتان [٢] ، وكان يزرع فى قرية شلوبين - التى تلى المريه - من جهة المغرب - قصب السكر والموز والقسطل [٣] ، وغيرها من المحاصيل .

ومن كل ما تقدم يتبين لنا ان مدينة المرية كانت تعيش على خيرات ماحوالها من مدن وقرى .

وإلى جانب ما كان يغله وادى المريه والقرى التابعة لها من المحاصيل المختلفة ، كانت تضم منيات ومنتزهات وبساتين كثيرة يلوذ بها الناس فى أوقات القيظ حيث ينعمون بالهدوء والراحة بعيدا عن متاعب المدينة ، فلقد كان للعرب سواء فى الشرق أو فى الغرب فلسفة خاصة فى بساتينهم ، هى التى اعطت لتلك البساتين طابعها المميز [٤] .

---

١) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٨٤ .

٢) وفيها يقول ابو الحجاج بن عتبه الاشبيلى الطبيب الاديب الشاعر :

لله اندرش ، لقد حازت على	حسن تتيه به على البلدان
النهر منساب سرت خلجانه	فى الارض بين ازاهر الكتان
فكانها انسابت هناك اراقم	قد عدن راجعة عن الثعبان

(راجع الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣١ ، ٣٢ ، وانظر ايضا ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٦) .

٣) ابن فضل الله العمرى : وصف افريقية ، صـ ٤٦ ، وأيضا هـ ١ نفس المصدر ، الحميرى : المصدر السابق ، صـ ١١١ .

٤) جيمس ديكى : ملاحظات عن فلاحه البستان العربى فى الاندلس « تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٦٦ » ، صـ ٣٠١ .

هذا ولقد كان البستان العربي يحـاط بسور عال ، ويزرع خضرة تغطى جدرانه ويجعل فى البستان اشباه الغرف والاسوار كلها من النبات الاخضر ، ذلك لـكى لا يقع بصر الناس إلا على الخضرة والزهـور فتأنس انفسهم ، بل لقد بلغ من ايمان العرب بهدوء البساتين وانعزالها عما حولهم ، انهم كانوا يسمون القبر بالروضة لأنه يماثلها فى الوحدة ، بل لقد ارتبط تخطيط البستان بفكرة دينيه ، فالى جانب كونها مكانا للاعتزال والتأمل والاستمتاع بالحياة ، نظر اليها على انها قطعة من الاخره أى الفردوس ، فقد أنشأوها على هيئة دائرة فى وسطها بركة ، وترمز الدائرة إلى الارض وإلى قبـة السماء ، كما ترمز البركة التى فى وسطها بمائها إلى اللانهاية (١) .

وكان الطريق المؤدى إلى مدخل البستان يزرع باشجار السنديان العالية كما كان التخطيط الداخلى للبستان يشمل خمائل وأبواب وممرات اكتست جميعها بالخضرة ، ومن نبات الريحان ذى الرائحـة العطرة القوية ، كما كانت تزرع احواض الزهر بين الخمائل فى مساحات صغيرة ، وأن دل ذلك على شىء فانما يدل على مدى علم الاندلسيين ومعرفتهم الدقيقة بأنواع مختلفة ومتعدده من الزهور ، فلقد اهتم مسلموا الاندلس بالزهور واحبوها لاسيما الورد ، اما بقية الزهـور التى كانت لديهم فكان منها الآسى والافحـوان والياسمين الابيض والترياق وهو الياسمين الاصفر والبنفسج والخيرى او النمام وكذلك السوسن كما عرفوا زهور الاشجار مثل نور الكتاب ونور اللوز ونور الرمان وكلها زهور جميله تتجلى فتنتها على اشجارها (٢) .

ومن أمثلة هـذه المنيات والمتنزهات والبساتين برجـه ودلايه التى كان

---

١) جيمس ديكى : المرجع السابق ، ص ١٣ .

٢) نفس المرجع ، ص ١٤ .

يقصدها المعتصم بن صمادح ويقيم فيها بعض الوقت ، يتمتع بمناظر الخضرة الرائعة فيها وانسياب المياه خلالها ، وينعم بالهدوء السائد فيها ، ويعبر عن هذا ابن خاقان قائلا : « وهما منظران لم يجل في مثلها ناظر ، ولم تدع حسنها الخدود النواضر ، غصونه تثنيها الرياح ومياه لها انسياح ، وحدائق تهدى الأرج والصرف ، ومنازل تبهج النفس ، وتمتع الطرف فأقام فيها أياما يتدرج في مسارحها ، ويتصرف في منازهها ومسايحها ، وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة ، وأنافت عليها اى انافة [1] .

ويمدنا العذرى بوصف رائع لبستان الصمادحيه فيقول : « وبنى (اى المعتصم) بخارج مدينة المريه بستانا وقصورا متقنة البنيان غريبة الصناعة وجلب إليها من جميع الثمار الغريبة وغيرها ، ففيها من كل شىء غريب مثل الموز الكثير وقصب السكر وأنواع سائر الثمرات مما لايقدر علي صنعته ، وفى وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس منتحه مفروشة بالرخام الابيض ، ويسمى ذلك البستان بالصمادحيه وهو قريب من المدينة جدا وقد اتصل به بساتين كثيرة تقترب من صفتها ، فيها متنزهات لايعلم مثلها فى جميع المتنزهات [2] » .

وإلى جانب هذه المنيات والمتنزهات ، كان هناك متنزهات اخرى حول المريه منها دوح البان ، وهو موضع به بانه غناء و روضة غناء [3] ، ومنها

---

١) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، صـ ٢ ، المقـرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، صـ ١٨٧ .

٢) العذرى : ترصيع الاخبار ، صـ ٨٥

٣) وفى هذه البقعه يقول ابن الحداد

وان تسعدا من أسلم الصبر حلمه   يعرس بدوح البان من دوحاتها =

وادى لبينى [١] ، ومنها موضعان يعرفان بالأريطى والدويحات [٢] ، ومن متفرجاتها منى عبدوس ومنى غسان والنجاد وبركة الصفر وعين النطية [٣] .

وكان يطيب للمعتصم أن يقضى بعض الوقت فى هذه البساتين بين الخضرة والماء فى الأيام الشديدة الحرارة ، ذلك ليتلطف بنسيم هوائها ، ويذكر المقرى ان المعتصم خرج يوما إلى بعض متنزهاته ، « فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج ، وتنفست عن مسكها الاريج ، وماست معاطف أغصانها ، وتكللت بلؤلؤة الطل أجياد قضبانها [٤] » .

كذلك كان أعيان المريه يمتلكون البساتين والمتنزهات في وادى بجانه وكانوا يقصدونها للنزهة ، وطلب الراحة والهدوء بعيدا عن ضوضاء المدينة [٥]

= فبنانها الغيناء مأ اف بانه جنيت الغرام البرح من ثمراتها
وروضتها الغناء مسرح روضة تتبختر فى الموشى من حبراتها
(انظر ابن بسام : الذخيره ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٢١) .

١) ابن بسام : الذخيره ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢١٨ ، وفيه يقول ابن الحداد ايضا :
رويدا فذا وادى لبينى وانه لورد لبناتى وانى لظامى
(فى ابن بسام : المصدر السابق والصفحه) ، ويرى الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان لبيني اعله جدول متفرع من وادى بجانه (تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص ١٣٤) .

٢) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

٤) المقرى : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٠٤ .

٥) Luis Seco de lucena : Op. cit., p. 20.

ويذكر المقرى ان الوزير أبا جعفر احمد بن عباس، وزهير الصقلى كان لكل منهما برج بنواحى المريه ايخلو فيه لنفسه . (١)

ومما لاشك فيه ان هذه المنيات والبساتين كانت تتيح لبعض أعيان المريه المتعة والانس ، وكثيرا ماكانوا يعقدون فيها مجالس الشراب والطرب ، فيقضون ساعات اثناء الليل يستروحون نسمات البساتين بين الادواح العطرة والازهار العبقه ينتشون سماعا لأصوات المغنيات في كؤوس النبيذ (٢) .

ثانيا : الفنون الصناعية

على الرغم من التفتت السياسى الذى طرأ على الاندلس فى عصر ملوك الطوائف بسبب انهيار السلطة المركزيه وانتزاء المنتزين فى كل انحاء البلاد ، فان الاندلس لم تشهد تألقا حضاريا كما شهدته فى هذا العصر الذى يموج بالفتن ، وقد أجمع مؤرخو الاندلس على ان هذا العصر يعتبر حضاريا

---

١) المقرى : نفح الطيب [illegible] ، ص [illegible] [illegible] فان أحد الادباء كتب على جداره :

خلوت بالبرج فما الذى تصنه فيه يا سخيف الزمان

فلما شاهد الوزير أبا جعفر بن عباس هذه الكتابة أمر أن يكتب تحتها :

أصنع فيه كل ما أشتهى وحاسدى خارجه فى هوان

(المقرى : نفس المصدر والجزء والصفحة) .

٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافه فى الاندلس ، ﺣ ٢ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، وله ايضا : صور من المجتمع الاندلسى فى عصر الخلافه الاموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة فى علب العاج ، ص ٣ .

من أزهى عصور الاندلس ، فقد كان كل ملك من ملوك الطوائف يبذل قصارى جهده لاحاطة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة تشبها بما كان يفعله خلفاء قرطبه ، فتلقبوا بألقاب الخلافة ، واتخذوا الوزراء والكتاب ، واقتنوا المغنيين والمغنيات واجتذبوا الادباء والشعراء بالأموال والعطايا ، واتخذوا من قرطبه حاضرة الخلافة الاموية بالاندلس انموذجا احتذوه في حواضرهم حتى لقد تعددت أشباه قرطبه في نواحى الانداس .

ومن الجدير بالذكر أنه ترتب على ذلك ان تقدمت الفنون والصناعات تقدما مالم تشهده البلاد من قبل وأخذت كل حاضره تنافس غيرها فى مضمار التقدم الفنى ، ودخل الملوك اطرافا فى هذا التنافس بالاموال والهدايا ، وهكذا شمل التقدم كل منـاحى الحياة أدبيه وماديه ، ونالت المريه زمن الطوائف نصيبا كبيرا من هذا التقدم الحضارى بفضل تشجيع ملوكهـا ، فتقدمت فيها الصناعات ، وحظيت بعض هذه الحرف قدرا كبيرا من الرقى كصناعة النسيج والرخام وغيرها تجاوزت شهرتها الآفاق فى الشرق وفى الغرب .

صناعة النسيج :.

تعتبر صناعة المنسوجات الحريريه فى المريه اكثر منتجاتها الصناعيه شهرة فى العالم الوسيط ، وقد انتقلت اليها هذه الصناعة من بجانة ، التى كانت أعظم مراكز هذه الصناعة في القرنين الثالث والرابع الهجرى ، اذ كان دور الطرز بها تضم عددا كبيرا من الأنوال المتخصصه فى نسج الحرير(١) ، هذا الى كثير من الصناع المهرة ، لا أن تمصير المريه واتساع العمران بها جاء على حساب عمران بجانه ، والناس سراع الى الجديد ، فلم تلبث المريه أن اجتذبت معظم سكان بجانه وانتجوها من كل أوب وترتب على هـذا ان انحسر

١) الحميرى : الروض المعطار ، صـ ٣٨ .

عمران بجانه وتأخرت صناعاتها بعد أن انتقل المدربون أهلها فى هذه الفنون الى المريه فيا يقرب من سنة اثنين وأربعمائة (١) .

وبهذه المسبه يجد بنا أن نشير الى طريقة انتشار صناعة الحرير التى اختصت بها الصين منذ أقدم العصور أو - كما تقول الاسطوره الصينيه - منذ خمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد ، وتسوق لنا هذه الاسطورة قصة مؤداها أن أميرة صينيه تدعى (سى لنى تشى) استلفت نظرهـا ذات يوم ديدان صغيره كانت تعيش على أرراق شجرة التوت فراقبتها ولاحظت سلوكها ، وخرجت من هذه الملاحظه الى طريقة تربية هده الديدان والى طريقة استخراج الخيوط من شرانقها ، وقد كوفئت هذه الأميرة بأن رفعوها الى مصاف الآلهة ، وكيفما كان الامر ، فقـد حافظ الصينيون على سـر انتاج الحرير بعد أن اتقنو طريقة استخراجه ، وكتموا سر اكتشافه ، لكن تشاء الظروف أن تزوجت أميره صينيه من حاكم احدى المدن الايرانيه ، وعند انتقالها الى مقرزوجها خبأت فى ثنايا شعرها بويضات دودة القز ، وفى ايران فقست هذه البويضات وتوالدت وانتشرت ، وهكذا انتشرت صناعة الحرير من الصين فى بلاد الفرس ومن فارس انتقلت سريعا إلى بيزنطه ، وبـذلك لم يعد انتاج الحرير ونسجه سرا (٢) ، ثم انتقلت هذه الصناعة الى اسبانيا عن طريق جماعات من اللاجئين الاغريق ونمت وتقدمت تقدما كبيرا فى العصر

---

١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٢ .

٢) مرزوق : الفن الاسلامى ، ص ١٢٤ ، وهناك رواية أخرى تشير الى أن راهبين يونانيين تمكنا من اخفاء بضع شرانق من دودة القز فى عكازيهما عند خروجهما من الصين وذلك فى عهد جستنيان ثم نشرا سر صناعة الحرير الصينى فى بيزنطة .

الاسلامى (١) ، واعتقد أن العلاقات الودية بين بيزنطه وقرطبه كان لها أعظم الأثر فى رواج هذه الصناعة وغيرها من الصناعات (٢) فى الاندلس.

هذا ولقد حظيت صناعة الحرير فى الاندلس بمكانة كبيرة وخاصة فى قرطبه ، التى شغلت المركز الاول فى هذا المجال بالاضافة الى صناعه الديباج والموشى ، وكانت تعتقد فى صناعته على مدينة جيان التى توفرت فى قراها كل مقومات هذه الصناعة استنادا الى الادريسى فى قولة : « ولها (أى جيان) زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير (٣) » .

وفى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أخذت المرية تتبوأ شيئا فشيئا المركز الرئيسى لهذه الصناعة ، ولم تلبث أن حلت محل قرطبه ويشير ياقوت الى ذلك بقولة : « يعمل بها الموشى والديباج فيجاد عمله ، وكانت اولا تعمل بقرطبه ثم غلبت عليها المرية ، فلم يثقف فى الاندلس من يجيد عمل الديباج اجادة اهل المرية (٤) » .

نخلص مما تقدم بأن قرطبه كانت تحتل مركز الصدارة فى صناعة الحرير والموشى فى الاندلس ، وهى صناعة كانت تشتهر بها بجانه كذلك ، ولكن منذ اوائل القرن الخامس الهجرى ، احتلت المريه مكان بجانه فى هذه الصناعة وورثت ايضا قرطبه فى صناعة الموشى والديباج .

---

١) Heyd (W.) : Histoire du commerce du levant du Moyen - Age, t. II, Leipzig, 1886, p. 694 .

٢) كصناعة الفصوص (الفسيفساء) وصناعة النسيج المعروف بالسقلاطون وصناعة الاحواض الرخامية المنقوشة بالصور الحيوانيه ، وصناعة علب العاج ..

٣) الادريسى : صفة المغرب ، ص ٢٠١ .

٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

وعن حذق وتفوق أهل المريه فى هذه الصناعة يقول الرازى : « المريه مفتاح الرزق والكسب ، وموطن الحذاق من أصحاب الصناعات ، وفيها يصنع الحلل الموشيه النفيسه [1] » .

وأما عن طرز الحرير أو الأنوال وأنواع المنسوجات الحريريه بالمرية، فيشير الادريسى الى أنها بلغت فيها خلال الربع الاخير من القرن الخامس الهجرى ثمانمائة نول ، وشملت أنواع المنسوجات الحريريه ، الحلل والديباج ، والسقلاطون والاصبهانى والجرجانى ، والستوروالمكلله، والثياب المعينه والخمر والعتابى والمعاجر [2] ، وبجانب هذه الانواع يضيف ابن غالب

١) Levi-provencal (E : La description de L'Espagen d'Ahmed al - Razi, (al - Andalue) , 1953, p. 67 ;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينه المريه الاسلاميه ، ص ١٥٦ ،

ABD Al - Karim (Gamal) : Referencias economicas de la España musulmana en la obra de Yaqut Al-Hamawi «Muyam Al - Buldam » (Homenaje al brofesor carriazo) , T. III. Sevilla 1973 p. 127.

٢) الادريسى : صفة المغرب ،ص١٩٧ ، راجع ايضا ، الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٤ ، المقرى ، نفح الطيب ـ ١ ص ١٥٤ ، ويلاحظ أنه اورد لنا اعدادا مختلفة مبالغ فيها من الانوال لنسج كل صنف من اصناف الحرير ، وان كنا نرجح ماجاء فى نص الادريسى ، فيقول المقرى : « كان بالمريه لنسج الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسه والديباج الفاخر ألف نول والسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانيه كذلك وللاصفهانى مثل ذلك وللعتابى والمعاجم المدهشة والستور المكلله » (نفح الطيب ج١ ص١٥٤) ، ويرى الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن فى هذه =

الاندلسي بأنه « كان يعمل فيهـا من الوشي والسقلاطون والبغدادي وسائر أجناس الديبـاج . . وكان يعمـل فيهـا الحلل الرفيعة القـدر الكثيرة الاثمان (١) » .

وأما صناعة الديباج والحل الموشيه فقد بلغت مكانه رفيعه ، اذ قال ابن سعيد نقلا عن ابن فرج« حدث فيها من صنعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه ومن صنعة الخز وجميع ما يعمل من الحرير ، مالم يبصر مثله في المشرق ولا في بلاد النصارى (٢) » . وعن الحرير الموشى بالذهب قال : « ويصنع فيها (اى المريه) ثيـاب الحرير الموشاه بالذهب ذات الصنائع الغريبة (٣) » ، والى شهرتها في صنعة الديباج يقول المقرى : « وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد (٤) » .

= الاعداد مبالغة كبيرة وعلى هذا الاساس يعتقد أن المقرى نقل هذا النص محرفا عن أحد المؤرخين(تاريخ المريه الاسلامية ، ص ١٥٧ هـ ١) .

١) قطعة من كتاب فرحة الانفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤

٢) ابن سعيد ، المغرب ، حـ٢ ص ١٩٣ .

٣) ابن سعيد « أبو الحسن على بن موسى المغربى » كتاب الجغرافيا ، الطبعة الأولى ، تحقيق اسماعيل العربى ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٤٠ ، وأنظر أيضا المقرى : نفح الطيب ، حـ ١ ص ١٨٧ ، وقال نقـلا عن ابن سعيد « والى مصنوعات الاندلس ينتهى التفصيل .. فقد اختصت المرية بالوشي المذهب يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اذا رأوا منه شيئا واهم انواع الوشي النوع الذى يقال له الوشي الهشامى الذى يضرب به المثل في الرقة » .

٤) المقرى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٥٣ .

أما السقلاطون [١] او الاسقلاطون (٢) ، التي استهرت بصناعته المرية ، فهو نسيج رقيق الملمس سميك الصنعه ( ) مطرز بالذهب وكان معروفا في بلاد اليونان ثم انتقل فن نسجه الى بلاد المغرب ، وحذقة صناعهم ، وكان يطلق هذا الاسم فى كل اوربا على نسيج من الحرير مطرز بالذهب ، تخصصت بغداد فى صناعتة (٤) ، وكان يعرف فى بغداد باسم السقلاطون البغدادى (٥). ويرجع الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الاسم طبق على هذا النوع من النسيج بسبب [illegible] التى تحملها المنسوجات البيزنطية والساسانية والعربية ، ولعله نوع عرف أيضا باسم المختوم المرقوم بالذهب (٦)

---

١) الادريسى : صفة المغرب ، ص ١٩٧ . راجع أيضا الحميرى ، الروض ، ص ١٨٤ ، وأصل الكلمة دون شك [illegible] وسقلاطون [illegible] بلاد الروم تنسب اليها هذه الثياب ، الثعالبى لطائف الاشارات ، ص ٢٠ . ص ٢٣٥) وقد عرفها دوزى بانها ضرب من نسيج الحرير [illegible] بالذهب [illegible] بغداد صناعته وعرفته أوربا فى العصور الوسطى Ciclat بالأسبانية Ciclaton وبالفرنسيه والانجليزية Siglaton وباللغة الالمانية Cinglaton راجع :

Eozy (R) : Supplemeat, t. I, p. 664 b.

٢) المقري : نفح الطيب ، حـ ١ ، ص ١٠٤ .

٣) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ، طبعة بغداد ص ٨٩ .

٤) السيد عبد العزيز سالم . تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ١٠٤ .

٥) النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢ ، ص ٣٦٩ .

٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، وهناك من يرجع اللفظه الى أصل يونانى Ciclaton ويعنى النسيج المختم بالدوائر وهو نوع عرفه =

وفى نهاية القرون الوسطى كان هذا القماش مطرزا بالذهب،وكان الشرقيون يصبغونه باللون الازرق الغامق ، اما الغربيون فكانوا يصبغونه باللـون الاحمر الفاقع (١) .

واما نسيـج الاصبهانى والجرجانى فقد ذاعت شهرتهمـا فى اصبهان وجرجان كما هو واضح من اطلاق اسميهما على هذين البلـدين . والستور المكللة من المنسوجات الحريرية ثياب خفيفة رقيقة تزدان بالزخارف النباتية والازهار التى تشبه الاكاليل (٢) . والثياب المعينة ، خاماتها من الكتان أو القطن يزدادان بمربعات صغيرة على شكل معينات وقيل أنها سميت معينه لانها تشبة العيون ، وان كان التسمية الاولى هو الارجح (٣) . وأما الخمر فأقمشة حـريريه تستخـدمها النساء فى ستر رؤوسهن وتنسـدل على الوجة لتغطية (٤) ، ويرجع انها كانت تتميز بالرقة والشفافيه .

= المسلمون عن طريق اتصالهم بالحضارة البوزنطية ، راجـع :

Marques de lozoya, Historia del arte hispanico t. I, Barcelona, 1931, p. 268.

عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

١) Heyp : Op. cit., t II, p 700.

٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٥٨ .

٣) نفس المرجع والصفحة .

٤) الخمر : جمع خمار ، والخمار كل ما خمرت به المرأة رأسها من شقاق الحرير « راجع الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامه ، نشر عبد العزيز الاهوانى (مجلة معهد المخطوطات العربية) المجلد الثالث ، ١٩٥٧ ، ص ٣٠ .

Dozy (R) : Supplement t. II, 93 a

والعتابى نوع من النسيج ، ينسج من خيوط القطن والحرير ، وتكون رقيقة الملمس بديعة الصنعة وتصبغ بعد اتمام نسجها بلونين أو اكثر (١) ، كالابيض والاسود او الاحمر والاصفر بطريقة بديعة التنسيق فتكون النتيجة ان تظهر على شكل خطوط متوازية أو متعرجة وهى على هيئتها تشبه تقريبا شكل جلد الحمار الوحشى المخطط (٢) . ويبدو ان نسيج العتابى الذى يدخل الحرير فى نسجه لا يصمد كثيرا فهو سريع التلف ولهذا غالبا ما كانت الثياب العتابية الرقيقة تبطن ببطانه من نسيج اخر كالقطن تجنبا لهذا العيب (٣) . ولقد برع العراقيون عامه والبغداديون بصفه خاصة فى نسج الثياب العتابية ، وعنهم انتشرت صناعة العتابى خارج البلاد شرقاوغربا وذلك اما عن طريق التجارة ، واما عن طريق التجارة ، واما عن طريق تبادل الصناع النساجين بين البلدين (٤) . وهكذا انتقلت المنسوجات العتابيه

---

١) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ ، ص ٢٢٦ .

٢) وقد أطلق العرب على الحمار الوحشى المخطط بالعتابى والحمارة العتابية ، وقد عرفها القلقشندى بانها حيوان في صورة البرذون موشى الجلد بالبياض والسواد يروق الناظر حسنها ، « راجع القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٣ » .

٣) ورد فى أخبار الدول : « ... أن رجلا قال : صليت بجامع المنصورى فى بغداد فاذا أنا بانسان أعمى وعليه جبه عتابيه قد ذهب وجهها وبقيت البطانه وبعض القطن ... فسألت عنه فقيل أنه الناصر بالله ٣٢٠ هـ ، « راجع القزوينى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ص ١٢٨ » .

٤) مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الاقمشة الفاطميه ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .

الى المغرب عن طريق التجارة ، ومنها الى الاندلس ومن ثم اشتهرت بالمرية .
هذا وقد عرف الايطاليون والفرنسيون صناعة المنسوجات العتابية فى العصور الوسطى عن طريق الاندلس ، وانتقل اليهم اسم هذا النوع محرفا الى Tapis (١) .

واما المعاجر ، فنسيج من الحرير شفاف ، تتخذه النساء لتغطية وجوههن أو لستر رؤوسهن (٢) ، وقد اشتهرت المرية بصناعة هذا الضرب من الثياب (٣) .

ولقد كان من خصائص المنسوجات الحريرية المصنوعة فى المرية أنها كانت تزدان بالزخارف الهندسية والنباتية القائمة على تشابكات ومربعات وحواش مكتوبه بالخط النسخ (٤) .

صناعة السفن :

يرجع الفضل الاعظم فى انشاء دار الصناعة بالمرية الى الخليفة عبد الرحمن الناصر أقامها بها عند قيامه بتأسيس المدينة ، وقد أشار العذرى انها

---

١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينه المرية الاسلامية ، ص ١٥٨.

٢) نفس المرجع والصفحة ، جاء فى المحيط «الاعتجار: لف العمامة دون التلحى ولبسه المرأة ، والمعجر — كمنبر » والمعجر ثوب تعتجر به النساء . « المحيط ، مادة : عجر » ،

Dozy (R) : Supplement, II, p. 96 b .

٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، وأنظر أيضا ، ككونل « أرنست » الفن الاسلامى ، ترجمة أحمد موسى ومراجعة محمد ابراهيم الدسوقى مطبعة أطلس القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٥١ .

كانت مقسمة الى قسمين القسم الاول فيه المراكب الحربية والآلة والعدة والقسم الثاني كانت توجد فية القيسارية (١) وكانت دار الصناعة فيها تقوم بصناعة السفن والعدة والالات اللازمة لهـا ولما يقـوم به الاسطول(٢).

واما المواد الخام اللازمه لقيام هذه الصناعة فكانت متوفرة فى ارض المريه وفى مناطق متعددة بالاندلس ، فأخشاب الصنوبر اللازمه لصناعة الصوارى والقرى ، المشهور بجودته وعدم تعرضة للتلف الناشىء من التسوس ، وهو نوع من الاخشاب لانظير له فى الطول والغلظ ، كانت تستجلب من جبال طرطوشه (٣) ، أو من قصر أبى دانس (٤) ، أو من شلطيش ( ) ، وبعضها كان يتوفر فى يابسة (٦) ، قادس (٧) ، شلب(٨) ،وفى الجزائر الواقعة بازاء شنتمرية (٩) .

ومعدنى الحديد والنحاس كان يتوفران فى كثير من مدن الاندلس

---

١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٦ .

٢) ابن غالب الاندلس : قطعة من فرحة الانفس ، ص ٢٨٣ .

٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٤.

٤) الادريسى : صفة المغرب ، ص ١٨١ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١١ .

٦) نفس المصدر، ص ٩٨ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٢ .

٧) الحميري : المصدر السابق ، ص ١٤٥.

٨) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

٩) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥.

لاسيما فى المريه التى اشتهرت بها (١) ، وكان الحديد يكثر فى طليطله (٢) ، وغرناطة (٣) ، و الظاهر ان دار صناعة المريه اعتمدت في مراسى السفن على دار صناعة شلطيش التى تخصصت فى هذه الصناعة (٤) .

ولاشك فى قيام تكامل صناعى بين مختلف ثغور الاندلس اسد حاجة الصناعة بكل منها اذ انه من المستبعد ان تعتمد دار صناعة المرية فقط على مواردها الذاتية من المواد الخام لاسيما فى الفترة التى كانت تابعة فيها للخلافة الاموية والامثلة كثيرة على تبادل المواد الخام بين المدن الاندلسيه بعضها وبعض ، فمثلا ، نجد أن الزفت ، القطران كان يستخرج من كورة جيان ويحمل منها الى اشبيلية ، ثم الى الجزيرة الخضراء لصناعة السفن فى دار الصناعة بها (٥) .

فن النحت على الرخام

كان لتوافر الرخام الصقيلى الملوكى (٦) بالمريه اثره الكبير فى دعم الصناعات الرخامية كصناعة الاحواض والابيلات واللوحات المنشورية اشكال (المقبريات) او شواهد القبور .

---

١) الادريسى : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٨٤ ، راجع ايضا المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٣ عن توفر معدن الحديد بكورة المريه .

٢) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

٣) ابن الخطيب : الاحاطه فى اخبار غرناطه ، ج ١ ص ١٠٤ .

٤) الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

٥) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، ص ١٠١ .

٦) المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٣ ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ .

وكانت مقاطع الرخام موجوده فى جبل سيرا دى لوس فيلا بريس Sierra de los filabres الواقعة شمالى فنيانه وطبرنش وجنوبى برشانه (١) ومنها كان يقطع وينحت حسب الطلب .

ولقد ذاعت شهرة المرية فى صناعة « الاحواض » الرخامية ، يؤكد ذلك الكشوف الاثرية باطلال قصر القصبه بالمريه وتتضمن اثار احواض متباينه الشكل والزخرفه ، منها حوض ناقص القاع من الرخام الابيض يزدان بنقرش ادمية وحيوانية ونباتية فقد بقيت فيه اثار أقدام بشرية تلبس أخفافا ، وخلف ذلك شجرة وارجل حيوان ، ومظهره يدل على انه رومانى شبية « بالراعى الصالح » فيما يبدو ، وكانت تزين قاعدة الجوانب الاخرى سيقان متماوجه على نحو ما فى الفن العربى المنحدر من سلالة بيزنطة (٢) .

واما عن صناعة التوابيت وشواهد القبور بالمريه ، فقد بلغ فن النحت فيها شأوا كبيرا ، فلقد ازدانت شواهد القبور بها بنقوش تمثل أشكال محاريب عقودها متجاوزة منكسره ، تحملها عمد على مناكب ، ويدور بالعقود طرر بشكل مستطيل تعلوها افاريز وتحف بهذة الافاريز والطرر نقوش كتابية ، وكانت تغطى المحاريب المنقوشة كتابات عن المتوفى وتاريخ وفاته وبعض الايات القرانية (٣) . ولقد انتقلت هذه الشواهد المقبرية الى المريه فى عصر المرابطين من المشرق الاسلامى ومنها انتشرت فى شتى نواحى الاندلس ، ولذلك سمى هذا النوع باسم شواهد المرية . las estelas

---

١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٣ ، و ٥ .
٢) جوميث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ص ٣١٩ ، ٣٢٤ .
٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٤ .

«almerienses» وينسب إلى المريه معظم التوابيت التى اكتشفت فى مقابر الاندلس ، وتمتاز هذه التوابيت بانها مصنوعة من الرخام الابيض [١] .

كذلك اختصت المرية بصناعة سوارى العمد وتيجانها وبلاطات الرخام فقد ذكر المقرى نقلا عن الرازى « وفى ناشره (من اعمال المريه) مقطع عجيب للعمد » [٢] . ويذكر العذرى أن مجالس بستان الصمادحية كانت مفروشه بالرخام الابيض [٣] .

الصناعات الاخرى :

قامت بالمريه إلى جانب صناعة النسيج والسفن وفن النحت على الرخام صناعات أخرى مثل صناعة استخراج الزيت من الزيتون فى وادى طبرنش من أعمال المريه [٤] وصناعة التحف المعدنية فقد ذكر المقرى انه كان يصنع فى مدينة المرية أنواع متعددة من آلات الحديد والنحاس [٥] ، كما كشفت الابحاث الأثريه فى منطقة المرية عن ثريات معدنية بعضها فى حالة جيده تجلت فيها دقة الصناعة وجمال الزخرفة وهى شبيهة بنظائرها فى الفن القبطى والفن الفاطمى [٦] .

(١) Torres Balbas (Leopoldo) cementerios hispanomusulmanas, (al-Andalus , Vol. XXII, 1957 p. 147 149;

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٥

(٤) راجع مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص ٨٤ .

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٦) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، صـ ١٧٤ .

أما عن التحف المصنوعة من الزجاج فقد ذكر المقرى أنه كان « يصنع بالمريه ... الزجاج الغريب العجيب وفخار مذهب »(١) ، والزجاج العجيب هو نوع من الزجاج يثير الاعجاب بدقة صناعته استنادا إلى القطع الزجاجية التى اسفرت عنها الحفائر الاثرية فى منطقة المريه ويتجلى فيها جمال التكوين بعضها من لون واحد ، والبعض الاخر متداخل فيه لونان تداخلا ينتزع الاعجاب من كل من يراه وتقوم زخرفة هذا النوع الاخير على اضافة خيوط زجاجيه إلى الاناء بلون يختلف عن لون الاناء نفسه ، مما يعطيه شكلا عجيبا (٢) .

ومما ساعد على قيام هذه الصناعات توافر الخامات اللازمة لقيامها بالمريه ، كمعدن الرصاص الذى يتوفر فى مدينة برجه من أعمال المريه (٣) ، وفى دلاية ايضا (٤) ، وحجر مشابه لحجر الياقوت بقرية ناشره فى أشكال مختلفة والوان زاهية ، ويتميز بتحمله لحرارة النار ، ومعدن الفضة (٥) ، هذا خلاف ماذكر من معادن خلال حديثنا عن الصناعات .

ثالثـا : التجـارة

حظيت مدينة المريه منذ قيامها بميزتين هامتين . الاولى ، أنها اتخذت قاعدة أساسية للاسطول الاندلسى (٦) ، والثانية أنها كانت مركزا هاما للتجاره

---

١) المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، صـ١٠٧ .

٢) مرزوق : المرجع السابق ، صـ ٢٠٨ ، ٢٠٩

٣) المقري : المصدر السابق : جـ١ ، صـ١٤٣ .

٤) المراكشى : المعجب ، صـ ٤٤٨ .

٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، صـ ١٣٨ .

٦) راجع عن أهمية المريه كقاعدة للاسطول الاندلسى ماجاء هنا فى بحثنا ، الفصل الاول من الباب الاول ، صـ ٥ ، وما بعدها .

الداخلية والخارجية ، إذ كانت نواة تجارية وصناعية ساعدت على نمو تجارة الدولة الاموية فى الاندلس مع موانى البحر المتوسط [١] ، فمن مينائها كانت تبحر السفن إلى شرق البحر المتوسط وإلى العدوة المغربية محملة بخيرات الاندلس ومنتجات مصانعها وتعود محمله بما تحتاجه الدولة الاموية من منتجات هذه البلاد .

ولقد لاحظ ابن غالب الاندلسى أهمية موقع المريه على البحر المتوسط فى ازدهار التجارة فقال : « فهى باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق »[٢]، كذلك يذكر ابن سعيد نقلا عن الرازى « باب الشرق ومفتاح الرزق »[٣].

ومما ساعد على قيام المرية بدورها التجارى أنها كانت تضم بالاضافة الى دار الصناعة قيساريه كان يؤمها التجار ويأمنون فيها على أموالهم ، على نحو

---

١) Monta ez (Pedro Martinez) Islam cristiandad en la economia mediterranea de la baja edad media, (XIII Congreso Internacional de ciencias historicos) , Moscu , 1970, p 10 .

٢) كتاب فرحه الانفس ، ص ٨ .

٣) المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ ، ولعل الذى نقل عنه ابن سعيد هو عيسى بن احمد ابن محمد بن موسى الرازى ، ثالث المؤرخين من بيت ال الرازي ، الذى وضع كتابا عن تاريخ الاندلس ، والكتاب مفقود للان ، ويرى الاستاذ انخل جونثالث بالنثيا أنه كان يصل بتاريخ الاندلس الى عصر هشام المؤيد ، ا راجع تاريخ الفكر الاندلسى ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الاولى و مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ص ١٩٨ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، الاسكندريه ، ١٩٦٧ ، ص ٢٠١) .

ما كان قائما فى كبريات مدن الاندلس كاشبيليه وغرناطه ، ويشير العذرى عند تعرضه لذكر القيسارية إلى أهميتها بقوله : « قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد اليها الناس من أقطارهم » (١) . والقيسارية مجموعة من المبانى العامة على هيئة رواق تتفرع منه ازقه وزنقات اتخذت على جوانبها مخازن وحوانيت وقد تقام فيها مساكن احيانا(٢) . ويشبهها الرحالة ابن جبير بالخان العظيم تغلق عليها ابواب حديد ، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض » (٣) .

واذا كانت القيسارية فى المشرق تؤدى وظيفتين في آن واحد ، خزن المتاجر وايواء النزلاء من التجار علي نحو ماهو معروف فى فنادق الاندلس فان قيساريه الاندلس كانت سوقا تجاريه لخزن ، بيع السلع والمتاجر وعلى الاخص الاقمشة الحريرية . وقد ترتب على وجود القيساريه ومايلحق بها من أسواق ، انتشار المنشآت ذات السمة التجارية كالفنادق وقد كانت الفنادق من الكثرة بالمريه بحيث يذكر الادريسى أن عددها بلغ فى عصر المرابطين تسعمائه وسبعون فندقا (٤) . حقيقة أن هذا العدد الكبير يتعلق بالمريه في فترة

---

١) ترصيع الاخبار ، ص . .

٢) انظر مادة قيساريه فى دائرة المعارف الاسلامية

٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص٢٤١ .

٤) الادريسى : صفة المغرب ، ص١٩٨ ؛ في الواقع انه من الصعوبة بمكان قصر الدراسة الحضارية للمريه حتى دخول المرابطين الاندلس على نحو ماحددناه في عنوان البحث اذ ان التطور الحضارى لا يطابق الاحداث التاريخية زمنيا . لهذا كان اعتمادنا على بعض النصوص المتأخرة عن موضوع الدراسة ضروريا لاعطاء صورة متكاملة لهذه الدراسة .

تبعيتها لحكم المرابطين ، ولكن يساعد بقدر كبير على تأكيد الصفة التجارية للمدينه وابراز جوانب هامة من حضاوة المرية فى العصر السابق .

وساعد موقع المريه البحرى واتخاذها قاعدة بحرية وتجارية فى آن واحـد وقيام القيسارية وتعدد الفنادق ، ساعـد كل ذلك على قيام علاقات تجارية بين المرية وبين ثغور افريقيه ومصر الشام ، ويؤكد ابن عذارى قيام اتصال وثيق فى البحر بين المريه وتنس[1] من جهة وبينها وبين ثغورمصر والشام[2] من جهة أخرى .

ويذكر الاستاذ هايـد أن الاندلسيين كانوا يستوردون منتجات الشرق اما بمراكب مصرية أو سوريه عن طريق ثغر المريه ، أو عن طريق القوافل التى تأتى عبر الساحر الشمالى لافريقيا [3] ، وهذا الطريق البرى كان يبدأ من بلاد الاندلس الى طنجه عبر مضيق جبل طارق مجتازا المغرب الإقصى مرورا بسبته والمغرب الاوسط عن طريق تلمسان ووهران والمهديه والقيروان والمغرب الادنى عن طريق طرابلس وبرقه حتى يصل الى مصر ثم يتجه الى بلاد الشام عبر الرملة ودمشق ، ثم الى العراق عبر الكوفة وبغداد والبصره ثم الى فارس

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، حـ١ ، ص ٢٢٤ .

٢) البكرى : صفه المغرب ، ص ٢٠ ، هذا الاتصال تزايد زمن عبد الرحمن الناصر ويؤكد ذلك الصدام البحرى المسلح بين سفينة اندلسيه كانت تتجه من المريه الى الاسكندريه وبين احدى سفن الفاطميين بالقرب من صقليه ؛ ابن الاثير : الكامل ، ص ٨ ، ص ٨٥ ، ميخائيل أمارى : المكتبه الصقليه ... عبد العزيز سالم المغرب الكبير ، حـ ٢ ، ص ١٠١ ... الاسلامية فى المغرب والاندلس ... (٥

(٣

مارا بالاهواز ، ثم الى كرمان والهند والصين [١] .

ومن الجدير بالذكر ان عظمة المريه كمركز تجارى هام بدأت منذ سقوط الخلافة الاموية بالاندلس وقيام دويلات الطوائف ومما يؤيد هـذا الرأى ماذكره المقرى من أن المعتمد بن عباد اعطى ابا عبد الله بن ابراهيم مبلغا من المال ليتعيش به ، فلم يجد هذا الرجل افضل من استغلال هذا المبلغ فى التجارة فانصرف الى المريه التى كان يعجبه سكناها والتجارة بها ذلك « لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فاشتغل فيهـا بالتجارة ، وجـنى منها ثروة كبيرة » [٢] ، وكذلك اشارة الادريسى بقـوله : « ولم يكن بالاندلس كلها أيسر من أهلها (أهـل المرية) مالا ، ولا أتجر منهم فى الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وادخارا ، والمـدينة فى ذاتها مدينه كبيرة كثيرة التجارات والمسافرون اليها كثيرون ولم يكن فى بلاد الاندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا »[٣] .

ولاجدال فى أن الفضل الاعظم فيـما جناه أهل المريه من ثروات طائلة انما يرجع الى اشتغالهم فى التجارة ، وإلى نشاط حركتها التجارية مع الشرق ، فقد كانت مقصد مراكب التجار من الاسكندرية وجميـع مـدن الشام [٤] ومحطا للسفن ودارا للتجار والمسافرين [٥] . ويؤكـد ياقوت نشاط حركة

١) ابن خرد ذابه : المسالك والممالك ، ص ١٠٤ .
٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ٥ ، ص ١١٠ .
٣) صفة المغرب ، ص ١٩٧ ؟ ص ١٩٨ .
٤) صفه المغرب ، ص ١٩٧ ؛ راجع ايضا ؟ الحميرى : الروض المعطار ؟ ص ١٨٤ .
٥) السقطى (ابو عبد الله محمد بن ابى محمد المالقى) : كتاب آداب الحسبه ؟ تحقيق ليفي بروفنسال وكولان ، باريس ١٩٣١ ؟ ص ٥٠ .

الصادر والوارد بالمريه فى قوله : « منها (أى المريه) يركب التجـار ، وفيهـا تحـل مراكب التجار ، وفيها مرفأ للسفن والمراكب »[١] . ويفهم من نص ياقوت أنه كانت هنـاك حركة صادرات تجـارية من المريه إلى مختلف موانى البحر المتوسط وكذا حركة واردات تجارية اليها من تلك الموانى .

وينبغى أن نقر بأن النصوص التاريخية العربية سواء المعـاصرة للاحداث أو المتأخرة ،قد ذودتنا فى الواقع بما يكفى من الأخبار لالقاء بعض الضوء على صادرات الاندلس ووارداتها سواء ما يتعلق بالمحاصيل الزراعية أو ما له صلة بالمنتجات الصناعية ، فابن حوقل يذكر أن « بالأندلس غير طرز يرد إلى مصر متاعه وربما حمل منه شىء إلى أقاصى خرسان وغيرها »[٢] ، ويضيف فى موضع آخر فأما أرديتهم المعمولة بجانه فتحمل إلى مصر ومكة واليمن غيرها » [٣] .

ومن المحاصيل والمنتجات االصناعية التى كانت تصدر من المريه إلى بلاد الشرق الوشى صناعـة المريه [٤] والزجاج والفخار المزجـج والزليجى [٥] ، والبسط التنتلية صناعة مرسيه وكانت من السلع التى يغالى فى ثمنهـا بالمشرق ، والعنبر الذى كان يحمل إلى مصر وتباع أوقيته بعشرين دينارا ، والجنيـاطه

---

١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٠ ، ص ١٨ ،
Al-Karim (Gamal) , Op. cit,. 134 .

٢) ابن حوقل : صورة الارض ، صـ ١٠٥ ، صـ ١٠٦

٣) نفس المصدر ، صـ ١٠٩ .

٤) الضبى : بغية الملتمس ، صـ ٤٦٨ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، صـ ٢٠٧ ،

٥) المقرى : المصدر السابق جـ ١ ، صـ ١٤٥ ، صـ ١٨٧ .

وحجر المرقيشينا الذهبية ومعدن الزئبق يحمل إلى جميع الافاق (١) ، وحصى المريه الذى يشبه الدرقى رونقه بالوانه العجيبه (٢) ، كما كانت تحمل من مرسيه الأسرة المرصعه والحصر الفتانه الصنعه كالات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبه وغير ذلك من الات العروس والجندى ما يبهر العقل كلها تجهز وتصدر إلى بلاد أفريقية وغيرها (٣) . وأهم ما كانت تصدره المريه من منتجاتها المنسوجات الحريرية التى كانت لها سوق نافعة فى المشرق الاسلامى.

أما المحاصيل والمنتجات الصناعية التى كان يستوردها أهل الأندلس من الشرق فأهمها القمح الذى تحمله المراكب من تنس إلى سواحل الاندلس (٤)، والعطور جميع أصنافها ما عدا الزعفران والعنبر من أرض الهند (٥)، والرخام من قرطاجنه وأفريقية وتونس ومن بلاد الافرنج (٦) .

ولم تقتصر العلاقات التجارية بين المريه وثغور المشرق الاسلامى فحسب بل تجاوزتها الى الجمهوريات الايطاليه مثل جنوه وبيزا (٧) .

---

١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .
٢) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ ، وكان يحمل الى البلاد ويستخدمه الناس لتبريد مياهم فيضعونه فى البراريد وكيزان الماء ، (راجع ايضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٣ ، هـ ٣) .
٣) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٧
٤) ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا ، ص ١٤٢ .
٥) المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٩ .
٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ .
٧) Heyd ; Op. cit. t . II , p. 725.

الفصل الثالث

الحركة العلميه

اولا : الحركة الادبيه واللغويه

بلغت الدولة الاموية فى الاندلس اوج مجدها الحضارى فى عصر الخلافة الذى يشمل عهد الخليفه الناصر وولده الحكم المستنصر ، ثم عهد الحاجب المنصور محمد بن ابى عامر ولما انهارت الخلافة الاموية وسارت الفوضى انحاء الاندلس فى اعقاب الفتنه ، أخذت شمس الاندلس تنحدر نحو المغيب مؤذنة بقيام دويلات الطوائف .

وعلى الرغم من التفكك السياسى الذى طرأ على البلاد وما ترتب عليه من فتن واضطرابات وحروب اهليه ، ومنازاعات بين مختلف هذه الدويلات ، فقد سطعت شمس الشعر والادب ، وبلغ النشاط الادبى مداه وتنافس ملوك الطوائف فى اقتناء فحول الشعراء والكتاب ، وبالغوا فى اجتذابهم الى حواضرهم بالهبات القيمة ، فارتقت دولة الادب فى الاندلس وازدهرت ازدهارا لم تشهده من قبل [1] ،وأصبحت قصور قرطبة واشبيلية المرية وبطليوس منتديات لاهل الشعر والادب ، ولم يقتصر الامر على ذلك فقد صحب هذه النهضة الادبية نهضه فنيه غنائيه لانظير لها من قبل،عندما تنافس ملوك الطوائف فى اجتلاب حذاق الغناء الى حواضرهم [2] ، ويذكر الشقندى فى رسالته : « ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض ،وتفتك فى اموالهم

---

١) آنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ١٣ .

٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ص ١٠٠ .

فتكة البراض ، حتى أن أحد شعرائهم بلغ به مارآه من منافستهم فى امداحه أن حلف أن لايمدح أحدا منهم بقصيدة الابمائه دينار » (١) . و بذلك تحولت عواصم الاندلس الى بغدادات صغيرة كثيرة (٢) ، اضف الى ذلك كله ماساد هذا العصر من روح الاسراف والبذخ والاجرام السافر الذى لايتورع عن شىء من المطامع والنزوات الى الخناجر والسموم (٣) .

ولم تكن المواد بعيده عن هذه الحركـة الادبية المباركـة ، فكانت من بين دول الطوائف التى ازدهرت فيها العلوم و الاداب ، وبلغت أوج ازدهـارهـا الادبى فى عصر المعتصم بن صمادح الذى يعتبر بحق العصر الذهبى للعـلوم والاداب وذلك بفضل تشجيعه و بذله للمال ، ولعل أبلغ وصف فى ذلك قول الفتح بن خاقان يمتدحة « ملك اقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع فى انتظامها و أتساقها واوضح رسمها ، وأنت فى جبين أوانه رسمها ، ولم تخل ايامه من مناظرة ، ولاعمرت الا بمذاكرة بمحاضرة » (٤) .

وهكذا ازدهرت الحياة الادبيه في المريه بفضل ملكها المعتصم وبفضـل أدبائها البارزين أمثال الوزير الكاتب أبو العباس أحمد بن زكريا ، وأبو الحسن مختار عبد الرحمن بن سهر الرعينى ، واحمد بن ادهم ، واحمد بن قاسم النحوى المعروف با بن الاديب ، وابراهيم بن احمد بن محمد بن اسود الغسانى ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدى ، وابو عبد الله بن عبادة المعروف با بن القزاز .

١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ١٨٠ .
٢) غارسيا غوميث : الشعر الاندلسى ، ترجمـة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعـة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٤٤ .
٣) غارسيا غوميث : نفس المرجع ، ص ٤٤ .
٤) ابن سعيد . المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ ، ص ١٩٧ .

واعظم ادباء هذا العصر جميعا الوزير الكاتب ابو العباس احمد بن زكريا ويكنى ابا جعفر ، كان عليما بفنون الادب ، قديرا على التعبير عن ارائه في يسر ورقة ، تمتع بشهرة فائقة ، بجانب مهارته في الخطابه ، وتبحرة فى الفقـة ، مقتبسا للشعر من غير طبع فيه (١) . ومما ساعد على تبوئه هذه المكانه الادبيه الساميه هوايتة لجمع الكتب فيقال ان مكتبتة كانت تزيد على اربعمائة الف مجلد كامل عدا الاوراق والكراسات المنفصله (٢). وعلى الرغم من المواهب المتعددة التى تميز بها الا انه اتصف بالكبرياء والغرور والعجب بنفسه لدرجة انه عند زيارته لقرطبة مع زهير العامرى واجه اديب قرطبه ابا عامر بن شهيد بكل احتقار وازدراء ، وذم اهل قرطبة عندما سئل عنهم بقوله : « ما رأيت بقرطبه الا سائلا او جاهلا » (٣)

ومن مشهور شعره ابيات كان يرددها فى كل مجلس وعند كل مناسبه ، وبخـاصة فى اوقات لعبه الشطرنج :

عيون الحوادث عنى نيـام وهضمى على الدهر شىء حرام

وذاع هذا البيت عند الناس ، فاستنكروه ـ الى حد ان بعض الشعراء

١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ١٢٥ ، وأنظر أيضا ، ابن الخطيب ، الاحاطه ، حـ ١ ، ص ٢٦٧ ، دوزى : ملوك الطوائف ، ترجمه الاستاذ كامـل كيلانى ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

٢) خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا ، ترجمة الدكتور جمـال محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية . ، المجلد الخامس ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٩ ص ٨٠ .

٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ١٧٦ ، وراجـع أيضا ، أنخـل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١٠٩ .

قلب مصر عنه

سيوقظها قدر لاينام (١) .

وقد انتهى امر ابن عباس بوقوعه أسيرا فى قبضة باديس بن حبوس صاحب غرناطه الذى قتله بيده فى ٢١ ذى الحجه ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) (٢) .

اما ابو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن سهر الرعينى(٣) ، الذى تولى قضاء المريه فى عهد زهير العامرى ، فقد كان جامعا لفنون العلم والمعرفة ، وتمكن فيها ، وتميز اسلوبه بالسلاسة والعذوبة ، وكان الرعينى شخصية قوقة تعتز بنفسها ويقال ان زهير ملك المرية استدعاه يوما من مجلس حكمه ، فجاءه يمشى على مهل ، فاستعجله رسول زهير ، فلم يسرع فى مشيته ، فلما دخل مجلس زهير قال له : « يافقيه ماهذا البطء ؟ فتأخر الى باب المجلس ، وطلب عصا ، وشمر ثيابه ، فقال له زهير : ماهذا ؟ قال هذا يليق باستعجال الحبايب لى ، فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله « (٤) . وبالاضافة الى ملكته الادبية فقد كان شاعرا مطبوعا ، وتغلب على شعره روح السخرية فيذكرون انه دخل ذات يوم حماما وكان يجلس بازائه عامى اساء اليه الادب ، فقال الرعينى :

الا لعن الحمام داراً فانه سواء به ذو العلم والجهل فى القدر

---

١) ابن الخطيب : الاحاطه ، جـ١، ص ٢٦٩، وأنظر أيضا دوزى : ملوك الطوائف ص ٩٤ ، بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١١٠ .

٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٨ .

٣) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، القسم الثانى ، ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٠٧

٤) المقرى نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٥٢ .

تضيء بة الاداب حتى كانها   مصابيح لم تنفق على طامة الفجر [١]

وتوفى الرعينى بقرطبه سنة خمس وثلاثين واربعمائه (١٠٤٣ م) [٢] .

ومن ادباء المرية ايضا أحمـــد بن ادهم مولى بنى مروان ويكنى ابا بكر ، اصله من جيان ، وسكن قرطبه ، وذكر ابن حيان انه ولى القضاء بالمرية لخيران العامرى وكان متمكنا فى الفقه غزيرا فى الادب ، صائبا فى حكمه ، وتوفى فى ذى القعده سنة ٤٢٩ ﻫ (١٠٣٧ م) [٣] .

وكان أحمـد بن قاسم النحوى المعروف بابن الاديب ، من اهل العـلم والادب بقرطبه ثم نزل بالمريه وأستقر بها ، وكف بصره فى حداثة سنه ، وتوفى بالمريه فى سنة ٤٤٢ ﻫ (١٠٤٠ م) [٤] .

وكان ابراهيم بن احمد بن محمد بن اسود الغسانى،وهو من أهل بجانه من المهتمين بالعـلم متصفا بالصلاح والفهـم والتواضع ، وتوفى سنه ٤٦٧ ﻫ (١٠٧٤ م) [٥] .

ومن اعلام الادب وعلوم اللغه فى المريه ايضا ، محمد بن محمـد بن الحسن الزبيدى ، الاديب النحوى ، وكان من اهل الادب والرياسه ، وقداهلته هذه الصفـات لتولى القضـاء بها [٦] ، والف فى النحو كتـابا سماه « الواضح »

---

١) المقرى نفح الطيب ، ﺟ ٤ ، ٣٥٢ .

٢) ابن بشكوال : كتاب الصله ، القسم الثانى ، ص ٦٢٥ .

٣) ابن الابار : التكمله لكتاب الصله ، ﺟ ، ص ٤٠ ، ٤١ ، « ترجمة ١١٥ » .

٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، القسم الاول ص ٥٢ « ترجمة ١١٠ » .

٥) نفس المصدر ، ص ٩٦ ، « ترجمه ٢١٥ » .

٦) الحميدي « أبو عبد الله محمد بن ابى نصر فتوح بن عبد الله الازدى » : جـذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمه ،١٩٦٦ ص٣٨.

واختصر كتاب العين للخليل بن احمد اختصارا حسنا (١) .

ومن مشاهير الادباء فى عصر بنى صمادح ابو عبد الله محمد بن عباده المعروف بالقزاز ، وكان من بيت كتابه ونباهه (٢) ، وبجانب براعته فى النثر برع ايضا فى الشعر والموشحات التى كثر استعمالها عند اهل الاندلس (٣) ، ومن شعره فى ابن صمادح قوله :

ولو لم اكن عبدا لآل صمادح　　وفى ارضهم اصلي وعيشى ومولدى
لما كان لي الا اليهم ترحل　　وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى (٤)

ومن قصيده أخرى يمدح فيها المعتصم قوله :

نفى الحب عن مقلتى السكرى　　كما قد نفى عن يدى العدم
فقد قر حبك فى خاطرى　　كما قر فى راحتيك الكرم (٥)

وكان للشعراء عند المعتصم بن صمادح بوجه خاص سوق نافقه ، فقد قصده كبار شعراء هذا العصر ، واحاط نفسه بطائفه من فحول الشعراء اضفوا على دولته ـ رغم صغرها ـ مظهرا من الفخامه والعظمه (٦) .

ومن أعظم هؤلاء الشعراء الذين قصدوا المريه فى عهد خيران العامرى ،

---

١) الضبي : بغية الملتمس ، ص ٦٦ ، المقرى ، نفح الطيب ، ـ ٥ ، ص ٢٤ .
٢) ابن الابار : التكمله لكتاب الصله ، ص ٣٩٢ ، ترجمة ١٠٩٩) .
٣) ابن سعيد : المغرب ، ـ ٢ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .
٤) المقرى : نفح الطيب ، ـ ٤ ، ص ٣٨٠ .
٥) نفس المصدر ، ـ ٥ ، ص ٢٤١ .
٦) أنجل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١١٠ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ١٧٦ .

الشاعر أبو عمر أحمد بن دراج القسطلى [١] الذى تمتع بشهرة فائقه فى نظم الشعر فكان بين جلة العلماء والمقدمين من الشعراء [٢] ، ويصفه الثعالبى فى كتاب اليتيمه بقوله : « هو بالصقع الاندلسي كالمتنبى بصقع الشام » [٣] . وذكره ابن حيان بقوله : « سباق حبه الشعراء العامريين وخاتمة محسنى أهل الاندلس أجمعين » [٤] . وينم شعر القسطلى عن مجموع علمه وعلى منهجه فى البلاغه والرسائل مما يدل على سعه إطلاعه وتمكنة [٥] . ويذكر الحميدى انه سمع « أبا محمد على بن احمد ، وكان عالما بنقد الشعر يقول : لو قات انه لم يكن بالاندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد ، وقال مرة أخرى: لو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا احمد بن دراج لما تأخر عن شأو « حبيب

---

١) ابن سعيد : المغرب ، ح٢ ، ص ٦٠ ، من قسطله دراج من اعمال جيات ، (نفس المصدر والجزء والصفحه) .

٢) الحميدى : جذوه المقتبس فى ذكر ولاه الاندلس ، ص ١١٠ ، وانظر ايضا ، ابن بشكوال : كتاب الصله ، ح ١ ، ص ٤٠ ، الضبى ، بغية الملتمس ، ص ١٥٨ ، ابن بسام الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٣ .

٣) الثعالبى (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابورى) : يتيمه الدهر فى محاسن أهل العصر ، ح ٢ ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبه التجاريه ، الطبعه الثانيه ، ١٩٥٦ ، القاهره ، ص ١٠٤ ، وانظر ايضا : ابن بسام : الذخيره ، ق١ ، م١ ، ص ٤٤ ، ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٦ ، المقرى : نفح الطيب ، ح ٤ ، ص ١٨٤

٤) ابن بسام : المصدر السابق ق ١ ، م ١ ، ص ٤٤ .

٥) الحميدى : المصدر السابق ، ص ١١٠ ، راجع ايضا ، ابن بشكوال المصدر السابق ص ٤٠ ، الضبى المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

والمتنبى » (١) ويشبهه المستشرق الاسبانى الاستاذ غرسيه جومث بالشاعر الاسبانى جنجرا وذلك فى تعقيده عن الفهم (٢) .

ومن المعروف ان ابن دراج القسطلى لم يجد بدا في زمن الفتنة بعد أن ضاقت به الحال من ان يضرب فى مناكب شبه الجزيره بحثا عن مستقر جديد وخرج فعلا من قرطبة واخذ يجول فى أنحاء الاندلس من ملك الى ملك ومن أمير إلى أمير مما عبر عنة ابن حيان : قائلا « فاستقرى ملوكها أجمعين ما بين الجزيره الخضراء فسرقسطة من الثغر الأعلى يهز كلا بمديحة » (٣) . وكان خيران العامرى صاحب المرية ممن مدحهم ابن دراج ، اذ مدحة بقصيده طارت شهرتها فى المشرق والمغرب ، وهو متوجة الى سر قسطة سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) ومنها :

لك الخير قد أوفي بعهدك خيران   وبشراك ، قد آواك عز وسلطان (٤)

وتعتبر هذة القصيده من أجل ما نظم ابن دراج وأصدقه ، أما خيران

---

١) الحميدى : جذوه المقتبس ، ص ١١٣ ، ص ١١٤ ، وراجع ايضا ، ابن بشكوال : الصله ج ١ ، ص ٢٤٠ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٦١ .

٢) الشعر الاندلسى ، ص ٣٨ ، وراجع ايضا . انجل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، صـ ٦٦ .

٣) ابن بسام : الذخيرة : ق ١ ، م ١ ، صـ ٤٤ ، ومن ابن دراج ايضا ، راجع الدراسه الرائعه التى عقدها الدكتور محمود على مكى فى مقدمه ديوان ابن دراج ، (ديوان ابن دراج القسطلى ، المقدمه) .

٤) ديوان ابن دراج ، صـ ٦٨ ، راجع ايضا ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، صـ ٤٥ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، : القسم الخاص بالاندلس ، صـ ٢١٣ .

فلم يكافئه ابن دراج على ما نظمه فى مدحه بجائزه تجزيه (١) .

ومن مشاهير شعراء المعتصم بن صمادح ، أبو الفضل جعفر بن أبى عبدالله ابن شرف البرجى ، وله تواليف فى الامثال والاخبار والاداب والاشعار (٢) ولكنة ينزع عادة نحو الفلسفة(٣) ، ولذلك عرف بالحكيم الفياسوف(٤) ،واشتهر بمدح المعتصم بن صمادح ، ومما مدحه به قوله :

لم يبق فى الجود فى أيامكم اثر الا الذى فى عيون الغيد من حرر (٤)

وممن اتصل بالمعتصم من الشعراء أبو عبد الله بن الحداد وأبو حفص بن الشهيد ، اما ابو عبد الله بن الحداد واهله من وادى آش وسكن المريه ، فقد ارتفعت منزلته عند المعتصم إلى حد ان اسند اليه الوزارة ، وكان من الطبيعى ان ينظم ابن الحداد جل شعره فى مدح بنى صمادح ارباب نعمته ، ومن مدائحه للمعتصم قوله :

لعلك بالوادى المقدس شاطىء فكالعنبر الهندى ما انا واطىء
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم جواد هواء والنجوم طوافىء (٥)

---

١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٩٤ ، (ترجمه ٣٢٠) .

٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ص ١٢٠ (، ص ١٣١ ، ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثالث مخطوط ، لوحه ٢٧٤ ، ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ .

٢) غارسيا غومث : الشعر الاندلسى ، ص ٥٢ .

٣) آنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١١ .

٤) ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ .

٥) ابن بسام : الذخيره ، ق ١ ، م ٣ ، ص ٢٠٢ ، ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٤٤ .

واحب ابن الحدادصبيه نصرانية تدعى نويره قال فيها شعرا ينم عن عاطفه مشبوبه (١) ، وكذا استمرت حبائل الود ممتده بينه وبين المعتصم فتره من الزمان الى ان تغير قلب المعتصم عليه فأقصاه عنه ، ذلك لان ابن الحداد رماه بالبخل ، فآثر ابن الحداد الرحيل عن المريه حتى لايتعرض لسخطه ومقته ، فسار الى سرقسطة فى سنه ٤٦١ هـ (١٠٦٨ م) ، واقام بها فى كنف المقتدر بن هود ، وكانت تنتاب ابن الحداد بين الحين والحين حالات من اليأس والتشاؤم فيتحدث عن الزهد والاعتزال (٢) ، ويتمثل ذلك فى بيتين من شعره انشدهما عند خروجه من المريه :

لزمت قناعتى وقعدت عنهم ... فلست ارى الوزير ولا الاميرا
وكنت سمير اشعارى سفاها ... فعدت لفلسفياتى سميرا (٣)

ولم يهنأ ابن الحداد فى حياته الجديده بسرقسطه فقد كان مايزال متعلقا بصديقه ابن صمادح فلم يلبث ان عاد الى المريه بعد ان صفح عنه المعتصم وتوفى بها فى سنه ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) (٤) ومن آثاره ديوان شعر كبير مدون على حروف المعجم ، وكتاب فى العروض سماه بالمستنبط (٥) ، وقال ابن

---

١) ابن بسام : الذخيره ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٠٢.
٢) انخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١١٢.
٢) ابن بسام : الذخيره ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٠١.
٤) ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، ص ٣٦٩ .
٥) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ، ص ١٠١ ، ابن الابار : المصدر السابق ص ٣٩٨ ، ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ ، ص : ١٤٤ ، الكتبى (محمد بن شاكر بن احمد) : فوات الوفيات ، تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد جـ ٢ ، مطبعة السعادة ، بمصر ، ١٩٥١ ، ص ٣٤١.

بسام فية « ترى العلم ينم على أشعاره ويتبين فى منازعه وآثاره ، وله فى العروض تأليف ، وتصنيف مشهور معروف » (١) .

أما الشاعر أبو حفص بن الشهيد ، فكان ارس النظم والنثر (٢) ، أنشد قصائد كثيره في مدح المعتصم ، من ذلك قوله :

سبـط اليـدين كأن كل غمـامه | قد ركبت فى راحتيه أناملا
لاعيش الا حيث كنت وانمـا | تمضى ليال العمر بعدك باطلا (٣)

وفى بلاط ابن صمادح عاش ابو عبد الله البكرى الجغرافى الشاعر فترة من الزمن حظى فيهـا بالرعايه ، واصطفـاه المعتصم وآثر مجالسته ورفـع مرتبته (٤) ، وكان شاعرا فذا له شعر كثير وخمريات تدور حول ميله الى ملذات الحياه ، فمن ذلك قوله :

خليلى انى قد طربت الى الكأس | وتقت الى شم البنفسج والآس
فقوموا بنا نلهو ونستمع الغناء | أنسرق هذا اليوم سرا من الناس (٥)

ومن الشعراء الذين اجتذبهم المعتصم بهباته ابو القاسم اسعد الذى مدح المعتصم بقصيده منها :

اذا سار سار الجود تحت لوائه | فليس يحط المجد الا اذا حطا (٦)

---

١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٠١ .

٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٩ ، راجع أيضا ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٧٥ ، ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الخاص بالاندلس ، ص ١٩٠ .

٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

٤) ابن الابار : الحله السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ .

٥) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٧ .

٦) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٩ ، ص ٢٣٩ .

ومنهم الشاعر ابو القاسم خلف بن فرج الالبيرى المعروف بالسميسر ، وكان من أعظم شعراء البيره فى عصر الطوائف ، امتاز بين معاصريه من الشعراء بالهجاء (١) وبالسخريه اللاذعه (٢) . وفيه يقول ابن بسام : « كان باقعة عصره واعجوبة دهره ... له طبع حسن ، وتصرف مستحسن ، فى مقطوعات الابيات ، وخاصه اذا هجا وقدح » (٣) ، ومن أمثلة شعره فى هجاء المعتصم ومدينة المريه قوله :

بئس دار المريه اليوم دارا   ليس فيها لساكن مايحب
بلده لاتمار الا بريح   ربما قد تهب أو لاتهب(٤)

وقوله :

قالوا المريه فيها   نظافة قلت ايه
كأنها طست تبر   ويبصق الدم فيه (٥)

وقد ألف كتابا سماه « شفاء الامراض فى انتهاك الاعراض » (٦) .

ومن الوافدين على المريه من شعراء الاندلس الشاعر أبو الحسن جعفر ابن الحاج ، أحد فحول شعراء عصره ، وتميز على غيره بميله الى الزهد (٧) ،

---

١) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، صـ ١٠٠ .
٢) غارسيا غوميث : الشعر الاندلسى ، ص .
٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ق ٣١٢ .
٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٧٠ ، وأنظر أيضا المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ، ص ٣٦٠ .
٥) ابن بسام : المصدر السابق والصفحة ، المقرى : المصدر السابق والصفحة .
٦) أنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١١٣ .
٧) الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٥٧ ، « ترجمه ٦١٦ » .

وقد وصفه ابن سعيد بقولة : « اختار تعب النسك على تلك الراحه » (١) .

وقال من مخمسة يرثى فيها ابن صمادح ، ويندب الاندلس زمن الفتنه منها :

تنتحب الدنيا على ابن معن كأنها ثكلى أصيبت بابن
اكرم مأمول ولا استثنى اثنى بتعشاه ولا اثنى
والروض لاينكر معروف المطر (٢) .

ولدينا أسماء عديده من شعراء الاندلس العظام قصدوا ابن صمادح بالمريه نخص بالذكر منهم أبو بكر بن عمار ، وكان له حظ من الادب (٣) ، وأبو الوليد النحلي البطليوس (٤) ، والأسعد بن ابراهيم بن بليطه ، الذي يصفه ابن بسام بانه « فارس جحفل ، وشاعر محفل » (٥) ، وأبو عبد الله محمد بن معمر المالكي المعروف بابن أخت غانم ، وكان يقول الشعر في يسر ذو حافظة نادره بجانب ولعه بكتب النحو والفقه والشريعه والطب (٦) .

وكان المعتصم نفسه شاعرا مطبوعا نسبت إليه أشعار كثيرة ، وكان بنوه أيضا من الشعراء المجيدين . ومن ابناء المعتصم الشعراء ، رفيع الدولة وأبو جعفر أحمد وعز الدولة ، وأختهم الزجاله ام الكرام .

فأما رفيع الدولة ابو يحيي بن المعتصم بن صمادح ، فقد وصفه الحجاري بانه :

---

١) ابن سعيد : المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٧٧ .

٢) المقري : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ .

٤) آنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١١٢ .

٥) ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

٦) آنخل جونثالث بالنثيا : المرجع السابق ص ١١١ ، وغانم خاله المنسوب اليه هو الامام العالم غانم المخزومي ، (المقري : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٦٧) .

«فرع زاك من تلك الشجره الكريمه،وعارض جود من صوب ملك الديمه»(١)

ومن شعر رفيع الدولة قوله :

لئن منعوا عـنى زيارة طيفهـم ولم الف فى تلك الطلول مقيلا
فما منعوا ريح الصبا سوق عرفهم وقد بكرت تندى على بليلا(٢)

ومن شعر ابى جعفر احمد قوله :

اتى بالبدر من فوق القضيب فطارت نحـوه طـير القـلوب (٣)

ومن قول أخيه عز الدولة أبو مروان عبد الله بن المعتصم ، يخاطب أباه من محبسه : (٤)

ابعـد السنا والمعـالى خمول وبعد ركوب المذاكى كبول ؟
ومن بعد ما كنت حرا عزيزا انا اليـوم عبد اسـير ذليل ؟
حللت رسـولا بغرناطة فحل بها بى خطب جليل
وثقفت إذ جئتها مرسلا وقد كان يكرم قبلى الرسول
فقدتُ المرية ، أكرم بها فـا للوصـول اليها سبيل

فراجعه أبوه :

عزيز على ، ونوحى ذايل على ماقاسى ، ودمعى يسيل
لقطعت البيـض أغمـادها وشقت بنـود وناحت طبول
لئن كنت يعقوب فى حزنه ويوسف انت ، فصبر جميل(٥)

١) ابن سعيد : المغرب ، حـ ٢ ، ص١٩٩ « ترجمة ٤٨٤ » .
٢) ابن الابار : الحله السيراء ، حـ ٢ ، ص ٩٥ ، وأنظر أيضا ، ابن سعيد : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٠٠ .
٣) ابن سعيد : نفس المصدر ، حـ ٢ ، ص ٢٠٠ .
٤) كان رسولا لابيه الى ابن تاشفين ، فأمر هذا باعتقاله ، « راجع مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٧ ، ابن الابار : الحلة السيراء ، حـ ٢ ، ص ٨٨ ، ٨٩ »
٥) ابن الابار الحله السيراء ، حـ ٢ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

شاعرات المريه:

ولم يقتصر نظم الشعر على الشعراء ، بل نظمه ايضا شاعرات عشن فى عصر المريه الذهبي فى ظل بنى صمادح ، وفى خلال يقظته الادبية ونهضته الشعريه (١) ، ومن شاعرات المريه : الغسانيه البجانيه ، وزينب المريه ، وغايه المنى ، وام الكرام بنت المعتصم بن صمادح .

الغسانيه البجانيه :

عاشت فى بجانه من عمل المريه فى القرن الخامس الهجرى (٢) ، واتسم شعرها بالاصالة والعمق (٣) ، ومن نظمها فى الغزل وشكوى الفراق :

اتجزع ان قالوا سترحل اظعان　　وكيف تطيق الصبر ويحك اذ بانوا

فما بعد الا الموت عند رحيلهم　　والا فصبر مثل صبر واحزان (٤)

زينب المريه :

وهى مثل سابقتها من الحرائر ، قدمت شعرا ناضجا كل النضوج نابضا بالحياة صافى الاسلوب فى غير عسر ، صادقا الحس فى غير خفاء (٥) ، ومن نظمها :

يأيها الراكب الغادى لطيته　　عرج انبئك عن بعض الذى أجد

---

١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ٧٤ وما يليها .

٢) ابن سعيد : المغرب ، حـ ٢ ، ص ١٩٢ .

٣) مصطفى الشكعة : صور من الادب الاندلسى ، دار النهضه العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١١٥ .

٤) ابن سعيد : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ١٩٢ .

٥) مصطفى الشكعه : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

ماعالج الناس من وجد تضمهم الا ووجدى بهم فوق الذى وجدوا [١]

غايه المنى :

وهي جاريه ، قدمها قيان الى المعتصم بن صمادح لكي يختبرها قبل أن يشتريها فسألها : ما اسمك ؟ فقالت : غاية المنى ، وكان ابن صمادح يريد قينه شاعره ، فقال لها الامير : اجيزى :

اسألو غاية المنى

فقالت فى سرعة بديهة ورقه خاطر

من كسا جسمى الضنا

وارانى مولها سيقول الهوى أنا [٢]

وهى واحده من هؤلاء الشاعرات من حرائر وقيان كن يطربن الاسماع باشعارهن الانثويه العذبه الرقيقه [٣] .

ام الكرام بنت المعتصم بن صمادح :

واذا كانت الغسانيه البجانيه وزينب المريه من بنات الشعب ، وغايه المنى واحده من القيان ، فان شاعرتنا ام الكرام كانت اميره من بيت ملك بنى صمادح ، ولقد جرت العاده في قصور ملوك الاندلس ان يعهدوا ببناتهم ونسائهم لمعلمات يتعهدهن بالتعليم والتهذيب وقراءه الشعر وحفظه ، وليس بغريب على المعتصم بن صمادح الشاعر وراعى الآداب ، والفنون ان يعهد بتاديب ابنته [٤] ،

---

١) المقرى : نفح الطيب ج ٦ ص ٢٢ .
٢) المقرى : نفح الطيب ج ٥ ص ٢٢ ؛
٣) مصطفى الشكعة : صور من الادب الاندلسى ص ١١٨ .
٤) ويذكرنا فى هذا بالاديبه ولاده بنت المستكفى المتوفاه سنه ٤٨٠ هـ ، التى أثرت فى الاوساط الادبيه بقرطبه بقدر كبير خاصه لدى الشاعر ابن زيدون .

لما لسه فيها من نبوغ وذكاء حتى نظمت الشعر الجميل واسهمت بقدر فى انشاء الموشحات (١) ومن شعرها الرقيق العذب قولها :

ألا ليت شعرى هل سبيل لخلوة ينزه عنها سمع كل مراقب
وياعجبا اشتاق خلوة من غدا ومثواه مابين الحشا والترائب (٢)

ان ام الكرام شاعرة رقيقة بارعةالغزل حسنة التعبير، وقد اثر انها كانت تصنع التواشيح ، ولا يستطيع ذلك الا الشاعر ذو القدره ، والفنان ذو الموهبة والصنعهلما تخضع لهالموشحة من نسق يتكرر بيناقفال وغضون و تشطيرو ترصيع الذى يجعل من ام الكرام شاعره فنانه بارعة واديبه بارزه (٣) .

الدراسات اللغويه والنحويه :

اهتم اهل الاندلس بالدراساتاللغوية والنحوية اهتماما خاصا منذ قيامدولة عبد الرحمن الاوسط،ولكن هذه الدراسات كانت مقصورة على قراءةالنصوص الادبيه سواء المنثور منها او المنظوم لتربية الملكات الادبية عند ابنائهم (٤) .ثم بدأت الدراسات اللغويه تعتمد علىما نقله الاندلسيون فى رحلاتهم إلى المشرق من مصنفات علماء اللغة المشارقه امثال سيبويه والكسائى وابو على القالى (٥) فقد ادخل جودى بن عثمان العبسى (ت ١٩٨ هـ) فى الاندلس كتاب الكسائى بعد عودته من المشرق (٧) . ومنذ ذلك الحين اخـذت تظهر بعض التواليف فى

١) مصطفى الشكعه : صور من الادب الاندلسى ، صـ ١١٨ .
٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، صـ ٣٢ ، ٣٣ .
٣) مصطفى الشكعه: المرجع السابق ، صـ ١٢٠ .
٤) لطفى عبد البديع : الاسلام فى أسبانيا ، صـ ٧٣ .
٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة الاسلامية ، ١٨٠ .
٦) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، صـ ٧٣ .

النحو ، فكتب جودى بن عثمان كتابا فى النحو بعنوان « منبه الحجاره »[١]،
كما ألف أبو بكر بن القوطيه (ت ٣٦٧ هـ) ، مصنفين هامين احدهما كتاب
« تصاريف الافعال » والثانى « كتاب المقصود والممدود[٢] » ومن كبار علماء
النحو فى الاندلس محمد بن الحسن الزبيدى الذى كان واحد عصره فى علم النحو
وحفظ اللغه[٣] ، الف فى النحو كتابا سماه « الواضح » ، واختصر كتاب
« العين » ، وله فى اخبار النحويين كتبا مشهوره[٤] .

وفى عصر ملوك الطوائف ، ظهر عدد كبير من كبار علماء النحو واللغة فى
الاندلس ، وساهمت المريه بعدد كبير من علمائها فى اللغة فى هذه الحركة العلمية
من النحويين ، ابو الحسن سليمان بن محمد بن الطراوة نحوى المريه ، الذى فاق
زملاءه ، وصفه ابن بشكوال بقوله : « لم يكن بها (أى المريه) فى هذه
الصناعة مثله ، وله الذكر السائر فى الافاق »[٥] ، ولابن الطراوه ايضا من
التقييدات فى النحو ماهو مشهور[٦] .

كما برز محمد بن احمد بن عبد الله النحوى ويعرف بابن اللجاش ، وكان
عالما بالاصول والنحو ، ومن تواليفه اختصار فى كتاب ابى جعفر الطبرى فى

---

١) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ١١٣ .
٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس، القسم الثانى، ص ٧٦ ، «ترجمة ١٣١٨»،
الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥١٩ ، ترجمة « ١٥١٩ » .
٣) ابن الفرضى : المصدر السابق، القسم الثانى ، ص ٨٩، ص ٩٠ ، «ترجمة ١٣٥٧»
٤) الضبى : بغية الملتمس ، ص ٦٦ « ترجمة ٦٠ » ، المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ،
ص ٧٤ ، ٧٥ .
٥) ابن سعيد . المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ ، المقرى: المصدر السابق ، جـ٤، ص٣٥٥.
٦) المقري نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ١٧٥ .

تفسير القرآن (ت ٤٩٠ هـ) (١) ومنهم ايضا العالم اللغوى أبو عبدالله محمد بن معمر بن أخت غانم الذى برز فى عصر المعتصم بن صمادح (٢) . وممن استوطن المريه من علماء اللغة ايضا محمد بن نعمه الاسدى العابر القيروانى ،« وكان معنيا بالعلم ، عالما بالعبارة وجمع فيها كتبا » (٣) . والفقيه احمد بن محمد بن أسود الغسانى (ت ٤٦٩ هـ) (٤) ، والفقيه محمد يبقى اللخمى (ت ٤٨١ هـ) ، وكان فقيها ذو علم بالخبر وعلم الاثر (٥) ، ومنهم ايضا الفقيه احمد بن رشيق التغلبي البجانى الاصل «وكان حافظا للفقه وشوورفى المريه، ونوظر عليه فى الفقه»(٦) والفقيه احمد بن يحيى بن يحيى البجانى وكان من كبار فقهائها ، وتولى أمر الفتيا بها (ت ٤٧٢ هـ) (٧) .

ومن الوافدين على المريه زمن الفتنة ، الفقيه احمد بن عفيف بن عبد الله ابن مريوال بن جراح بن حاتم الاموى ، وقد عنى بالفقه وعقد الوثائق والشروط ، فقصد خيران العامرى الذى احسن وفادته واكرمه وقربه إليه لفضله وامانته ، وقلده قضاء لورقه (٨) .

---

١) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، جـ ٢ ، ص ٥٦٣ ، « ترجمة ١٢٣ » .
٢) المقرى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ٣٦٧ .
٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٠٣ ، « ترجمة ١٣٢٣ » .
٤) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ ، « ترجمة ١٣٥ » .
٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٥٥٥ ، « ترجمة ١٢١٨ » .
٦) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٥٣ ، « ترجمة ١١٤ » .
٧) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٦٥ ، « ١٣٩ » .
٨) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، « ترجمة ٧٥ » ، أنخل جونثالث بالنثيا تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٤٢٣ .

ثانيا : العلوم الدينيه

كما اهتم أهل المريه بعلوم الادب واللغة ، اهتموا بالعلوم الدينيه فاولوها نصيبا كبيرا من رعايتهم ، وصنفوا فيها الكتب ، ومن كبار المحدثين فى المريه فى عصر الطوائف عيسى بن محمد بن عيسى الرعينى ، ويعرف با بن صاحب الإحياس (ت ٤٧٠ هـ) ، وكان من جله العلماء ورجال الادب ، وتولى القضاء بالمريه (١) ، ومنهم ايضا ابراهيم بن سعيد بن عثمان بن وردون النميرى (ت ٤٧٩ هـ) الذى كان معتنيا بالعلم والروايه (٢) ، ومحمد بن خلف بن سعيد ابن وهب ، المعروف بابن المرابط (ت ٤٩٥ هـ) ، وكان من اهل العلم والروايه (٣) .

ومن علماء التفسير المهلب بن احمد بن اسيد بن ابى صفره الاسدى (ت ٤٣٠ هـ) وواضح أنه ينتسب إلى بيت المهلب بن ابى صفره ، وله كتاب فى شرح البخارى اخذه الناس عنه وولى قضاء المريه (٤) ، والفقيه محمد بن سعدون ابن على بن بلال القروى ، وكان عالما بالاصول والفروع ، وكتب الحديث بمكه ومصر القيروان (٥) ، وحجاج بن قاسم بن محمد بن هشام الرعينى وكان مشاورا بالمريه (٦) ، وطاهر بن هشام بن طاهر الازدى ، وكان مفتيا

١) ابن بشكوال ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣٧ ، « ترجمة ٩٣٩ » .
٢) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٩٦ ، (ترجمة ٢١٧) .
٣) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ترجمة ١٢٢٤) .
٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، (ترجمة ١٠٧٩) .
٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، « ترجمة ١٣٢٢ » .
٦) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٥٢ ، (ترجمة ٣٤٢) ، الضبى : بغيـة الملتمس ، ص ٢٨٠ (ترجمة ٦٩٠) .

بالمريه(١) ، والمحدث خلف بن احمد بن جعفر الجراوى ، « وكان معتنيا بالعلم والروايه له ، وتولى الخطبه بالمريه » (٢) .

ثالثا : علم الجغرافيا

بدأ الاهتمام بالتأليف فى الجغرافيه عند الاندلسيين فى عصر الخلافة (٣)، وقد لقى اهتماما خاصا منهم ،نظرا لانقطاعهم عن العالم الاسلامى،واحتكاكهم بالعالم الاروبى ، ممـا اوجب عليهم ان يعرفوا مسالكه الموصـلة إلى بلادهم بالاضافه إلى طبيعته الجغرافيه وسكانه (٤) .

وفى عصر ملوك الطوائف ظهر اول مـؤلف جغرافى اندلسى ذو قيمة عظيمه وهو المسمى « المسالك والممالك » لابى عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى (٤٣٢ / ٤٨٧ هـ ، ١٠٤٠ - ١٠٩٤ م) (٥) .

وكثر التأليف فى الجغرافيا فى هذا العصر فظهر جمهور كبير من الجغرافيين الاندلسيين وشاركت المريه بنصيب وافر فى هـذه الحركه العلميه ، ويكفيها فخرا ان ينسب اليها جغرافى عظيم جليل الشأن وهو العذرى المعروف بابن الدلائى(٦) . وينتسب العذرى الى بنى عذره ، وكان اثنين من اجداده وهما زغيبه

---

١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، جـ ١ ، صـ ٢٤٠ ، (ترجمة ٥٤٥)

٢) نفس المصدر ، جـ ١ ، صـ ١٧١ ، (ترجمة ٣٨٩)

٣) أنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، صـ ٣٠٩ .

٤) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، صـ ٢٠٠ .

٥) أنخل جونثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

٦) هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث بن انس بن فلذان بن عمران بن منيب بن زغيبه بن قطبيه العذرى ، وعرف بابن الدلائى ، ويكنى أبا العباس (راجع الحميدى جذوة المقتبس ، ص ١٣٦ ، ترجمة ٢٣٦) .

ابن قطبه وياسين بن يحيي قد نولا قرية دلايه في صدر الدولة الاموية بالاندلس(١) ومن ثم عرف بابن الدلائى نسبة إلى دلاية .

ولد العذرى فى المريه فى سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠١ م) ، وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره أى فى سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م رحـل مع والديه إلى المشرق ووصلوا إلى مكه فى سنة ٤٠٨هـ (١٠١٧ م) ، وجاوروا اعواما بها ، وسمع الكثير من شيوخها ومنهم الشيخ ابى العباس الرازى ، والشيخ ابو ذر عبد بن احمد الهرمرى وعليه سمع صحيح البخارى كما سمع علي الكثير من القادمين اليها من أهل الرواية والحفظ من أهل العراق وخراسان والشام(٢) . ورحل عن مكه فى سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) .

ومما لاشك فيه ، ان هـذه النشأة الدينيه كان لها عظيم الاثر فى اهتمامات العذرى العلمية ، فإن كنا نعرف العذرى مؤلفا جغرافيا فقـد وجه جل اهتمامه بعلم الحديث « بل ان عنايته بالحديث تنهض فى المقام الأول على اقراء امهات كتب الحديث وخاصة الصحيحين (٣) ، ومن تواليفه فى هذا المجال « فهرسه شيوخه » وكتاب « انقضاض ابـكار اوائل الاخبـار » (٤) ، وقـد أورد ياقوت الحموى اسم كتاب له بعنوان « اعلام النبوه » (٥) .

١) العذري : ترصيع الاخبار ، صـ ٩٠ ، دلايه : هى من اعمال المريه ، تقـــع فى جنوب شرق برجه بمسافه تسعه كيلومترات ، (راجع : الحميرى : الروض المعطار ، الترجمه الفرنسيه صـ ٦٦ ، مادة دلايه رقـــم ٧٥ ، وهامش نفس المصدر رقم ٣) .

٢) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، جـ ١ ، صـ ٦٧ ، (ترجمة ١٤١) .

٣) العذري : المصدر السابق ، ص د من مقدمه المحقق .

٤) نفس المصدر والصفحه .

٥) معجم البلدان ، المجلد ، الخامس ، صـ ١١٩ .

والجدير بالذكر ان كتب التراجم (١) ، قد خلت من أى اشاره إلى اهتمام العذرى بالتأليف فى الجغرافيا ، ولم تسم له كتابا فى هذا المجال . أما الذين أشاروا إلى مصنفه فى الجغرافيه ، فهم الجغرافيون القدامى بالاندلس ، فقد ذكره البكرى في « المسالك والممالك » ، كما ذكره الادريسى فى مقدمة كتاب « نزهه المشتاق فى اختراق الآفاق » وابن عبد المنعم الحميرى فى «الروض المعطار فى خبر الاقطار » (٢) ، كذلك ذكره ياقوت الحموى - وهو مشرقى - فى معجم البلدان ، وأشار الى كتابه « نظام المرجان فى المسالك والممالك » (٣) .

وكتاب « ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك » ، الذى صنفه العذرى واستحسنه جغرافيو الاندلس فقد فقد معظمه ولم يتبق منه الا جزء مخطوط عنوانه : « السفر السابع من ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك » وقام بتحقيقه الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهوانى (مدريد ١٩٦٥) ، وذكر المحقق فى مقدمة له أن هذا «الجزء الذى وصل الينا لايتجاوز

---

١) الحميدى : جذوه المقتبس ، ص ١٣٦ ، (ترجمه ٢٣٦) ، ابن بشكوال : الصله ـ ١ ص ٦٦ ترجمه ١٤١) ، الضبى : بغيه الملتمس ، ص ١٩٥ ، (ترجمه ٤٤٦) .

٢) حسين مؤنس : الجغرافيه والجغرافيون فى الاندلس ، (صحيفة معهد الدراسات الاسلاميه فى مدريد) المجلدان السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩ / ١٩٦٠ ص ٢٧٩ .

٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

عشر الكتاب غالبا » (١) .

ويتضمن هذا الجزء وصفا جغرافيا ضمنه المؤلف أشارت تاريخية للمواضع التي تعرض لها في كور تدمير ، وبلنسيه، وسرقسطه ، واشبيلية، ولبله وشذونه والجزيرة الخضراء وقرطبة ، استند فيها على روايات احمد بن محمد الرازي وابنه عيسى مع تكملة الاخبار الى ايامه (٢) .

وقسم العذري هذا الجزء - الذي بين ايدينا - الى اقسام ، كل قسم تناول كوره من كور الاندلس (٣) ، ثم يتلو ذلك ذكر الطريق من قاعدة الكوره السابقة الى قاعدة الكوره التي يتحدث عنها ، ووصفه للطريق على اساس المخلات أو على اساس الاميال أو الفراسخ (٤) . ثم يتكلم العذري عن المدن التابعة للكورة ويعددها واحده واحده (٥) ، معتمدا في ذلك على مانقله من احمد الرازي أولا ، ثم يضيف من عنده تفصيلات هامة ان دلت على شيء فانما تدل على اطلاع ومعرفة ومشاهده (٦) ثم يتحدث عن الاقاليم التابعة لكل كوره وأعمالها وفي خلال حديثه عن الكوره نجده يمدنا بتفاصيل تاريخيه عن

---

١) العذري : ترصيع الاخبار . ص أ من مقدمه المحقق .

٢) حسين مؤنس . الجغرافيه والجغرافيين في الاندلس ، ص ٢٨٠ .

٣) ترصيع الاخبار ، راجع صفحات ارقام ١ ، ١٧ ، ٢١ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١١٧ ، ١٢١ .

٤) نفس المصدر ، راجع صفحات ارقام ٣ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٧ .

٥) نفس المصدر ، راجع صفحاته ارقام ١٠ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٢٧ .

٦) نفس المصدر ، راجع مثلا عن مدينه بلنسية ص ١٧ ، ١٨ وكذلك عن مدن شاطبه وجزر شقر ص ١٨ ، ٢٠ ، انظر ايضا حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

هذه الكوره (١) .

والكتاب يعتبر من أهم ماصنف فى الجغرافيه الاندلسيه حتى الان ، سواء من حيث المادة التى ضمنها اياء مؤلفه ، هـذا بجانب دقته فى التحديد وضبطه فى رسم الاعلام (٢) . ومن الجدير بالذكر ، أن نقرر أن العذرى قد اتبع منهجا علميا ، حيث أنه بدأ مما حيث انتهى عنده احمـد الرازى ، فسعى بقدر امكانه الى اضافة تفاصيل جديـدة الى وصف شبه الجزيره واذا كان الوصف الدقيق لجغرافيه الرازى انها من طراز البلدان ، فان جغرافيه العذرى تضمنت بجانب دراسه البلدان المسالك والممالك فى دراسة وصفيه عامية دقيقه (٣) .

وتوفى العذرى فى سنه ٤٧٨ هـ (١٠٨٠ م) ، ودفن بمقبره الحوض بالمريه وصلى عليه ابنه أنس بتقديم المعتصم بالله محمد بن معن بن صمادح (٤) .

---

١) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ٢٩٢ .
٢) نفس المرجع ، ص ٢٨٧ .
٣) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .
٤) ابن بشكوال : كتاب الصله : جـ ١ ، ص ٦٧ ، الضبي : بغية الملتمس ، ص ١٩٧ أما ياقوت الحموى ، فيقول أنه توفى فى سنة ٤٧٦ هـ ، وقيل ٤٧٨ هـ ببلنسيه (معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١١٩) ، والراجح هو ما ذكره ابن بشكوال ، (كتاب الصله جـ ١ ، ص ٦٧) .

خاتمة

ونصل فى نهاية هذا البحث الى عدد من الحقائق اسفرت عنها دراستى الطويلة للمريه الاسلامية منها : ان حركة بناء المدن فى الاندلس نشطت نشاطا واضحا فى العصر الاموى ، وكانت المريه احدى ثمراتها . وعلى الرغم من ان المريه مدينه اسلامية البنيان تم بناؤها فى سنة ٣٤٤هـ فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الا انها شغلت موضعا عمرانيا قديما ، فقد استدل الباحثون من الحفريات الاثرية على ان المريه اقيمت على اسس فينيقية قديمة عرفت باسم باستولس ، والموضع القديم المذكور كان معروفا فى العصر الاسلامى الاول قبل ان يشرع المسلمون فى تأسيس المريه بزمن طويل ، وفيه اسس البحريون حصنا او رباطا اتخذوه مرأى ومحرسا ، فاطلق على الموضع كلة اسم مرية بجانه ، وظلت هذه التسميه مركبة الى ان اكتفت المدينة المحدثه بالشطر الاول من الاسم المركب بعد ان مصرها عبد الرحمن الناصر .

واذا امعنا النظر فى خريطة الاندلس باحثين عن موقع المريه ، فاننا نلاحظ انها حظيت بموقع بحرى ممتاز فى جنوب شرق شبه جزيرة ايبريا فهى تطل على خليج شديد الاتساع والعمق يتميز بهدوء مياهه وقلة امواجه ، كما يتميز بحصانته ومنعته ، فحول البؤرة العمرانيه التى تندرج فى الارتفاع نحو جبل ليهم والخندق تتناثر حصون وقلاع تزيدها حصانه ومنعه ، ولم تكن المريه حتى اوائل القرن الرابع الهجرى سوى رباط للجهاد ، ولم تظهر اهميتها كميناء وقاعدة بحريه للاسطول الاندلس الا من عام ٣٢٨هـ ، عندما عين الخليفة الناصر أول وال من قبلة على بجانه فأتخذ هذا الوالى من ميناء المريه منطقا لعملياته البحريه ، ثم فطن الخليفه الناصر الى أهمية موقعها

ومايتميز به من مزايا ، فأمر ببنائها وادار حولها سورا محفوظا من العدو بالحراس والسمار وجعلها حاضرة الاقليم المحيط بها ، واسند ولايتها الى ولاه يقيمون فى قصبتها وتضاف اليهم بجانه الحاقات وتمضى السنون ويكتشف الحكم المستنصر اكثر من ابيه اهمية موقع المريه بالنسبه للساحل الجنوبى الشرقى ، فيشرع فى دعمها ويتخذها قاعدة بحرية تضم معظم قطع الاسطول الخلافى وذلك لمواجهه الخطر النورمانى والفاطمى ، وفى عهد خلفه هشام المؤيد يواصل حاجبة محمد بن عبد الله بن ابى عامر الاهتمام بالاسطول الاندلسى ، ويستعين بهذا الاسطول فى نقل قواته ومعداته الى العدوه الغربية للاحتفاظ بسلطان الامويين هناك . وهكذا ظهرت اهمية قاعدة المريه البحريه ظهورا ذا خطر زمن الخلافه الامويه فى الاندلس ، ظلت تحتفظ باهميتها بعد ذلك زمن دويلات الطوائف فتألقت المريه وتبوأت المركز الاول بين قواعد الاسطول الاندلسى خاصة فى عهد المعتصم بن صمادح الذى وجه جل عنايته باسطوله .

ومن الناحيه الاستراتيجية لعبت المرية دورا هاما ابان احداث المرحلة الاخيرة من الخلافه الأمويه فى الاندلس حتى استقلال بنى صمادح بحكمها فقد كانت بحكم حصانتها نقطه الانطلاق العسكرى لقوى خيران العامرى وحلفائة ، وقد ازداد مركز خيران قوة يوما بعد يوم بسبب انتزائة بها واتخاذها مركزا لنشاطة السياسى والعسكرى ، وعندئذ أصبحت مطمعا الطامعين وتناوبها المتنزون والثوار الى ان استقر الحكم فى النهاية فى بيت صمادح برضاء اهلها .

ولما كانت المريه قاعدة بحريه وعسكريه فى آن واحد فقد اسندت رئاستها الى قائد البحر محمد بن رماحس الذى ظل فى منصبة الى أن قضى عليه

المنصور فى عام ٣٦٩هـ ، ومما تجدر الاشارة الية ان المصادر العربية لم تمدنا بولاة بالمريه منذ مقتل محمد بن رماحس حتى عام ٣٧٣هـ ومع ذلك فقد تمكنت بفضل ما أورده العذرى من أخبار أن اضع جدولا لولاة المريه من بعده حتى عام ٤٠٠هـ ، واستنتجت من هذا الجدول أن سياسة الخلافة الاموية انذاك كانت تقضى بان يتولى المدن الواقعة فى مناطق الثغور قواد عسكريون كابن الرماحس نفسه نظرا لاهمية المريه باعتبارها قاعدة للاسطول الاندلسى على البحر المتوسط واستمرت المريه يحكمها ولاة من قبل الحكومة المركزية بقرطبة الى ان سقطت الدولة العامرية ، وضعف نفوذ الخلافه الاموية مما ترتب عليه اشتعال نار الفتنة البربرية وقيام دويلات الطوائف ، فانتزى الرؤساء والقواد والولاه على اختلاف اجناسهم فى سائر انحاء الاندلس ، واقتسموا خططها واستبد كل منهم بحكم ما تغلب عليه من النواحى ، وفى خضم هذا الصراع انتزى خيران العامرى بالمريه ، وكان من جلة فتيان المنصور بن ابى عامر الصقالبة وقد نال خيران فى عهد هشام المؤيد مكانه رفيعة مكنته من رئاسة الصقالبه وقيادتهم والمشاركة فى جماعة الفحول النابهين عن الدولة ، بعد ان تغلب على مدينة مرسية عام ٤٠٣هـ واستولى على كل اقاليم كورة تدمير ، ودانت له المريه بعد تغلبه على افلح الصقلبي عام ٤٠٥هـ ، ومن ثم اصبحت المريه قاعدته الرئيسية فجلب اليها امواله ، وعدته ، واستوزر ابا جعفر احمـــد بن عباس بن ابى زكريا ليعاونه فى تدبير شئونه المملكة .

ولم يفتنى ان ابرز دور خيران العامرى فى احداث قرطبة وكيف انه لبى دعوة على بن حمود القائم بسبتة ومساندته له عسكريا ضد الخليفه المستعين بقرطبة ، وكان من اثر هذا التحالف انتصار علي بن حمود ودخول قرطبة

في عام ٤٠٧هـ ، لكن خيران الذى كان طامعا أن يجد مولاه هشاما حيا لم يلبث أن أصيب بخيبة أمل عندما اتضح له حقيقة موت هشام فندم على ما بذله لابن حمود من عون ، واظهر خلافه بعد ان غادر قرطبه على الفور إلى شرق الاندلس ، وعمد إلى تنصيب خليفه من أعقاب بنى اميه سنة ٤٠٧ هـ لقبه بالمرتضى . وأوضحت كيف عزم خيران على فتح قرطبه بعد ان انضم اليه منذر التجيبي صاحب سرقسطه وعدد من فرسان الفرنجه ، وكيف أجمع المتحالفون على خذلان المرتضى بعد ان أشاروا عليه أولا بمهاجمة بربر غرناطه قبل سيرهم إلى قرطبه ، وقيام خيران بمكاتبة ابن زيرى الصنهاجى واتفاقه معه على الغدر بالمرتضى ولما هاجم المرتضى بجيشه بربر غرناطه تخلى منذر وخيران عنه وانسحبا من المعركة فحلت به الهزيمة وأطيح بالمرتضى الذى سقط صريعا فى سنة ٤٠٩ هـ ، وقد انتهيت إلى أن خيران تدخل فى الاحداث السياسيه بقرطبه عدة مرات . ثم تعرضت لعلاقات المريه فى عهده مع جاراتها بشرق الاندلس وبينت كيف ان الحسد يدفع مجاهد العامرى إلى الاعتداء بجيوشه وأساطيله على المريه ، فقط طمع مجاهد فى أن يطرد خيران منها وأن يستولى عليها وأن يضمها إلى مناطق نفوذه لكنه باء بالفشل . كما تعرضت للعلاقات العدائية بين خيران وجيرانه البربر اصحاب غرناطه ، ولم نعثر فى المصادر التى بين ايدينا ما يلقى مزيدا من الضوء على هذه العلاقات ، ومع ذلك فقد رجحت أن سياسة المصلحه كانت الهدف الاول الذى كان يوجه خيران العامرى فى كل تحركاته ، مع ما تميز به ايضا من مكر ودهاء وشجاعة واقدام وحسن تدبير حتى بلغت مملكة المرية فى عهده اقصى اتساع لها فقد كانت تحدها شرقا المنطقة الممتدة من الساحل الاسبانى الجنوبى الشرقى ومن جهة الغرب حتى وادى آش وحدود مملكة غرناطة ومن ناحية الشمال حتى بسطه

وجيان هذا بالاضافة إلى أوريولة ومرسيه ، وهذه الانطلاقة الخارجية لم تأت من فراغ بل انعكاسا لسياسته الخارجيه الناجحة جنت ثمارها المريه فاصبحت من اهم مدن الاندلس لما اتسم به عصره من تشييد واصلاح .

ثم أوضحت كيف أن المرية واصلت ازدهارها فى عهد زهير الذى جرى على سياسة سلفه وسعى إلى اصطناع سياسة خارجيةاستهدف من ورائها المحافظة على املاكة ودعم قـوته وادت به فى بعض الاحيان إلى مـواجهة خصومه ومنازلتهم ، بل اضطرته احيانا أخرى إلى أن يتغلب على حلفائه بنى حبوس ابن ماكسن أصحاب غرناطة وقيامه بحمله على غرناطة انتهت بهزيمته ومصرعه. وبمصرعه تفقد المرية اكبر قواعدها الشمالية مدينة جيان التى دخلت فى أعمال غرناطة ، وتنتهى فترة ولاية الصقالبة على المرية . وتبدأ منذ ذلك الحين رقعة المملكه فى الانكماش فاخذت املاكها البعيدة تخرج من حـوزتها تدريجيا ، ويقوم بامر المرية من بعده شيخها أبو بكر الرميمى فقام بادارة شئون المريه وضبط الامن والنظام بها ، إلى أن كاتب أهلها عبد العزيز بن عبـد الرحمن شنجول بن أبى عامر ببلنسيه الذى قدم إلى المرية وضمها إلى أعماله فى عام ٤٢٩ هـ غير أن العلاقات بينه وبين مجاهد العامرى سرعان ماتوترت فخرج عبد العزيز إلى بلنسيه مبادرا لاستصلاح مجاهد وولى على المريه ابنه عبد الله فى عام ٤٣٠ هـ واستوزر له ذا الوزارتين اباالاحوص معن بن محمد بن صمادح فاستغل معن بن صمادح فرصة غياب المنصور وموت ابنه عبد الله ودعا لنفسه وانتزى بالمرية فى عام ٤٣٣ هـ ، وبذلك يبدأ عهد جديد فى حكم المريةتحت أسرة بنى صمادح .

ومما لاشك فيه أنه بفضل علاقات الصداقة والموده التى جمعت بين معن وباديس صاحب غرناطة استقامت الامور لابى الاحوص بن صمادح ودانت

لورقة وبياسة وجيان وغيرها ، لما عرف عن معن بن صمادح من الدهاء بجانب ما كان يتمتع به من العلم والثقافة والادب ،فاستقرت الاحوال بالمرية ونعمت بالهدوء ، وهو لذلك يعتبر المؤسس الحقيقى لدولة بنى صمادح فى المريه، فقد اقام على حكمها زهاء عشر سنوات إلى أن توفى فى عام ٤٤٣ هـ وخلفه ابنه أبو يحيى محمد الملقب بالمعتصم الذى اسندت إليه مقاليد الامور بالمريه وهو حدث لم يبلغ الرشد بعد ، مما كان له أثره العميق فى ضعف الحكومة وتجزأ النواحى على الانفصال ،وبالتالى فى انكماش رقعة المملكة فقد كان من الطبيعى أن يستغل الولاة من قبله فرصة ضعفه ويثورون عليه واهم هؤلاء الثوار ابن شبيب عامل أبيه على لورقة وبفضل تحالف الاخير مع المنصور بن عبدالعزيز ابن أبى عامر صاحب بلنسيه لم يتمكن المعتصم من استرجاع لورقه رغم مساندة باديس صاحب غرناطه له وإذا عرفنا أن المعتصم ايضا قد فشل فى الاستيلاء على حصن من عمل تدمير رغم مساعدة حليفه باديس له ، فان دلالة ذلك هى عدم خبرة المعتصم الحربية وبالتالى انعكاس ذلك على قوة الاماره وما ترتب على ذلك من اختصار اقاليمها وانكماش رقعتها والاحداث التالية خير شاهد على ذلك وأول مظاهر الوهن أن العلاقات الوديه التى كانت تربط بين المرية وغرناطه لم تلبث ان انقلبت الى علاقات عدائية ، إما لان المعتصم كان اندلسيا يكره البربر ويتعصب للاندلسيين او بسبب تطلع ابن صمادح الى الاستيلاء على غرناطه ذاتها وضم املاكها اليه ، او ربما بسبب الدور الذى لعبه يوسف ابن نغرالة اليهودى وزير باديس الذى اشار الى ابن صمادح بذلك حتى خرج بقواته واستطاع الاستيلاء على بعض اراضى من اعمال غرناطة الشرقية وعلى حصن وادى آش ، واغارت بقواته على غرناطه ، ومع ان العلاقات بين الدولتين لم تلبث عادت الى حالتها الاولى الا ان ذلك كان لفتره وجيزه .

فمجرد وفاة باديس وتولى حفيده عبد الله بن بلقين امارة غرناطة وقعت منازعات كثيرة بينهما اعتقد ان مردها كراهية المعتصم العميقة للبربر واضطراره في بعض الاحيان إلى مهادنتهم لسياسه المصلحة وحرصا على املاكه فقط .

كذلك تعرضت للحديث عن علاقات المعتصم بالمعتمد بن عباد صاحب اشبيليه وبينت انها علاقات عدائيه وان تأزم العلاقات وتوترها بين الدولتين انتهى الى قيام المعتمد بغزو المريه ، ومع ذلك فقد استطاع المعتصم بدهائه ان يسوى هذه الخلافات والاجتماع بالمعتمد على حدود اشبيليه والمريه وتم الصلح بينهما .

وبوجه عام توصلت الى النتيجة بانه على الرغم من فشل سياسه المعتصم الخارجيه بحيث ادت الى انكماش رقعة مملكته ، فان المريه شهدت ازدهارا كبيرا في شتى النواحي شملت الجوانب العمرانيه والادبية وغيرها .

ثم اختتمت القسم التاريخى من الرسالة بتوضيح الاسباب التى ادت الى تحويل المرابطين مسرح الاحداث بالاندلس ، وبينت سياسة المعتصم نحو المرابطين وسعيه على التقرب الى اميرهم ، ثم تحدثت عن الجواز الثالث لابن تاشفين الى الاندلس وعزمه على اسقاط ملوك الطوائف عن عروشهم توحيدا للجبهه الاسلاميه وتجنبا للتفكك السياسى والعسكرى واهتممت بتصوير النهاية الاليمة لبنى صمادح فى المريه قبيل فرار معز الدولة بن صمادح الى الجزائر .

ثم بدأت دراسة الجانب الحضارى من الرسالة وتوصلت الى عرض صورة واضحة بقدر الامكان عن تطور الحياة العمرانية فى المرية منذ نشأتها حتى دخولها فى ملك دولة المرابطين وكيف ان هذا العمران الذى ظهر بادئ ذى بدء مجرد بقعة عمرانية صغيرة الحجم لم يلبث ان اتسع بالتدريج بفضل ازدهار المدينة

واستقرار الاوضاع بها وكثرة الوافدين اليها من مختلف انحاء الاندلس ، ففاض غربا وشرقا فشمل ربض المصلى والحوض ، ثم تطرقت الى الحديث عن الاثار الباقية بمختلف انواعها ، وحاولت عن اعرض الصوره العامة الشامله للمريه من خلال هده الاثار الباقيه ودور الامراء والملوك فى تمصير المريه وزياده عمرانها بمنشآتهم المتنوعه من قصور ومساجد وقلاع واسوار ، كما حاولت أن أخطط لنطاق المدينه الخارجى بأبوابها المختلفه وتطبيق ذلك كله على خريطه المريه الحديثه .

وبالنسبه للجانب الاقتصادى حاولت ابراز الانتاج الزراعى والصناعى لمملكه المريه من خلال ما اعتمدت عليه من مصادر تاريخيه وجغرافيه واهتمت بوجه خاص بالصناعات التى اشتهرت بها المريه واهمها على الاطلاق صناعة المنسوجات الحريريه التى طبقت شهرتها الافق ، هذا الى صناعه التحف والادوات الرخاميه كالاحواض والبيلات واللوحات المنشورية الشكل وشواهد القبور بالمريه لتوافر الرخام الصقيلى المملوكى بها ، هذا إلى جانب صناعات اخرى مثل صناعه استخراج الزيوت من الزيتون وصناعه الادوات المعدنيه والتحف المصنوعه من الزجاج .

أما التجاره فقد تحدثت عنها طويلا لاهمية الموقع الجغرافى للمريه فى التحكم فى طرق التجاره فى الداخل والخارج والتحكم فى تصريف الفائض الداخلى للمحاصيل الزراعية والانتاج الصناعى الاندلسى سواء إلى الغرب أو الشرق ، إلى حد انها وصفت بباب المشرق ، وكيف ترتب على هذا النشاط التجارى الكبير اتخاذها سوقا عالميه ومحليه كبيرة ساعدت على اجتذاب الوافدين الى المريه واكتظاظها بالسكان .

ثم انتقلت الى ابراز الجانب الفكرى من الدراسه الحضاريه بألوانه

المتعددة فأشرت الى ان سياسه ملوك المريه وحكامها كانت خيرا على النهضه الفكريه التى شملت هذه المملكة منذ ان زال ظل الخلافة الاموية حتى دخول المرابطين الاندلس ، فقد ساعد حكام المرية بعطاياهم الجزيله الشعراء على انتجاعهما ونظم القصائد فى مديح هؤلاء الحكام وكيف تألقت العلوم والاداب فى حمى هؤلاء الملوك فبرز العلماء من اهل المريه او الوافدين اليها فى مختلف فروع المعرفه . وكان لهؤلاء اعظم الاثر فى دفع حركه التقدم الحضارى للمريه بوجه خاص ، وللاندلس بوجه عام فى عصر الطوائف .

وهكذا استكملت صوره المريه فى العصر موضوع الرسالة تاريخها الحافل بالاحداث وتراثها الزاخر بالاثار الادبيه والماديه على السواء .

قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والاجنبية

المخطـوطات

(١) ابن بسام (أبو الحسن على)، ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م ،

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث ، مخطوطة بغداد.

(٢) ابن حيان (أبو مروان) : ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٩ م ،

المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، قطعه عن عهد عبد الرحمن الناصر ميكروفيلم رقم ٢٠٨ ، مودع بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، عن مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم ٨٧ .

(٣) النويرى (محمد بن قاسم) : (ألفه سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٥ م) ،

مخطوطة الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام المقضيه فى وقعة الاسكندرية ، صورة شمسيه محفوظه بمكتبة كلية الاداب جامعة الاسكندرية تحت رقم ٧٣٨ م ، عن النسخة الخطيه المحفوظه بمكتبة خدابخش تحت رقم ٢٣٣٥ .

المصادر العربية القـديمة

ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاعى) ، ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

١ - الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مـؤنس ، الطبعة الأولى ، جزئين ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .

٢ - التكملة لكتاب الصله ، جزئين ، مطبعة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد ، ١٩٥٦ .

٣ - المعجم من أصحاب القاضى الامام ابى عبد الله الصدفى ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهره ، ١٩٦٧ .

أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) :

٤ - تقويم البلدان ، تحقيق دى سلان ، باريس ١٨٤٠ .

ابن ابى زرع (ابى الحسن على بن عبد الله الفاسى) :

٥ - الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الفاسيه ، ١٣٠٥ هـ .

ابن الاثير (على بن احمد) : ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ،

٦ - الكامل فى التاريخ ، جزء ٧ ، ٨ ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

الادريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ، ت حوالى ٥٤٨ هـ/ ١١٥٥ م ،

٧ - صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، مأخـوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، تحقيق دى غويه ودوزى ، ليدن ، ١٨٦٤ .

ابن بسام (ابو الحسن على) : ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م ،

٨ - الذخيرة فى محاسن أهـل الجزيرة ، القسم الأول من المجلد الأول القاهرة ١٩٣٩ .

٩ - الذخيرة فى محاسن أهـل الجزيرة ، القسم الأول من المجلد الثانى ، القاهرة ١٩٤٢ .

١٠ - الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع من المجلد الأول، القاهرة ١٩٤٥ .

١١ - الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثانى من المجلد الأول ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

ابن بشكوال (ابو القاسم خلف بن عبد الملك) : ت ٥٧٨ ﻫ / ١١٨٣ م ،

١٢ - كتاب الصله فى تاريخ أئمة الاندلس ، جزئين - الدار المصريه للتاليف والترجمة ، ١٩٦٦ .

البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ ﻫ / ١٠٩٤ م ،

١٣ - المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق البارون دى سلان ، الطبعة الثانية ، الجزائر ١٩١١ .

ابن بلقين (الامير عبد الله الزيرى) ،

١٤ - مذكرات الامير عبد الله ، المسماه بكتاب التبيان ، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٥ .

ابن جبير (ابو الحسن محمد بن أحمد) : ت ٦١٤ ﻫ / ١٢١٧ م ،

١٥ - رحله ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ .

ابن حزم (ابو محمد علي) : ٤٥٦ ﻫ / ١٠٦٤ م ،

١٦ - كتاب طوق الحمامة في الالفة والآلاف ، تحقيق بتروف ، ليدن، ١٩١٤ .

١٧ - نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف (مجلة كلية الاداب) ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ .

١٨ - جمهرة انساب العرب ، تحقيق الاستاذ ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر .

الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح) : ت ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م ،

١٩ - جذوه المقتبس في ذكر رجال الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : ت اواخر القرن التاسع الهجرى ،

٢٠ - كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق الاستاذ ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ .

٢١ - مواد اندلسيه جديدة من الروض المعطار لصلاح الدين المنجد ، (مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) ، المجلد الخامس - الجزء الأول القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

ابن حوقل (أبو القاسم) : ت ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م ،

٢٢ - كتاب صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

ابن حيان (أبو مروان) : ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٩ م ،

٢٣ - المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، قطعة نشرها الاب ملشور انطونيا باريس ١٩٣٧ .

٢٤ - المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، قطعة نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجي بيروت ١٩٦٥ .

٢٥ – المقتبس فى أخبار بلد الاندلس ، قطعة نشرها الدكتور محمود على مكى ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م .

ابن خاقان (أبو النصر الفتح بن محمد) : ت ٥٣٥ هـ / ١١٣٤ م ،

٢٦ – قلائد العقيان ، طبعة مصر ، ١٣٢٠ هـ .

ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله) : ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ،

٢٧ – المسالك والممالك ، تحقيق دي غويه ، بريل ١٨٨٩ ، مكتبة المثنى بغداد .

ابن الخطيب (لسان الدين) : ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ،

٢٨ – أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاعلام من ملوك الاسلام ، (الجزء الخاص بالاندلس) ، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية دار المكشوف بيروت ، ١٩٥٦ .

٢٩ – أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، (القسم الخاص بالمغرب) ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، دار الكتب بالدار البيضاء المغرب ١٩٦٤ .

٣٠ – مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس (مجموعة رسائله) تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ٥٨ .

٣١ – الاحاطه فى اخبار غرناطه ، تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان ، جزءان دار المعارف بمصر ١٩٥٥ .

الخفاجى (شهاب الدين) :

٣٢ – شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، الطبعه الأولى ،

مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ،

٢٣ ـ مقدمه العلامة ابن خلدون ، المكتبة التجارية ، مصر

٣٤ ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جزء ٤،جزء٧، بولاق١٢٨٤هـ

ابن خلكان (ابي العباس شمس الدين أحمد بن محمد) : ت٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م،

٣٥ ـ وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، حققه الدكتور احسان عباس
جزء ٧ ، دار الثقافة ، بيروت لبنان .

ابن دراج القسطلي :

٣٦ ـ ديوان ابن دراج القسطلي، نشر وتحقيق الدكتور محمود علي مكي
دمشق ، ١٩٦١ .

ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) :

٣٧ ـ المغرب في حلي المغرب ، جزءان ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف
دار المعارف القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ .

٣٨ ـ كتاب الجغرافيا ، الطبعة الأولى ،تحقيق الاستاذ اسماعيل العربي
منشورات المكتب التجاري لطباعة النشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠

السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد)،

٣٩ ـ كتاب اداب الحسبه ، تحقيق الاستاد ليفي بروفنسال والاستاذ
كولان ، باريس ١٩٣١ .

السلاوي الناصري (احمد بن خالد) ، ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م ،

٤٠ ـ الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، جزء ١ ، المطبعة البهيه
المصريه ، القاهرة ١٣١٢ هـ .

الضبي (احمد بن يحيي بن احمد) : ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م .

٤١ – بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الاندلس ، دار الكاتب العربى ١٩٦٧ .

ابن عذارى (أبو عبيد الله محمد) ، كان حيا ٧١٢ هـ / ١٢١٢ م ،

٤٢ – البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب،طبعة بيروت ، الأول والثانى فى جزئين ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان .

٤٣ – البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، الجزء الثالث ، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت لبنان .

٤٤ – البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب ، قطعة تختص بعصر المرابطين فى المغرب والاندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ .

العذرى (أبو العباس احمد بن عمر بن انس)،المعروف بالدلائى ، ت ٤٧٨هـ/ ٩٨٨ م ،

٤٥ – نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان ، والمسالك الى جميع الممالك ،تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥ .

العمرى (ابن فضل الله) ، ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ،

٤٦ – مسالك الابصار فى ممالك الامصار،الجزء الخاص بوصف أفريقية والاندلس ، نشر الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس .

ابن غالب (الحافظ محمد بن أيوب) :

٤٧ – قطعة من فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس،تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، (مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية) المجلد الاول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ .

ابن الفرضى (أبو الوليد ، عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى) ، ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣ م ،

٤٨ ـ تاريخ علماء الاندلس ، نشر كوديره ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٦ .

القلقشندى (أبو العباس احمد) : ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .

٤٩ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشاء جزء ٥ ، طبعه دار الكتب المصرية ١٩١٣ ـ ١٩١٩ .

ابن القوطيه (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) :

٥٠ ـ تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق دون خوليان ربيرا، مدريد، ١٩٢٦

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) :

٥١ ـ كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، القسم الخاص بالاندلس ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى ، (معهد الدراسات الاسلاميه بمدريد) ، ١٩٧٢ .

المراكشي (عبد الواحد) ،

٥٢ ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الاسلامى ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد)،

٥٣ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق دى غويه ، ليدن، ١٩٠٦

المسعودى (أبو الحسن بن الحسين بن على) ،

٥٤ ـ كتاب التنبيه والاشراف ، نشر ذى غويه، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩٣

المقريزى (تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر بن محمد) ،

٥٥ ـ كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، جزء ٢ ، طبعه بولاق القاهرة ، ١٢٧٠ هـ .

المقرى (احمد بن محمد) : ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ،

٥٦ – نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد، عشرة اجزاء المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٩ .

مؤلف مجهول :

٥٧ – الحلل الموشيه فى ذكر الاخبار المراكشيه والمنسوب خطأ للسان الدين بن الخطيب، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم الاسلامية، تونس ١٣٢٩ هـ .

٥٨ – اخبار مجموعة فى فتح الاندلس، تحقيق دون لافونتى الكنتره، مدريد ١٨٦٧ .

ياقوت الحموى (شهاب الدين ابى عبد الله) : ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ،

٥٩ – معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر بيروت، ١٩٥٧ .

المراجع العربية الحديثة والكتب المعربة

١ – ارسلان (الأمير شكيب) : الحلل السندسيه فى الاخبار والاثار الاندلسيه، الطبعة الاولى ، مطبعه الرحمانيه ، مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ .

٢ – امارى (ميخائيل) : المكتبه العربية الصقليه ، نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، مكتبه المثنى بغداد ، ليبسك ، ١٨٥٧ م .

٣ - الاهوانى (دكتور عبد العزيز) : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامه (مجله معهد المخطوطات العربية) ، المجلد الثالث ، ١٩٧٢ .

٤ – بالباس (توريس) : الفن المرابطى والموحدى ، ترجمه الدكتور سيد غازى دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

٥ – البرقوقى (عبد الرحمن) : حضارة العرب فى اسبانيا ، مصر ، ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م .

٦ – بروفنسال (ليفى) : الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمى القاهرة ، ١٩٥٨ .

٧ – بالنثيا (انخل جونثالث) : تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس الطبعة الاولى ، مكتبه النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .

٨ – تشر كوا (كليلياسارنلى) : مجاهد العامرى قائد الاسطول العربى فى غربى البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى ،

الطبعه الاولى لجنه البيان العربي ، القاهرة ،
١٩٦١ .
٩ ـ حسن (دكتور حسن ابراهيم) : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي جزء ٤ ، الطبعة الاولى ، مكتبه النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ .
١٠ ـ دوزي (رينهارت) : ملوك الطوائف ، ترجمة الاستاذ كامل كيلاني ، مصر ، ١٩٥٩ .
١١ ـ الدوري (عبد العزيز) . تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري طبعه بغداد ، ١٩٤٨ .
١٢ ـ دياب (محمد) . تاريخ العرب في اسبانيا ، مصر ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م .
١٣ - ديكي (جيمس) : ملاحظات عن فلاحه البساتين العربي في الاندلس (تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية في مدريد خلال شهر ديسمبر ، ١٩٦٦ .
١٤ ـ زيدان (جورجي) : تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس ، جزء ٤ ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨
١٥ ـ سالم (دكتور السيد عبد العزيز) . تاريخ المسلمين واثارهم بالاندلس ، دار المعارف بيروت ، لبنان ، ١٩٦٢ .
١٦ ـ .... تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، قاعده اسطول الاندلس ، الطبعة الاولى ، دار النهضة المصرية ، بيروت ، ١٩٦٦ .

١٧ – سالم، د. [السيد عبد العزيز]: المغرب الكبير، الجزء الثاني، الدار
القومية للطباعه والنشر، ١٩٦٦ .

١٨ – ... ... : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،
جزآن، دار النهضه العربيه، بيروت،
١٩٧١ – ١٩٧٢ .

١٩ – ... ... : التاريخ والمؤرخون، دار الكاتب
العربي للطباعه والنشر، ١٩٦٧ .

٢٠ – ... ... : المساجد والقصور بالاندلس، سلسلة
أقرأ، ١٩٠، القاهره، ١٩٥٨ .

٢١ – ... ... : العمارة الاسلامية في الاندلس وتطورها،
(علم الفكر)، المجلد الثامن، العدد الاول
ابريل، مايو، يونيو ١٩٧٥، الكويت.

٢٢ – ... ... : تاريخ الإسكندريه وحضارتها في العصر
الاسلامي، الطبعة الثانية، دار المعارف،
١٩٦٩ .

٢٣ – ... ... : مدينه مرسيه، موطن الشيخ الزاهد
أبو العباس المرسي مطبوعات جمعية الاثار
بالاسكندرية، ١٩٦٩ .

٢٤ – ... ... : صور من المجتمع الاندلسي في عصر
الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف
من خلال النقوش المحفوره في علب
العاج .

٢٥ ـ سالم (دكتور السيد عبدالعزيز): قصور بني عباد باشبيلية الوارد ذكرها في شعر ابن زيدون ، بحث في ألفية ابن زيدون ، (تحت الطبع) .

٢٦ ـ سالم (دكتور السيد عبد العزيز): والعبادي (دكتور احمد مختار) البحرية في المغرب والاندلس ، بيروت لبنان ، ١٩٦٩ .

٢٧ ـ سرور (محمد جمال الدين) سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٧ .

٢٨ ـ الشكعة (دكتور مصطفى) صور من الادب الاندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ .

٢٩ ـ الصوفي (دكتور خالد): تاريخ العرب في اسبانيا في نهاية الخلافة الاموية حلب ، ١٩٦٣ .

٣٠ ـ الفاسي (محمد): الاعلام الجغرافية الاندلسية (مجلة البينة) ، العدد ٣ ، ١٩٦٢ .

٣١ ـ عاشور (دكتور سعيد عبدالفتاح): اوربا في العصور الوسطى ، جزء ١ ، القاهرة ١٩٦٦ .

٣٢ ـ عباده (عبد الفتاح): سفن الاسطول الاسلامي وأنواعها ومعداتها ، مطبعة الهلال مصر ١٩١٣ .

٣٣ ـ العبادي (دكتور احمد مختار): دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

٣٤ ـ ... ... :سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس (صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد) ، ١٩٥٧ .

٣٦ـ العبادى (دكتور احمد مختار) : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام
دار النهضة المصريه للطباعة والنشر ، بيروت
لبنان ، ١٩٦٩ .

٣٧ـ ... ... : الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين
(مجلة كليه الاداب بجامعه الاسكندرية)
العدد الحادى والعشرون ، مطبعه جامعه
الاسكندريه ، ١٩٦٨ .

٣٨ـ ... ... : من التراث العربى الاسبانى نماذج لاهم
المصادر العربيه والحوليات الاسبانيه
التى تأثرت بها ، (عالم الفكر)
المجلد الثامن ، العدد الأول ١٩٧٧ ،
الكويت .

٣٩ـ عباس (دكتور احسان) : تاريخ الأدب الاندلسى ، عصر سيادة
قرطبة ، دار الثقافة ـ بيروت ، الطبعة
الأولى ١٩٦٠ .

٤٠ـ عبد البديع (دكتور لطفى) : الاسلام فى اسبانيا مكتبة النهضة العربية
١٩٥٨ .

٤١ـ عبد الحميد (دكتور سعد زغلول) : الاسكندريه من الفتح العربى حتى العصر
الفاطمى ، مقال بالكتاب الذى اصدرته
محافظة اسكندريه .

٤٢ـ العدوى (دكتور ابراهيم) : الاساطيل العربية فى البحر المتوسط ،
القاهرة ١٩٦٣ .

٤٣ ـ العدوى (دكتور ابراهيم) : اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى ، (المجلة التاريخية المصرية) ، المجلد الثالث ، العدد الثانى اكتوبر ١٩٥٠ .

٤٤ ـ عنان (محمد عبد الله) : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى (الطبعة الأولى) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهره ١٩٦٠ .

٤٥ ـ غرسيه غومث (اميليو) : الشعر الاندلسى ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهره ١٩٥٥ .

٤٦ ـ كونل (ارنست) : الفن الاسلامى ، ترجمة الاستاذ احمد موسى ومراجعة الاستاذ محمد أبراهيم الدسوقى ، مطبعه اطلس القاهرة ١٩٦١ .

٤٧ ـ محمود (دكتور حسن محمود) : قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة فى تاريخ المغرب فى العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٤٨ ـ مرزوق (دكتور محمد عبد العزيز) : الفن الاسلامى ـ تاريخه وخصائصه ، مطبعه اسعد ، بغداد ، ١٩٦٥ .

٤٩ ـ ... ... : الفنون الزخرفية الاسلاميه فى المغرب والاندلس دار الثقافة بيروت ، لبنان .

٥٠ ـ مورينو (جومث) : الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ترجمة الدكتور

لطفى عبد البديع والدكتور السيد عبد العزيز ، مراجعة الدكتور جمال محرزدار الكاتب العربى للطباعه والنشر ، ١٩٨ ٩ .

٥١ - مؤنس (دكتور حسين) : فجر الاندلس ،دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى إلى قيام الدولة الامويه (٧١١-٧٥٦م)،الطبعه الاولى القاهرة ١٩٥٩

٥٢ - .... : أثر ظهور الاسلام فى البحر المتوسط ، (المجلة التاريخية المصريه) مايو ١٩٥٦ .

٥٣ - .... : الجغرافيه والجغرافيين فى الاندلس (مطبعة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد) ، المجلدان السابع ، والثامن مدريد ،١٩٥٩/ ١٩٦٠ .

٥٤ - مؤنس (الدكتور حسين) : السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين (المجلة التاريخية المصرية) ، المجلد الثالث والعدد الأول ، مايو ١٩٥٠ .

٥٥ - النخيلى (درويش) : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، مطابع الاهرام ١٩٧٤ .

٥٦ - لويس (ارشيبالد) : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة الاستاذ احمد محمد عيسى مراجعة وتقديم الاستاذ محمد شفيق غربال مكتبة النهضة المصريه ،القاهرة ١٩٦٠ .

مراجع باللغة الاجنبية

1 - And Al-Karim (Ga. J. R [illegible] In'Vam mus lm n [illegible] Al Buldan », Homenaje a profesor Carriazo, Sevilla 1973.

2 - Pertrand (Louis). The history of Spain, part I, London, 1934

3 - Dozy (R.) : Histoire des Musulmans D'Espagne, 3 tomes, Leyde, 1932.

4 - ... ... : Recherches sur l'histoire de la litterature de l'Espagne pendant le Moyen Age, Vol. I, Leyde, 1881.

5 - ... . : Supplement aux dictionnaires, Paris, 1927.

6 - Enciclopedia de la cultura Espanola Editora Nacional, tomo I, Madrid, 1963.

7 - Encyclopaedia of Islam.

8 - Ewert Christian) : El milrab de la Mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus), XXXVI, 1971.

9 - Heyd (W) : Histoire du commerce du levant du Moyen-Age, 2 tomes, Leipzig, 1986.

10 - Huici Miranda (Ambrioso) : La invasion de los Almoravides y la batalla de aZllaca (Hesperis), 1933.

11 - Levi-Provençal (F) : L'Espagne Musulmaue aux Xéme siecle, Paris, 1932.

12 - ... . : Histoire de L'Espagne Musulmane, 3tomes, Paris-Leiden, 1950.

13 - .. .. Inscription Arabes D'Espagne, 2 tomes, Leyde, Paris, Mc MXXXI, 1931.

1[illegible] - ... ... La description de l'Espagne d'A[illegible]m[illegible] Al-Razi, (Al-Andalus), 1953.

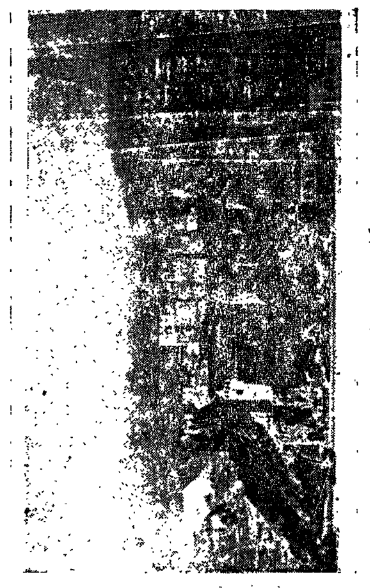
15 - Montavez (Pedro Martinez) : Islam Cristiandad en la econo-nomia mediterranea de la baja edad media, (XIII Congreeso Internacional de Ciencias historicos), Moscou', 1970.

16 - Seco de Lucena (Luis) : Los palacios del taifa almeriense Al-Mutasim en (Cuaderon de la Hambra), III, 1967.

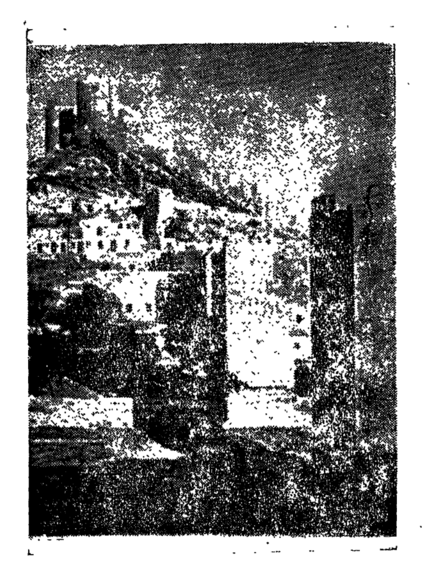
17 - Torres Balbas (Leopoldo) : Almeria Islamica, (Al-Andalus), Vol XXII, 1957.

18 - ... ... Restos de una casa Arabe en Almeria, (Al-Andalus), Vol, X, 1945.

19 - ... ... La mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus) Vol, XVIII, 1952.



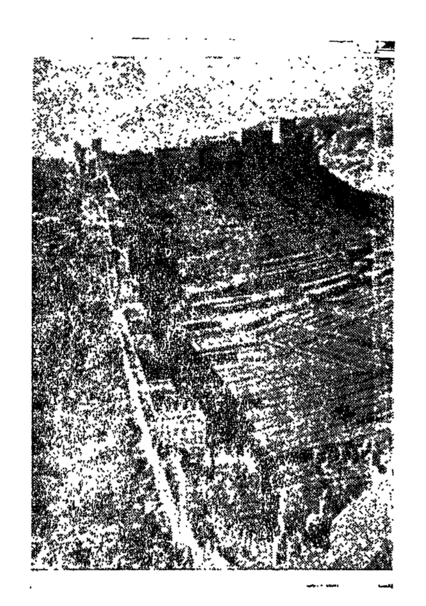
شكل (١) قصبة المرية



شكل (٢) قصبة المريه وجانب من الاسوار التى تكتنفها



شكل (٣) بقايا أسوار لا شنكا



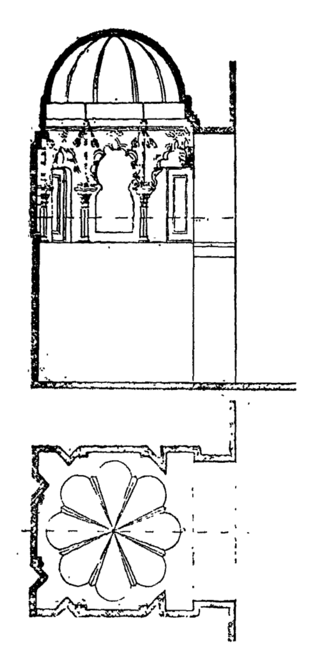
شكل (٤) بقايا أسوار ربض المصلي



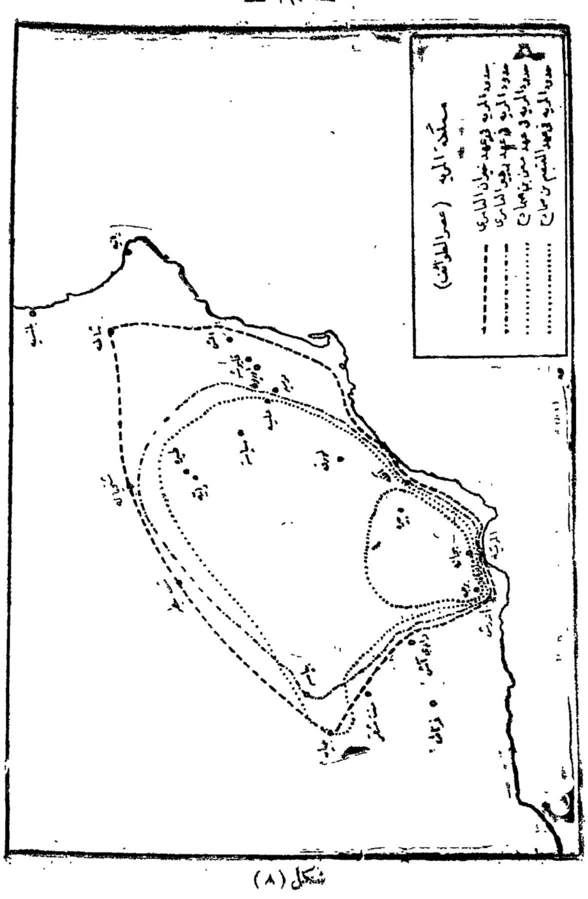
شكل (٥) محراب جامع المريه



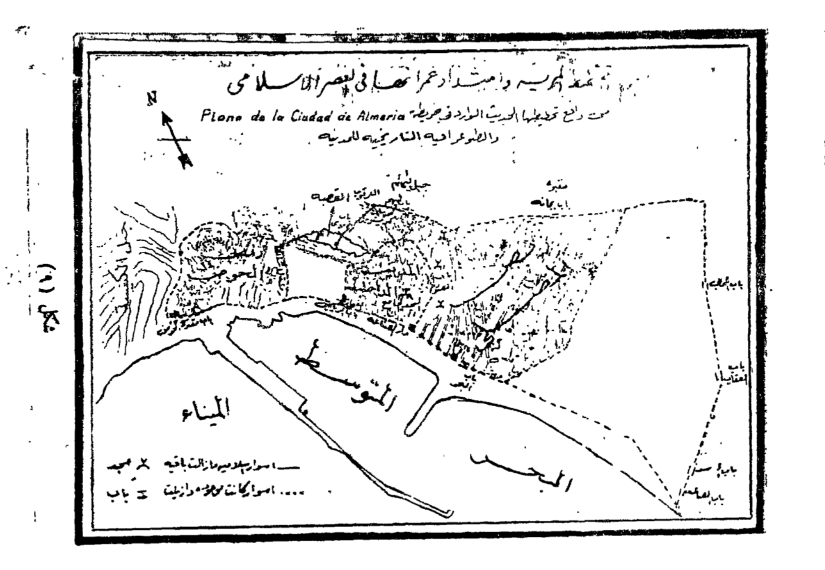
شكل (١٠٦) قبوة المحراب فى جامع المريه



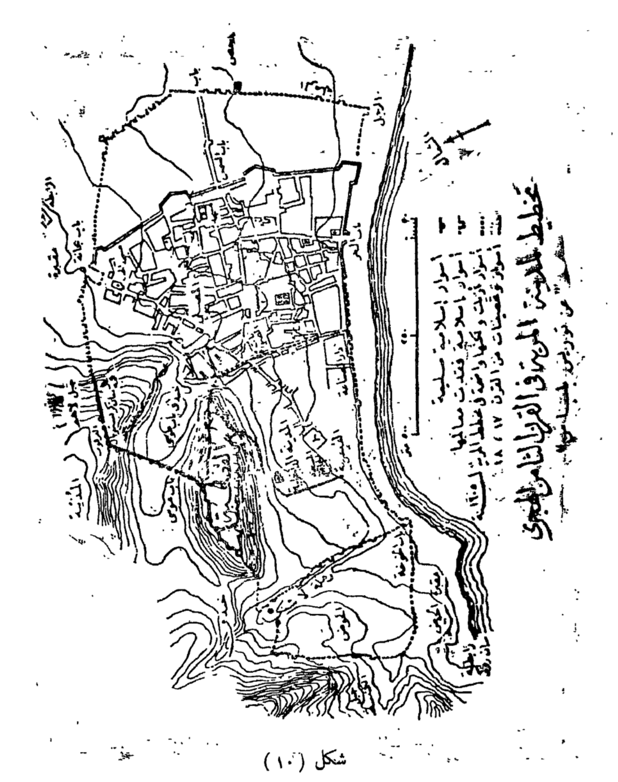
شكل (٧) قطاع لمحراب المسجد الجامع بالمريه



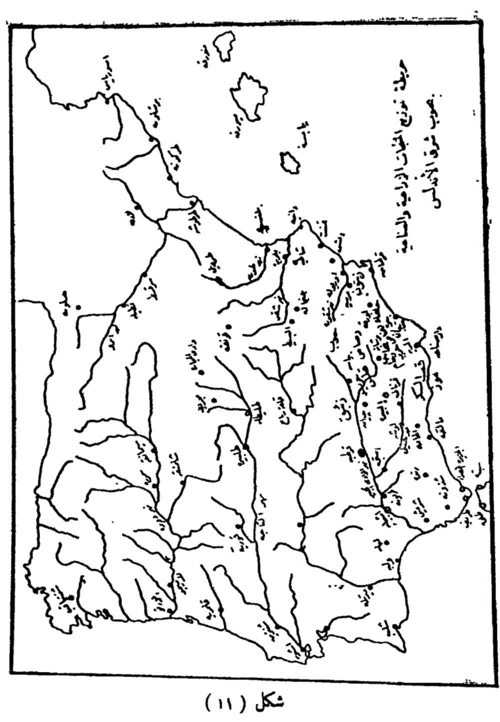
شكل (٨)


N
Plano de la Ciudad de Almeria
القصبة
الميناء
المتوسط
البحر
مسجد
باب

شكل (٩)



شكل (١٠)



شكل (١١)

فهرس المحتويات

الباب الأول

الموضوع	الصفحة

الباب الثانى

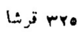
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

ملحق (١) الاشكال

ملحق (٢) : الخرائط

مطبعة مصنع (مرزوبا) إسكندرية للكراس
محمد محمود محمد سعد
٥ شارع أديب إسحق . تليفون : ٨٠٥٨٤٧ - ٨٠٠٩١٠


٣٢٥ قرشا